النَّذِيرُ الصَّارِخ

حَوْلَ الموْتِ وَأَهْلِ البَرَازِخ

تأليف

الفقير إلى عفو الله الغني
محمد بن عبد الله علي الحكمي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



الطبعة الثانية

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار المجتمع للنشر والتوزيع

الرئيسي : جدّة - ميدان الجامعة - ص.ب: ٤٠٨٤٥ - جدّة ٢١٥١١ { الادارة ٦٨٩١٤١٧ المكتبة ٦٨٩٤٤٦١ الفاكس ٦٨٩٤١٤٤

الفروع : الخبر - شارع الأمير نايف - تقاطع ١٦ - ص.ب: ٢٣٢١ - الخبر ٣١٩٥٢ { المكتبة ٨٩٤١١٣٦ الفاكس ٨٦٤٣٧٣٥

المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب: ٢٠٢٤٢ { المكتبة ٨٢٣٦٣٠٦ الفاكس ٨٢٣٦٢٧٩

الإهداء

إلى روح والدى عبد الله بن علي الحكمي **رحمه الله** الذى كان السبب بإذن الله في وجودي إلى هذه الحياة ، والذي رعاني بعد الله بعين عنايته ، ووجهني لطلب العلم ، وسعى عليّ في طلب الرزق وما لا بد منه في حياتي صغيراً وكبيراً .

إلى ذلك الأب الحنون الذي عاش مع كتاب الله تبارك وتعالي فترة من عمره **رحمه الله** وجعل الفردوس الأعلى من الجنة مثواه ، أهدي إليه ثمرة هذا الجهد المتواضع ، متمثلاً بهذا الكتاب ، راجياً من الله قبوله ، وأن يجمعني به في مستقر الرحمة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

آمين

ولدك (محمد)

التعريف بالمؤلف والكتاب

لفضيلة الشيخ

ناصر محمد الشيباني حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد : فقد عرفت الأستاذ محمد عبد الله الحكمي عن كثب ، فألفيته خطيباً مفوهاً يغشى مجامع الناس في المدن والقرى ، تاركاً في قلوب السامعين أثراً يقوم المعوج ويهدي الحائر ويعلم الجاهل بعقل متفتح وصدر رحب وقلب مستنير ، وقد رزقه الله أسلوباً حكيماً وطريقة في الإرشاد مثلى مقترنة بالحكمة الرائدة والأفق الواسع ، وما كنت أعلم أنه مؤلف بارع حتي أطلعني على كتبه الثلاثة : « الإنذار المبكر قبل حلول الهلاك المدمر » وكتاب « الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع » وكتاب « النذير الصارخ حول الموت وأهل البرازخ » وسمعت فيها فصولاً قرأها علي ، وقد جمع في هذه الكتب الثلاثة أموراً تتعلق بالحياة والأحياء والأولي والأخرى ، وحدد معالم الرشاد ووسائل النجاة لكل مسلم وحشد أقوالاً عديدة للعلماء والصالحين بمثابة المصابيح المضيئة لسلوك طريق الآخرة والعمل الجاد للمستقبل الحق ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ [هود : ١٠٣] ، ﴿ **إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ [الإنسان : ٢٩] . وبالجملة فقد كان التوفيق حليفه والصواب رديفه راجياً له من الله السداد والتوفيق وأن ينفع الله به كاتباً وخطيباً ومؤلفاً .

ناصر محمد الشيباني

تقديم وتقريظ

القاضي العلامة يحيى بن لطف الفسيل

وفضيلة الشيخ

حمود هاشم الذارحي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الاطلاع على الكثير من أبواب مواضيع كتاب «النذير الصارخ» للأخ الداعية إلى الله محمد بن عبد الله الحكمي وجدنا أنه بغية كل مؤمن ومؤمنة في هذا العصر، الذى طغت فيه موجات الانشغال بالدنيا ونسيان الآخرة ، التي هي خير وأبقى ، والتى تبدأ بالموت ، وتمر بالبرزخ الذى يصير فيه ، كل إنسان إما إلى روضة من رياض الجنة وإما إلى حفرة من حفر النار والعياذ بالله .

ولقد وفق الله المؤلف جزاه الله عن الأمة خيراً إلى قوة الحجة ، وحسن الترتيب ، ومراعاة ماورد في كتاب الله ، وما صح من الهدى النبوي ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، بأسلوب سهل وميسر وحكيم ، تدل عباراته على إخلاص مؤلفه وحرصه على تنبيه كل مسلم إلى المستقبل الحقيقي الذي ينتظر كل من على الأرض والذى هو أحق أن يبنى وأن يعتنى به بالاعمال الصالحة .

ولئن كان طرق مثل هذه المواضيع المحذرة والمنبهة في نظر البعض مخيفة ، فإن تجاهلها ونسيانها أخوف ، ورحم الله القائل : «إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلقي الخوف .

وقد علم الله بحال وطبيعة النفس البشرية ، وأن سوقها إلى الله بحاجة إلى الترغيب والترهيب ، فكرر في سور القرآن الكريم من ذلك ، وذكر الحكمة بأنها للذكرى والوصول إلى التقوى ، قال تعالي : ﴿ **وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا** ﴾ [طه : ١١٣] .

فما أحوجنا وأحوج كل مسلم إلى تذكر الحقيقة التي لابد منها ، شئنا أم أبينا ، لنستعد للقاء الله عز وجل .

فجزى الله المؤلف خير الجزاء ، وجعله الله علما من أعلام الهدى والخير ، وقدوة للعلماء المهديين ، ورزقنا جمعياً الإستعداد للقائه ، إنه مجيب الدعاء .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . وأشهد أن لا إله إلا الله القائل : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما** ﴾[١] وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسولهﷺ الذى أظهر به الحق وهدى به الخلق إلى صراط مستقيم ، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد ، فلقد من الله عليّ بترتيب هذا البحث المتواضع وجمع مسائله المتناثرة في كتب شتى وأسفار متعددة ، متضمناً في طياته مواضيع عديدة ومسائل مفيدة حول الدنيا ومصيرها وسرعة زوالها وكذلك الموت بما فيه ، وكفى بالموت واعظاً ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[٢] كما تطرقت إلى الحديث عن الروح وما قيل فيها وأن لها انفصالان اثنان عن الجسد : الأول يقال له النوم وهو انفصال محدود ، والثاني يقال له الموت وهو انفصال تام ومتكامل ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[٣] ، ومن هنا كان نبي الإسلام محمد ﷺ يقول إذا استيقظ من نومه : « الحمد لله الذي

---

(١) الأحزاب آية ٧٠ – ٧١.

(٢) الجمعة آية ٨ .

(٣) الزمر آية ٤٢ .

أحيانا بعد ماأماتنا وإلية النشور »[١] ، هذا ولما للروح من تطورات عجيبة وأحوال غريبة وأبعاد جمة حاولت ضرب أمثلة من الواقع المعاش اليوم ، تقريباً للأفهام في قضية الحياة والموت وأحوال الروح بعد انفصالها عن جسدها وما تكون عليه في مستقرها الثالث دار البرزخ تلك الدار المتوسطة بين دار الدنيا ودار الأخرة . ولما كان البرزخ هوالحاجز بين الشيئين قال تعالى : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾[٢] ، وإن ما يسمى بمنافذ الحدود أو صالة الانتظار اليوم التي يتوقف فيها المسافرون بعد استكمال جميع إجراءاتهم استعداداً للسفر إلى بلدان شتى لشبيهة بدار ا لبرزخ من بعض الجوانب ، ولاشك أن الدور أربع وكل واحة أوسع من سابقتها وأعظم كماً وكيفاً من ماضيها الأولى بطن الأم الثانية الدنيا الثالثة دار البرزخ الرابعة دار القرار إما الجنة وإما النار قال تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ، يصلونها يوم الدين** ﴾[٣] ولما كانت المنازل وتفاوت المراتب والأحوال مرتبطة أساساً بالأعمال كان لابد لمن أيقن أنه سيموت ، كما قال تعالى : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾[٥] ، من آمن بهذا كله لابد له من كمية عظيمة من زاد الإيمان والعمل الصالح إلى دار المعاد جاعلاً نصب عينيه قوله تعالى : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب** ﴾[٦] .

---

(١) انظر صحيح البخاري .

(٢) المؤمنون آية ١٠٠ .

(٣) الانفطار آية ١٣ – ١٥ .

(٤) الزمر آية ٣٠ – ٣١ .

(٥) النجم آية ٣١ .

(٦) البقرة آية ١٩٧ .

ولدتك أمك يابن ادم باكـــــيـــــاً

والناس حـــولك يضـــحكون ســـرورا

فـــاعـــمل لنفـــسك أن تكون إذا بكوا

في يوم مـــوتك ضـــاحـــاً مـــســـرورا

* * *

صورة تذكرة سفر إلى دار الخلود

ولما كان الإنسان في هذه الحياة كثير التنقل والأسفار من بين صلب أبيه وترائب أمه إلى القرار المكين رحم الأم ومن هناك إلى دار الدنيا ومن الدنيا إلى دار البرزخ ومن دار البرزخ إلى دار القرار كان لا بد له من تذكرة سفر إلى دار الخلود ، وإليك يا أخا الإسلام مواصفات التذكرة وشروطها حسب الأرقام التالية :

١ - الإسم :

الإنسان صغيراً كان أو كبيراً ذكراً أو أنثى .

٢- الجنسية :

من تراب قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾[١] .

٣- العنوان :

هذا الكوكب الأرضي قال تعالى : ﴿ **ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾[٢] .

﴿ **ألم نجعل الأرض كفاتاً ، أحياءاً وأمواتاً** ﴾[٣] . ويرحم الله من قال مخاطبا الإنسان .

ومهما حييت فلا بد أن
تموت فهل لك مايردع

وفي أرضنا مستقر لنا
إلى أن يحين بنا المرجع

(١) الروم اية ٢٠ .

(٢) البقرة آية ٣٦ .

(٣) المرسلات آية ٢٥ – ٢٦ .

٤- محطة المغادرة :

الدنيا التى قال الله فيها : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾[١] .

٥- جهة السفر :

إلى الدار الآخرة التي قال الله فيها : ﴿ **وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون** ﴾[٢] .

٦- موعد الرحلة :

قوله تعالى : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا** ﴾[٤] .

٧- شروط الرحلة :

على حضرات المسافرين الكرام اتباع التعاليم الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من طاعة الله ومحبته وخشيته وطاعة رسوله ﷺ باتباع مأمر واجتناب مانهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع ، إذ من شروط قبول العمل أن يكون خالصاً لوجه الله وصواباً على ضوء سنة رسول الله ﷺ وبقدر مايكون المؤمن مخلصاً وموفقاً ومرضي السلوك والعمل عند الله ، فإن مكانته تكون مع أهل الدرجات العلى قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾[٥] .

---

(١) طه آية ٥٥ .

(٢) الأنعام آية ٣٢ .

(٣) لقمان آية ٣٤ .

(٤) آل عمران آية ١٤٥ .

(٥) النساء آية ٦٩ .

٨- الأشياء المسموح بها مع المسافر إلى دار الخلود :

مايساوى مترين اثنين من قماش أبيض أو بمعنى أوضح ثلاث لفائف للرجل وللمرأة قميص وإزار وخمار ولفافتان ، كما يندب أن يكون مع ذلك قليل من الحنوط والروائح الطيبة وما سوى ذلك لا يسمح به قطعاً ، قال رسول الله ﷺ «يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله» . [رواه البخارى ومسلم] ، هذا وللتأكد من المعلومات يرجى الاتصال بمضامين الشريعة وعلمائها الكرام قال تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**﴾[2] وقال تعالى : ﴿**فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنامن المجرمين منتقمون**﴾[4] .

ملاحظة :

الاتصال يكون بتعاليم الشريعة الإسلامية مباشرة بجد ومثابرة ولا داعي للتراخي والتكاسل قال تعالى : ﴿**خذوا ماآتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون**﴾[5] وقال تعالى : ﴿**يايحي خذ الكتاب بقوة**﴾[6] .

---

(١) النحل آية ٤٣ .

(٢) البقرة آية ٢٨٢ .

(٣) التوبة آية ١٢٢ .

(٤) السجدة آية ٢٢ .

(٥) البقرة آية ٦٣ .

(٦) مريم آية ١٢ .

كلمة نصح وتوجيه للمسافرين إلى دار الخلود :

بادر إلى الأعمال ما	دمت بذي الدنيا مقيم
يا من يحدث نفسه	بدخول جنات النعيم
إن كنت متقياً فأنت	على صراط مستقيم
لاترجون سلامة	من غير ماقلب سليم
فاسلك طريق المتقين	وظن خيراً بالكريم
واذكر وقوفك خائفاً	والناس في كرب عظيم
إما إلى دار الشقاوة	أو إلى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد	وتب إلى الرب الرحيم

الأماكن التي تباع فيها التذاكر إلى دارالخلود :

المساجد التي قال الله فيها : ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال ، رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[١] .

هذا وقد تضمن هذا البحث المتواضع والسفر النافع إن شاء الله جملة صالحة من وسائل التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة نثراً وشعراً وإيراد قصص وضرب أمثال قال تعالى : ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾[٢] ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾[٣] كما تناولت في هذا البحث أحكاماً هامة تتعلق بالميت وما ينتفع به بعد موته من ثواب الأعمال الصالحة وذكرت أوجه الخلاف الوجيه في

(١) النور آية ٣٦ – ٣٨ .

(٢) الأعراف آية ١٧٥ .

(٣) الحشر آية ٢١ .

بعض المسائل بين أئمة الإسلام وعلماء الدين الذين بلغوا درجة النظر وحازوا مكانة الاجتهاد وصدق الله القائل : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[1] .

* * *

(١) النساء آية ٨٣ .

سبب تأليف الكتاب

ولقد كان موت والدي رحمه الله(١) من الأسباب التي أثرت علي في الاقتناع بالدخول في هذا الموضوع الذي هو مستقبل البشرية جمعاء فاستعنت بالله في بحث المصادر والنظر فيها ومطالعتها عزاءاً لنفسي وراحة لضميرى إنه جواد كريم ، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، **﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإنى من المسلمين﴾** وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) لقد كانت وفاته رحمه الله في ضحي يوم الأحد ٢٤ / ٥ / ١٤٠٧ هـ عن عمر جاوز الثمانين تقريباً بعد سلسلة من الامتحانات الربانية دامت حوالي ١٦ عاماً تقريباً اللهم أنزله منازل الأبرار وقه فتنة القبر وعذاب النار آمين . أما الوالدة فقد كان وفاتها يرحمها الله بعد غروب شمس يوم الإثنين ودخول ليلة الثلاثاء ١٩ / ٤ / ١٤١١ هـ رب اغفرلي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .

ويرحم الله من قال

أمـــر على المقـــابر كل حين ولاأدري بأي الأرض قـــبـــري

وأفـــرح بالغنى إن زاد مـــالي ولا أبكي على نقـصـان عـمـري

لاشك أن الموت هو القيامة الصغرى من مات فقد قامت قيامته ، فإن قوماً من الأعراب سألوا النبي ﷺ عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : «إن يعش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليه ساعتكم» ، [رواه مسلم] .

ورحم الله من قال :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غـــداة أقل الحـــاملون جنازتي

وعـجل أهلي حـفـر قـبري وصيروا خـروجي وتعـجيلي إليـه كـرامتي

كـأنهم لم يعـرفـوا قط صـورتي غـــداة أتى يومي على وليلتي

* * *

هل للموت نذر ورسل لابن آدم

نعم إن للموت لنذر عديدة ورسل كثيرة قال تعالي : ﴿**أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**﴾[1] [روي عن الإمام الطبري رحمه الله أنه كان يقول : « النذير في هذه الآية هو الشيب »[2] .

ورحم الله الشاعر حيث قال :

رأيت الشيب من نذر المنايا ... يذكرني بعمر لي قصير

تقول النفس غير لون هذا ... عساك تطيب في عمر يسير

فقلت لها : المشيب نذير عمري ... ولست مسوداً وجه النذير

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أعذر الله إلى رجل آخر أجله حتى بلغ ستين سنة » [رواه البخارى والحاكم والنسائى والطبراني بروايات مختلفة .

« ويقال : إن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت : أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟ فقال نعم لي والله رسل كثيرة من العلل والأمراض والشيب والهرم وتغيير السمع والبصر فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فإن قبضته ناديته ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول ونذيراً بعد نذير فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير »[3] .

ولاشك أن الفاصل بين الموت والحياة خيط دقيق ووقت قصير ولما كان الموت كأس كل الناس شاربه وباب كل الناس داخله كما قال الشاعر :

الموت باب وكل الناس داخله ... ياليت شعري بعد الموت ماالدار

---

(١) فاطر آية ٣٧ .

(٢) انظر الحياة البرزخية ص ٢٩ .

(٣) انظر السفينة الماخرة ٢٥ ، والحياة البرزخية ٢٩ .

الدار جنة خلدٍ إن عـــملت بما يرضي الآله وإن قــصــرت فــالنار

لذلك فهو لا يفرق بين صغير وكبير ولابين مريض وسليم ولا بين ذكر وأنثى وإنما : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾[1] .

* * *

(١) النحل آية ٦١ .

الموت عبارة عن انتهاء فترة الإقامة في هذه الدنيا

إذا كانت حكومات الأرض اليوم قد تعارفت على اختلاف مللها ونحلها على وضع قانون الجوازات وإثبات الجنسية فإن خالق الحكام والمحكومين قد سن نظام الإقامة لكل إنسان في هذه الحياة وفاوت سبحانه بين مدد هذه الإقامة المضروبة لبني البشر لحكمة يعلمها سبحانه : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[1] فقد تكون معدودة باللحظات أو الساعات بالأيام أو الشهور بالأعوام أو الدهور وصدق الله القائل : ﴿ **وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾[2] .

* * *

(١) الملك آية ١٤ .

(٢) فاطر آية ١١ .

الهدف من الإقامة في دار الدنيا

والغرض من ذلك تحقيق قوله تعالى : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** ﴾[١] .

وإذا كانت رخصة الإقامة الزمنية بالنسبة لمن قبلنا من الأمم الغابرة مديدة نوعاً ما لبعض الأفراد أو الجماعات كما قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون** ﴾[٢] .

فإن هذه الأمة كما في الحديث عن النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي وصححه الألباني[٣] « وأعمار أمتي مابين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » أما واقعنا اليوم وعلى بعد ألف وأربعمائة وعشر سنوات فإن الوفيات في الشباب والكهول أكثر منها في الشيوخ المسنين كما تفيد بعض الإحصائيات العالمية والواقع أكبر شاهد .

ومــــاهي إلا ليلة بعــــد ليلة ويوم إلى يوم وشــهــر إلى شــهــر

مطايا يقــربن الجــديد إلى البلى ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبـر

وصدق الله القائل : ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[٤] .

---

(١) الملك آية ٢ .

(٢) العنكبوت آية ١٤ .

(٣) من حديث أبي هريرة ، ورواه أبو يعلى من حديث أنس انظر : (صحيح الجامع ج ١ / ٢ / ٣٥٤) .

(٤) الجمعة آية ٨ .

ضرب مثل للميت من الواقع، والحديث عن حب الوطن

هذا وإذا كان المغترب عن بلاده والنائي عن وطنه لايعيش في بلد غير بلده وشعب غير شعبه إلا بعد أن يتخذ الإجراءات القانونية لجواز سفره ورخصة الإقامة لفترة محدودة ضمانة لطمأنينته ، وإذا انتهت فترة الإقامة وخلصت مدتها عمل على تجديدها ويتكبد المشقات والصعوبات المادية والنفسية في سبيل نيلها والحصول عليها ، ثم يعمل بعد ذلك جاهداً على تحصيل مطلوبه أثناء إقامته في غربته ولايتمتع إلا بالقليل من محصول رزقه ومعيشته ، أما أغلب المال ووافر المحصول من رزقه فإنه بلى شك يخزنه في حقيبته أو يرسله إلى أهله وذويه شهرياً أو سنوياً ، وذلك لينعم بين الأهل والبنين في التمتع بهذا الرصيد المالي فى وطنه الأساسي الغالي عبر الأيام أو الشهور أو الأعوام ، إذ حب الوطن غريزة نفسية ، وطبيعة بشرية ، فطر الله الإنسان عليها ، يشعر بذلك ويحس به جميع الناس من جميع الأجناس ، إذ يجدون في الوطن راحتهم وسعادتهم وأنسهم وهناءتهم ، وفي حكم الماضين : الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بعيداً والطيور إلى أوكارها وإن كان موضعها مجدباً والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعاً ، ولذلك قيل : إذا أردت معرفة الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه .

وقال الشاعر :

بلاد ألفناها على كل حـــالة ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

ونستعذب الأرض التي لاهوى بها ... ولاماءها عذب ولكنها وطن[1]

---

(١) فمهما ضاق الوطن أو اتسع لتفاوت الأفهام والتعاريف ، فإن وطن المسلم الحق والمؤمن الصادق ، حيث يجد الضمانة الحقيقية لحرية إسلامه وإقامة دينه . قال تعالى : ﴿ ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ [العنكبوت : ٥٦] ومن هنا ياتي قول الشاعر في تعريفه لوطن المسلم الكبير :

وطني الدنيا وربي خالقي ... وأخي كل تقي في البشر

هذا ومن أراد المزيد من الحديث عن الوطن وحقيقة الوطنية ، فليراجع كتاب «الإنذار المبكر للمؤلف هو=

ولكن الإسلام بمثله العليا ومبادئه السامية ، وشريعته العادلة ، هذب هذا الحب الغريزى للوطن أيما تهذيب ، فجعله مبنياً على أساس من العقيدة الصحيحة ، والقيم الفاضلة المتعددة ، لا لذاته العقيمة المجردة .

ومن هنا تتجلى الحكمة التي تقول : « حب الوطن من الإيمان » وقال ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » [رواه البخارى] .

وهكذا جاء الإسلام بتعاليمه الفاضلة يبارك هذا الحب للوطن وينميه ويغذيه ويرويه فيوجب القيام بخدمته والدفاع عنه بل افتداؤه بالنفس والمال قال تعالى : ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**﴾[1] كما نجد فيما قصه الله علينا عمن قالوا : ﴿**ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا**﴾[2] تأكيداً لهذا الحب وتنويها بفضله .

وقال ﷺ مخاطباً مكة البلد الأمين مسقط رأسه ومكان نشأته لما خرج مهاجراً : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلي ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » [رواه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم ، وصححه الألباني .

* * *

= مهيىءللطبع إن شاء الله .

(١) الحج آية ٣٩ – ٤٠ .

(٢) البقرة آية ٢٤٦ .

ضرب مثل من الواقع مع الفارق الكبير بين الميت والمغترب

هذا وكم يكون الإنسان سعيداً جذلان فرحا بما تحقق له بغربته رغم صعوبتها من أمنيات كعمارة البيت وتكوين الأسرة والحصول على مصدر لرزقه وسعة وجاهته ، وكم تكون فرحة أهله وذويه بلقائه ومقابلته يوم قدومه ، فلا ترى المغترب الذى جمع له في غربته الأدب أو الذهب إلا مكرماً في قومه غالباً معززاً فيهم ، يقابلونه بالتجلة والاحترام والمودة والإكرام . قال الشاعر :

الناس أتبــاع من دانت له النعم ... والويل للمــرء إن زلت به القــيم
المال زين ومن قلت دراهمــه ... حي كــمن مــات إلا أنه صنم
لما رأيت أخــلائي وخــالصــتي ... والكل مــستتر عني ومحــتشم
أبدوا جفاء وإعراضاً فقلت لهم ... أذنبت ذنبا ؟ فقالوا : ذنبك العدم

قال غيره :

لــكــل شــيء زيـنـة فـي الـورى ... وزيــنــة المــرء تمــام الأدب
قــد يشـــرف المرء بآدابه ... فــينا وإن كــان وضــيع النسب

وذلك عكس المغترب الفاشل الذي عاش في أرض الغربة سنين ثم جاء بعد ذلك صفر اليدين .

وعاد كما يقال بخفي حنين ، فإن أقاربه غالباً فضلاً عن غيرهم يهون أمره في أنظارهم بل ربما كان محل السخرية لديهم يضيقون به ذرعاً ولا يلقى منهم طاعة ولا سمعاً فهو لذلك لا يعيش بينهم إلا حزيناً كئيباً ولا يرى نفسه فيهم إلا كالغريب ولله در الشاعر إذ قال :

مـا الناس إلا مع الدنيـا وصـاحـبـهـا فكلمـا انقلبت يومـاً به انقلبـوا

يعظمـون أخـا الدنيـا فـإن وثبت يومـاً عليـه بما لايشـتـهي وثبـوا

رغم أن فترة إقامته على حد سواء في الغربة أو الوطن قابله بمشيئة الله لو طال به العمر للتحول من القبيح إلى الحسن ، هذا لو أخذ بما حصل عليه الدرس فعمل جاهداً على أن يكو يومه أحسن من الأمس وجعل نصب عينيه قول الشاعر :

وكل مـقل حين يغـدولحـاجـة إلى كل مـايلقى من الناس مـذنب

وكـانت بنواعـمي يقـولون مـرحبـا فلمـا رأوني مـعـدمـاً مـات مـرحب

ومن هنا نعلم أنه إذا كان عز الدنيا بالمال فعز الآخرة لايكون إلا بصالح الأعمال، هذا ولما كان ضرب الأمثال كوسيلة إيضاح للإفهام قال تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نـضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون** ﴾[١] .

* * *

(١) العنكبوت آية ٤٣ .

حقيقة الدنيا في نظر الإسلام

والدنيا مهما ظهرت بزخرفها وفتنت ببريق لمعانها فإنها كما وصفها خالقها ومبدعها سبحانه وتعالى : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما ء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله علي كل شيء مقتدرا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً** ﴾[1] عمرها مهما طال فهو بالنسبة لعمر الأخرة قصير ، وعيشها مهما لذ وطاب فهو بالنسبة لعيش الآخرة حقير ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الدنيا كلها من أولها إلى آخرها كنفس واحد من نفس الآخرة ، وفي صحيح مسلم من حديث المستورد بن شداد قال : قال رسول الله ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل مايجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما يرجع » ، قال بعضهم : « ما الدنيا إلا قدر يغلى وكنيف يملي » بل قال بعضهم : « ضرب الله مثلا للدنيا بمايخرج من جوف ابن آدم »[2] وصدق من قال :

قد نادت الدنيا علي نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددت مايجمع

وصدق الله القائل : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال ، والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وماالحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[3] ، [روي عن النبي ﷺ من حديث عثمان رضي الله عنه قال : « العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه ،

---

(١) الكهف آية ٤٥ – ٤٦ .

(٢) وفي الحديث الشريف « أن الله تعالى جعل مايخرج من بني آدم مثلاً للدنيا » رواه أحمد والطبراني في البيهقي وحسنه الألباني وفي رواية « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه » انظر صحيح الجامع .

(٣) الحديد آية ٢٠ .

وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء ، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحاسيئاته ، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه» . [أخرجه الحافظ الموصلي ، وروي من غير هذا الوجه في مسند الإمام أحمد][1] .

وللشيخ صالح بن أبي شريف الأندلسي :

ابن عشر من السنين غلام ... رفعت عن نظيره الأقلام

وابن عشرين للصبا والتصابي ... ليس يثنيه عن هواه ملام

والثلاثون قوة وشباب ... وهيام ولوعة وغرام

فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فكمال وشدة وتمام

وابن خمسين مر عنه صباه ... فيراه كأنه أحلام

وابن ستين صيرته الليالي ... هدفا للمنون وهي سهام

وابن سبعين لاتسلني عنه ... فابن سبعين ماعليه كلام

فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... بلغ الغاية التي لاترام

وابن تسعين عاش ماقد كفاه ... واعترته وساوس وسقام

فإذا زاد بعد ذلك عشراً ... فهو حي كميت والسلام

* * *

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة الأحقاف .

فترة إقامة الإنسان في الدنيا محدودة ومجهولة الانقطاع، فهل من مدكر؟

ولذلك فكيف يتصور من حصل على رخصة إقامة لفترة زمنية محدودة في هذه الدار وجعل كل مايهمه فيها أن يأكل ويشرب ويلهو ويلعب فبينما هو كذلك مستغرق في حبها حريص على جمعها قد أعماه زخرفها وخدعه بريق متاعها اللذيذ عن الواجب الذي خلق من أجله ألا وهي عبادة الله الذي خلقه فسواه وبنعمه غذاه كما قال تعالى : ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾[1] حتى جاءه الموت فلم يمهله ومهما طرح له من عذر فلن يقبله .

قال تعالى : ﴿ **إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون** ﴾[2] ، فهناك وفي هذا الموقف الحرج والموت يأتيه من كل مكان فيطلب الرجعه إلى الدنيا لإصلاح حاله قائلاً : رب ارجعون فلا يجاب إلا بمثل قوله تعالى : ﴿ كلا ﴾ وهي كلمة زجر وردع ﴿ **إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ إلي يوم يبعثون** ﴾[3] ومن هنا ندرك أن رخصة فترة الإقامة الإلهية لبني البشر تختلف تماماً عن رخصة الإقامة التي تقطع من بعضهم لبعض وذلك أنها لاتقبل التجديد والتمديد فمن فوجيء بانتهاء إقامته في دار الدنيا على غير أعمال صالحة وتجارة أخروية رابحة لقي الله ولاحجة له ، قال يزيد الرقاشي : « بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزل له قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعاً مغضباً فقال له : من أنت ومن أدخلك على داري؟ فقال : أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فالذى لايمنع مني الحجاب ولاأستأذن علي الملوك ولاأخاف صولة المتسلطين ولايمنع مني كل جبار عنيد ولاشيطان مريد ، قال فسقط

---

(١) الذاريات آية ٥٦ ـ ٥٨ .

(٢) يونس اية ٤٩ .

(٣) المؤمنون آية ١٠٠ .

في يده الجبار وارتعد حتى سقط منكباً على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستنجداً متذللاً له فقال له : أنت إذاً ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي حتى أحدث عهداً ؟ قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل قال فإلي أين تذهب بي قال إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال فإني لم أقدم عملاً صالحاً ولم أمهد بيتاً حسناً قال فإلى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتاً بين أهله فمن بين صارخ وباك ، قال يزيد الرقاشي : لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكبر »[1] ولله در من قال . .

لادار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

أجل قد يعيش الفتى سبعين عاماً مثلاً وهو في كد ونكد وجهاد وسعي متواصل متتابع فينقطع أمله ويحضر أجله ويأخذه الموت من كل مكان وهو لايزال لها جامع وفيها طامع ومنها غير قانع ، وكأنما دخل داراً ليشتريها فدفع الثمن ، وأخذ السكن وقبل أن يتمكن انهدمت عليه فخسر المشتري وربح البائع ، وصدق الشاعر حيث قال . .

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سروراً وأنعما

كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ماقد بناه تهدما

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا إن الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالماً ومتعلما » ، [رواه الترمذي]، وقال حديث حسن وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « ماأصبح أحد إلا وهوضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة » وفي ذلك قال الشاعر . .

وما المال والأهلون إلا وديعة ولابد يوماً أن ترد الودائع

وقال بعضهم : « الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب »

---

(١) انظر إحياء علوم الدين كتاب الموت ٤ – ٤٦٨ .

وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

وماهي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها

هذا ويقال : «لما بعث الله محمداً ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا مأبالي ألا يعبدوا الأوثان وإنما اغدوا عليهم وروحوا بثلاث : أخذ المال من غير حله وإنفاقه في غير حقه وإمساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع» . وقال يحي بن معاذ : «العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وذكر أناس الدنيا وأقبلوا على ذمها عند رابعة العدوية فقالت : اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ماأكثرتم من ذكرها إن من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

ألا إنما الدنيا كجيفة ميتة وطلابها مثل الكلاب الهوامس

وأعظمهم ذماً لها وأشدهم بها شغفاً قوم طوال القلانس

وقال بعضهم : «الدنيا مزبلة ومجمع كلاب وأقل من الكلاب من عكف عليها فإن الكلب يأخذ من الجيفة حاجته وينصرف والمحب للدنيا لا يفارقها بحال» ، ولما قيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت ؟ قال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولامانرقع

فطوبى لعبد آثر الله وحده وجاد بدنياه لما يتوقع

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد آثر في جنبه قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال : «مالي وللدنيا ماأنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» [رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

فرويد بنفسك ياطالب الدنيا فرزقك مقسوم وأجلك محتوم ومصير مائنت فيه إلى الزوال وحسبك منها ما يكفيك ويغنيك عن السؤال والالتماس لما في أيدي الناس من ضروريات الحياة لنفسك والعيال ، وصدق رسول ﷺ حيث قال فيما

اتفق عليه الشيخان « فوالله ماالفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : « إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » [متفق عليه] ، وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » [رواه مسلم] .

* * *

الأيام الخمسة في نظر بعض العارفين

هذا ولاشك كما قيل : أن الأيام خمسة يوم مفقود ويوم مشهود ويوم موعود ويوم مورود ويوم ممدود ، أما اليوم المفقود فهو الذى مضى ولن يعود وهو الذى يناديك فجره يابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم مني فإني لاأعود إلي يوم القيامة :

تزود من حياتك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد

ولاتركن إلي الدنيا كثيرا ... فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وأما اليوم المشهود فهو اليوم الذى أنت فيه وهو الذى يناديك:

تزود من التقوي فإنك لاتدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً ... وقد نسجت أكفانه وهو لايدرى

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

أما اليوم المورود فهو الغد المجهول الذى اختص الله تعالى بعلمه قال تعالى : ﴿ **وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا** ﴾[1] .

وقال الشاعر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم مافي غد عمي

فأعد الزاد الكافي له ياأخا الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد**

---

(١) لقمان آية ٣٤ .

التقوى واتقون ياأولي الألباب ﴾[1] وقال الشاعر :

تزود من التـقـوى فـإنك راحل	ومـــا المال والأهلون إلا ودائع
وسارع إلي الخيرات فيمن يسارع	ولابـد يـوم أن تـرد الـودائـع

هذا وأما اليوم الموعود فهو يوم لقاء الله ، قال تعالي : ﴿ **واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين** ﴾[2] وقال تعالي : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين ، فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ، إن هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم** ﴾[3] .

يامن تقـدم جـده وأبوه	وصـديقـه سكن الثرى وأخـوه
وغـدا إلى دار البلى أترابه	ومضى إلى حفر القبور بنوه
ورأى مصارع أخوة وقرابة	بين الثـرى في برزخ سكنوه
هلا أتيت قبورهم فسألتها	عنهم وعن مافي القبور لقوه
فلتخـبرنك أن أحكام البلى	تجرى عليهم مذهموا وطنوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الذى	عملوه مكتوباً كما عملوه
ما زادت الحفظاء في أعمالهم	مثقال خردلة ولانقصوه
يامعشر الإخوان إن سبيلكم	كسبيلهم في كل ماسلكوه

---

(١) البقرة اية ١٩٧ .

(٢) البقرة آية ٢٢٣ .

(٣) الواقعة ٨٣ – ٩٦ .

ولكم نصيب في البلى كنصيبهم	وكأنه قد حل فانتظروه
ومحجب قد غره حجابه	لما أتاه الموت ماحجبوه
لكنهم سحبوه فوق سريره	وتكفلوه بأربع حملوه
ساروا به حتى إلى دار البلى	بيت له تحت الثرى قبروه
حتى إذا ماغيبته أكفهم	بين الجنادل في الثرى تركوه
وتفرقوا عن بابه وتبدلوا	باباً سواه وغيروا ونسوه

قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقي عمله » [متفق عليه] ولذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإن مما يخفف الحساب عليكم غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر » ﴿ **يومئذ تعرضون لاتخفي منكم خافية** ﴾(١) هذا وأما اليوم الممدود فهو اليوم الذي ينادي فيه ملك الملوك فاطر السموات ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ ثم يجيب نفسه بنفسه ﴿ **لله الواحد القهار ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب** ﴾(٢) في ذلك اليوم العصيب في ذلك اليوم الرهيب يقف الناس بين يدي الله وينظر كل امرىء ماقدمت يداه ويجتمع الناس في عرصات القيامة وهم حفاة عراة ، يسمعهم الصيت ، ويبصرهم الناظر من أبعد الموقف ، وأدناه ، يوم الزلزلة ، يوم القارعة ، يوم الحاقة ، يوم الواقعة ، يوم الحسرة ، يوم الغاشية ، يوم الصاخة ، يوم الطامة الكبرى ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ، يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ، أجل ياأخا الإسلام ففي ذلك الجمع المهيب والموقف الرهيب تذهل العقول وتنعقد الألسنة ويستغرق الإنسان في بكائه وقد ألجمه العرق وتغشاه، وخشعت الأصوات للرحمن فلا يتكلم إلا من أذن له الله من ملائكته وأنبياه ، وتطايرت

---

(١) الحاقة آية ١٨ .

(٢) سورة المؤمن ١٧ .

الصحف ونصب الميزان وتجلى الله ، لفصل القضاء بين عباده الطائعين والعصاة ، فهناك وما أدراك ما هناك تظهر جرائم ويتمنى أقوام أن يزج بهم في النار ولاتظهر قبائح أعمالهم على الحي الدائم وهناك تتحقق النصفة بأدق معانيها ويؤمر بالمظلوم أن يتقدم وبالظالم أن يقف لأخذ الحق منه وهو صامت لايتكلم ، فكيف الخلاص وأين النجاة؟ ﴿ **يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله** ﴾ .

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت ... حراً على رؤوس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... ورأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا الوحوش لدى القيامة حشرت ... وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحاً ... وعجائباً قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف المقيم على الذنوب دهور؟

قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال يابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط فيقول لا والله مامربي بؤس قط ولارأيت شدة قط » [رواه مسلم] .

فيا أخا الإسلام اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك صم عن الدنيا التي تشغلك عن طاعة الله حتى تفطر على الموت ، وأعد الزاد لأطول ليلة لايكون صبحها إلا يوم القيامة صباح ذلك اليوم الذى قال الله تبارك وتعالى فيه :

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾(١)

فطوبى لمن وحد ربه وعبد ، وصام وقام وصلى وزكى وأنفق وتصدق وبر وأحسن وجاد بما لديه في سبيل الله وعلى جود ربه اعتمد ، ويا سعادة من وفقه الله لمجاهدة نفسه الأمارة بالسوء وجاهد هواه وشيطانه في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وحفظه الله من الشرك صغيره وكبيره والشك والنفاق والعجب والكبر والفخر وبغض الناس بغير حق والأنانية والحسد ، ويا ندامة من في الباطل خاض وجرد من لسانه مقراض لتمزيق الأعراض بالزور والبهتان والغيبة والنميمة والسب والشتم والسخرية ووقف لعباد الله بالمرصد ، يتتبع عوراهم ويعد سيئاتهم ويا ويح من طغى وبغى واعتدى ، ونعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد ، قال بعض الصالحين رحمه الله تعالى « مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها ثم قلت لنفسي ماتريدين قالت أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً فقلت لها فأنت إذا في الأمنية فاعملي » .

أمـا والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

وصدق الله القائل :

﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ، أن تقول نفس ياحسرتى علي مافرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى

---

(١) الزمر آية ٦٩ – ٧٠ .

العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ، بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ، ويوم القيامة ترى الذي كذبوا علي الله وجوهم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ، وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾[1] .

* * *

(١) الزمر آية ٥٤ – ٦١ .

معرفة الإنسان حقيقة نفسه يدعوه إلي الإيمان ونسيان ذلك ضلال مبين

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله «عجبت لابن آدم يتكبر على وجه الأرض وهو حفنة من ترابها وكيف يتكبر وهو الذى تنتنه عرقة وتؤذيه بقة وتقتله شرقة ، أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين هذا وذاك يحمل العذرة» .

وصدق الله القائل :

﴿ **وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾[1] فلو رمدته عيناه أو أوجعه ضرسه أو عصرته بطنه أو جرح عضو من أعضائه لبطلت جميع قواه وضاعت تلك العنترة والعضلات التي كان يباهي بها وغاب نعيم سنين في ليلة واحدة حل عليه السقم فيها ومهما بذل من الأموال لشراء الصحة والعافية وتجشم من أجلها الصعوبات متنقلاً من مستشفى إلى مستشفى ومن بلد إلى بلد لايستطيع أن يجلب لنفسه العافية إلا بإذن الله الذي خلقه فسواه وبنعمه غذاه يحيطه تعالى بلطفه وبعين عنايته يرعاه إذا ماوقع في المعصية ، أمهله وإذا تاب منها قبله وإذا دعاه بإخلاص وصدق استجاب له ولباه ، وإذا استعان به في الشدة أعانه ونجاه وإذا سَأَلهُ بصدق أعطاه وإذا ذكره فهو لاينساه :

﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ماتذكرون** ﴾[2] .

***

---

(١) النساء آية ٢٨ .

(٢) النمل اية ٦٢ .

مقطوعة أدبية لأصحاب الضمائر الحية

يا تائهــاً في الغي من أعــمــاكــا ... وبحب دار الســوء من أغــراكــا
تعـصي الإله ولم تخـفـه وكم وكم ... أولاك من نعــمــاه مــا أولاكــا
ولكم قـبـيح كنت تخـفـيـه ولو ... علم الصــديق بفـعله لجـفـاكـا
والرب يعلمــه ولم يكشــفــه بل ... أجــرى بالسنة العــبــاد ثناكــا
قم فـاغنم الخمس التي منهـا الشبـا ... ب بهـا النبي المختـار قـد أوصـاكـا
ودع التــصــابي والملاهي واتخــذ ... لك صــاحــبــاً ينقــذك من بلواكــا
مــاضــرنا غــيــر الجليس وغــرنا ... وأضـاعنا فـتـحـر في جلســاكـا
مــاينفع المجــروب قــرب منك بل ... بالسـقم والجـرب المضـر عـداكـا
فكأنني بك قـد ندمت وقـد قـرعت ... السن تعــذل يافــتى ندمــاكــا
ياليـتني قـد كنت في أهل الهـدى ... فـسـمـعت قـول الناصـحين هناكـا
ياليـــتني لم أتخـــذ زيداً ولا ... عــمـراً خليـلاً لا ولا الضـحـاكـا
ولئن ندمـت أخي فلست براجع ... شـيـئـاً ولو بكت الدمـا عـيناكـا
راقب إلهك واشكر النعــمــا لمن ... من نطفــة جل الذي ســواكــا
واعلم بأنك يافـــتى منه بمرأى ... فـــهـــو في كل الشــؤون يراكــا
هل أوبة هل خـشـيـة هل رجـعـة ... هل توبة ترضي بهــا مــولاكــا
لاتفـــتننك رونق الدنيــا ومــا ... قـد حـسنتـه من الخـيـال عـداكـا
لاتفـــتننك صــحـــة ومــلابس ... ومــآكل شــغلتك عن أخــراكــا
هلا اعـتـبـرت بمن ترحل عنك من ... آبـاك أو أصنـاك أو أبنـاكــــا

أين الركـوع وأين إدمـان السـجـود ... إذا غـفـا الخـالي وأين دعـاكـا

أين التـململ والتـضـرع خـشـيـة ... من قـبح وزرك يافـتى وخطاكـا

فدع الحـماقـة والسـفـاهة واستبق ... عـجل المنايا قـبل أن تفـجـاكـا

كم ذا تفـرط والمنيـة عـينهـا ... في كل مـاحين مـضى ترعـاكـا

هذا كـتـاب الله يدعـوك فـقم ... وانهض ولب وخل من ألهـاكـا

* * *

كل مافي الدنيا إنما هو نماذج لما في الآخرة مع الفارق الكبير من خير وشر وقبح وجمال

المسلم الحق والمؤمن الصادق يعلم أنه راحل من الدنيا ومسافر إلى دار القرار ، ويعلم أن الله عز وجل قد جعلها دار امتحان واختبار وخلق فيها من آثار رحمته من مشتهيات وملذات مما هو نفحة من نفحات الآخرة التي هو فيها على وجه التمام والكمال وليشوق بها عباده المؤمنين المخلصين إليها فيهتز المؤمن برؤيتها طرباً وسروراً إلى مأمامه فيها ، وذلك لأن الشيء يذكر بجنسه والنعيم كذلك يذكر بالنعيم ، كما أوجد سبحانه في هذه الدار ماهو من اثار غضبه ونقمه من العقوبات والبلايا والمحن والمكروهات ما يستدل بجنسه على ما في دار الشقاء والنكال من العقوبات المتنوعة والسلاسل والأغلال ليحذر بها عباده المؤمنين كل الحذر حتى لايقعوا في الخطر فجعل سبحانه وتعالى الحياة في هذه الدار ممزوجة بالخير والشر والنعيم والعذاب وليس هذا كله مهما عظم جمال خيره واشتد قبح شره إلا نماذج مصغرة لا غير بالنسبة لما يكون في دار الأبد من الخير والشر فالشيء بالشيء يذكر ، قال تعالى في وصف نار الدنيا : ﴿ **نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم** ﴾[1] ، هذا ولا شك أن الدنيا إذا حلت أوحلت وإذا جلت أوجلت وإذا كست أوكست وكم من رجل رفعت له علامات فلما علا مات ، قال الشاعر :

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

---

(١) سورة الواقعة الآية ٧٣ - ٧٤ ، قوله تعالى ﴿نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين أى نحن جعلنا النار التي تورونها بمعنى تقدحونها وتستخرجونها من الشجر الرطب تذكرة لنار جهنم ومتاعا يتمتع بها للمقوين أى الذين ينزلون القوى وهي الأرض الخالية البعيدة عن العمران أثناء سفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما المقوين المسافرين وقال مجاهد رحمه الله للحاضر والمسافر المستمتعين بالنار من الناس أجمعين «إنظر ابن كثير والخازن» وإذا كان الانتفاع بها فيما مضى للمسافر والمقيم قاصراً على أمور محدودة فإن الاستمتاع بالنار اليوم ومشتقا... تها العديدة قد شمل الكثير من مرافق الحياة البشرية بوسائل شتى لاتدخل تحت حصر ولاتخص مصر دون مصر بأسلوب غريب وتطور عجيب ليس قاصراً على مايحصل التمتع به منها =

وروي في الحديث : « لولا ثلاث ماطأطأ ابن آدم رأسه : الفقر والمرض والموت وإنه مع ذلك لوثاب »[١] أجل : لولا الأمل لم يهدأ لأهل الدنيا بال ولم يستقر لهم قرار ، يقال : لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة إن الأرض لا تسعهم قال إني جاعل موتاً قالوا إذ لا يهنأ لهم العيش قال إني جاعل أملاً . ورحم الله من قال أملك يابن آدم طويل وأجلك قصير وخير هذه الحياة قليل وشرها كثير فأنت تبني وتهدم وتنقض وتبرم وتقدر فتخطىء التقدير وتقول وتغفل وتترك وتدبر فتأتي الأمور مخالفة للتدبير وتسيء الاكتساب وتسوف بالمتاب وتستبعد الموت لأنك صحيح أو صغير وإنما يموت المريض والكبير فهلا تذكرت من مات فجأة وأخذ بغتة واستسلم كا الأسير فأمسى أميراً وأصبح غير أمير وتم أجله وانقطع عمله وأسلمه إلى الله أهله وانقطعت عنه المعاذير وفي القبر يسأله منكر ونكير وإذ ذاك يعلم المصير أفي الجنة أم في السعير ، ولذلك فاعلم ياأخا الإسلام أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك الذين قال الله فيهم : ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[٢] .

قال الحسن البصري رحمه الله : « من أراد الدنيا على الآخرة عاقبه الله بست عقوبات ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي في الدنيا فأمل ليس له منتهى وحرص غالب ليس له حد وأخذ منه حلاوة العبادة وأما التي في الآخرة فهول يوم القيامة والحساب الشديد والحسرة الطويلة » .

= في الطعام والشراب والأنارة فحسب بل بالحرارة الناريه والمحركات البخاريه قربت المسافات وتيسرت الاتصالات وتطورت وسائل النقل براً وجواً وبحراً وتقدمت بها الحضارة عموماً تقدماً كبيراً » ولاشك أن ذلك ليدعوا العقلاء من أهل الإيمان .

إلى التأمل والأدكار والتفكر والاعتبار وتسبيح الله الواحد القهار والذي يبدوا ان في الآية الكريمة من الكشف العلمي إن صح التعبير ماهو جدير به واليق وصدق الله القائل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ [فصلت الآية ٥٣] .

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١٨ / ص ٢٠٦ .

(٢) سورة الجمعة الآية ٨ .

وحتى لايغتر بالدنيا مهما نال منها قال رسول الله ﷺ : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء» [رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح] ، وعن جابر رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق فمر بجدي اسك[1] ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم فقالوا مانحب أنه لنا بشيء ومانصنع به ثم قال أتحبون أنه لكم قالوا والله لو كان حياً كان عيباً أنه أسك فكيف وهو ميت فقال والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» [رواه مسلم] ، ورحم الله الشاعر حيث قال :

إنما الدنيا كظل زائل ... هاهنا طوراً وطوراً هاهنا

عجباً للمرء لايجهل ما ... كتب الله عليها من فنا

كيف يقضي العمر فيها متعباً ... بين تأسيس ونقض وبنا

أنا أدرى الناس بالدنيا ولا ... سيما الدنيا التي فيها أنا

وقال رسول الله ﷺ «ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه أو ثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء» رواه الترمذى] ، وقال : حديث صحيح.

* * *

(١) الأسك صغير الأذنين أو مقطوعهما .

نحو ماخلفه رسول الله ﷺ وقصة طريفة لابن حجر

وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها قال: «ماترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» [رواه البخارى].

وصدق الشاعر إذ قال:

إنما الدنيا بلاغ	ليس في الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت	نسجته العنكبوت
ليس للطالب فيها	كل يوم غير قوت
كل من كان عليها	عن قليل سيموت

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني ألا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين» [متفق عليه]، وعنه ﷺ أنه قال «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [رواه مسلم]، يروى أن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى حينما كان قاضي القضاة مر يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة راكباً بغلته إذ هجم عليه يهودي زيات وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام البلغة وقال ياشيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها فقال الحافظ: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأنى في سجن وأنت بالنسبة لما أعد الله لك فيها من النكال والعذاب المهين كأنك الآن في جنة فأسلم اليهودي[1].

---

(١) انظر: السفينة الماخرة ص ١٩، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٣ / ٥٤٦

تعـــال وأحكم رباط البـــصـــر | وســـدد بحـــزم ســـهـــام النظر
وقلب صـــحـــائف تلك الحـــيـــاة | وفكر فـــإن الحـــيـــاة فكر
رأيت الحـــيـــاة كـــمـــاء الســـمـــاء | يغـــذي النبـــات ويروى الشـــجـــر
فـــينمـــوا وتأتي عليـــه الرياح | فلم تبق شـــيـــئـــاً به أو تذر
كـــذاك ابن آدم شب صـــغـــيـــراً | وظـل إلـى أن أتـاه الـكـبـــر
ومـــهـــمـــا يطل عـــمـــره بيننا | فـــلا بد يومـــاً له من ســـفـــر
نظام التـــغـــيـــر عم الحـــيـــاة | فـــمـــا أي شيء أتى واســـتـــمـــر
فـــيـــوم يـجـيء بـظـل وبرد | ويوم يـجـيء بشـــمـــس وحـــر
ويوم نـســـاء بأفـــعـــالـه | ويوم بتلك الفـــعـــال نســـر

***

الأوطان الأربعة التي يتدرج فيها الإنسان عبر رحلته الطويلة إلى الله

لاشك بأنه لكل نفس في حياتها الدنيوية والأخروية دوراً أربعاً وكل دار متميزة عن الأخرى بخصائص كثيرة ، كما أن كل وطن منها أعظم من الوطن الذي قبله وأطول زمناً من سابقه وماضيه والله عز وجل ينقل هذه النفس في هذه الدور من حال إلى حال حتى يبلغها دار القرار التى لا يصلح لها غيرها ولايليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل إليها وللنفس في كل وطن أو دار من هذه الدور الأربع شأن غير شأن الدار الأخرى فسبحان من أبدع وصور وخلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا .

* * *

مراحل الإنسان مرتبة في الأوطان الأربعة

الدار الأولى بطن الأم فالجنين في بطن أمه تغشاه ظلمات ثلاث في أول وطن يسكنه وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وهي الغشاء الذى يشمل البدن كله داخل الرحم[1] ويخرج معه عند الولادة عبارة عن كيس أو غلاف جعله اله وسيلة لحفظ هذا الإنسان وزوده بخصائص عجيبة قال تعالى : ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ﴾[2] ، وهو في هذه الدار التي توطنه لأول مرة ينتقل في تكوينه من خلق إلى خلق فمن نطفة إلى علقة ومن علقة إلي مضغة ومن مضغة إلى عظام عارية من اللحم إلى مكسوة لحماً إلى مخلوق في أحسن تقويم قد دبت الحياة وسرت فيه الروح سريان الماء في العود الأخضر أو النور الكهربائى المتوهج في أسلاكه المتشابكة وانبعثت في كل أعضائه حتى أصبح بشراً سوياً مخلوقاً عجيباً قال تعالي : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾[3] وهذه الدار بالنسبة لما بعدها أقصر الدور الأربع أمداً وأضيقها مجالاً وأخفاها أثراً وأضعفها احتمالاً لكنها بالنسبة للجنين دنيا كاملة بسعتها وضخامتها وكل ماهو حوله فيها وذلك لأن من حكمة الله الذي أحاط بكل شيء علماً والقائل : ﴿ **سبحانه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ أن جعل العقل والتفكير وسائر الخصائص الإنسانية تنموا وتترعرع في كل دار من هذه الدور بحسب الواقع الذي يعيشه الإنسان فلو سئل الجنين أثناء إقامته في بطن أمه وأمكنه

---

(١) يقول علماء الحياة ووظائف الأعضاء أن الرحم كيس عضلي كمثرى يقع خلف المثانة أمام المستقيم طوله يبلغ حوالي سبعة من السنتمترات وعرضه كذلك وسمكه يبلغ حوالي اثنتين ونصف من السنتمترات والقرآن الكريم سماه « قرار مكين » .

(٢) الزمر آية ٦ .

(٣) المؤمنون آية ١٢ - ١٤ .

مثلاً سماع الكلام وقيل له أخرج إلينا أيها الجنين من محيطك الضيق إلى رحابنا الفسيح فنحن في دنيا واسعة الأرجاء مترامية الأطراف فيها الهواء والفضاء والشمس والقمر والنجوم فيها البحار والأنهار والحقول والأشجار والزهور والثمار وو . . .الخ ولو أمكنه الجواب لقال أنا في دنيا أوسع من دنياكم ومقيم في وطن أرحب من وطنكم ولظن بأن خروجه من وطنه الأول رحم أمه موت محقق فلو أمكنه أن يعقل ويفهم ويسمع في هذه الدار الأولى ويتكلم لكان ذلك كله نابعاً من محيطه الذي يعيشه وواقعه الذي هو فيه وهذا من كمال لطف الله بعباده ورحمته لهم وحكمته فيهم فسبحان الحكيم الذي لايفعل إلا الأصلح والعدل الذي لايؤاخذ إلا بذنب : ﴿ **قل أأنتم أعلم أم الله** ﴾[(١)] نعم لو كان في البطن توأمان اثنان فولد أحدهما قبل الآخر ورأى المتأخر في بطن أمه خروج أخيه الذي نزل قبله ففارقه وقد كان معه لقال : إنه مات ودفن في الأعماق . ولو رأى المشيمة التي كان ملفوفاً بها جسده وهي ملقاة مثلاً مع القمامة لظن بأنها أخوه ولجعل يبكي عليها كما تبكي الأم حين ترى جسد ولدها الذي كانت تخشى عليه مس الغبار قد أودع في التراب ، ولاتدري أن هذا الجسد كالمشيمة قميص قد توسخ وألقي ، وثوب انتهى وقته وانقضت الحاجة إليه فهو مثلا كثوب جديد لبسته فترة محدودة ثم طرحته إلى حين ويعود إليك يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولكن ياترى أتظن أن هذا الجسم الذي يعود إليك يوم القيامة يحمل داخله الخصائص نفسها التي كان يحملها في الدنيا الجواب قول الله تعالي : ﴿ **وننشئكم فيما لاتعلمون** ﴾[(٢)] ، وهذا بلا شك من كمال عدل الله العليم الحكيم الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة وجعل رحمته سبحانه تسبق غضبه تفضلاً منه وإحساناً كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » ، [متفق عليه][(١)] .

---

(١) البقرة آية ١٤٠ .

(٢) الواقعة آية ٦١ .

فالذى علم عباده كيف يتخذون وسائل العلم والمعرفة لاستيعاب الاختصاصات والمعلومات كل في مجاله ، ولولا ذلك لما صار العالم اليوم وكأنه شبكة واحدة ومدينة متصلة بعضها ببعض ولما أنفقت الدول والحكومات والجمعيات والمؤسسات أموالاً طائلة على أشخاص مخصصين باللياقة الكاملة بعد الفحص والاختبار وذلك للتدرب على فهم التقنية الحديثة والأجهزة الغريبة من المخترعات العجيبة التي أنارت هذا العالم وتقدمت الحضارة بواسطتها تقدماً عظيماً في كل المجالات على اختلافها كماً وكيفاً أسلوباً وممارسة وتطبيقاً ، فلولا الفترة الزمنية الطويلة التي خصصت لفهم ذلك لما وصلوا إلى شيء ولولا دعم الدولة والحكومة أو الجمعية والمؤسسة لهذا الصنف من الناس لما تحققت لهم نتيجة ، وهذا كله ونحن في دار الدنيا المحدود كل مافيها وماعليها من مخلوقات الله من كل صامت وناطق فما بالك بالآخرة والتي ليس فيها مما في الدنيا إلا الأسماء فقط ، أما الحقيقة والواقع فمما لاعين رأيت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، أتظن أن ذلك شيء سهل وأمر هين؟ فسبحان القائل فيما أشار إليه من النشأة الأخرى للإنسان بما يتناسب وواقع الدار التي لم يألفها والأوطان التي لم يعرفها بعد كما في الكتاب المكنون ﴿ **وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ ، ولاشك أنه ينكشف للإنسان بالموت مالم يكن مكشوفاً له في الحياة كما قد ينكشف لليقظان مالم يكن مكشوفاً في النوم والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ماينكشف له مايضره وماينفعه من الحسنات والسيئات قال تعالي : ﴿ **ينبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾[٢] .

* * *

(١) معني الغلبة والسبق في هذه الروايات كما قال بعض أهل العلم : كثرة الرحمة وشمولها واتساع دائرتها . وامثال هذه الأحاديث مما نؤمن بظاهرها كما وردت بلا تأويل .

(٢) القيامة آية ١٣ .

الموت عبارة عن ولادة جديدة ، وضرب مثل من واقع الاختراعات العصرية

وبناءً على ماسبق فالموت في حد ذاته يعتبر ولادة جديدة وخروجاً من مرحلة مختصرة وقصيرة تعد بالأيام والشهور غالباً إلى مرحلة أطول منها قد يعد البقاء فيها بعشرات السنين وأرحب منها سعة وأوسع منها محيطاً ألا وهي دار الدنيا دار الكفاح والكدح دار العمل ، وطن عالمنا المشاهد الذى نعيش فيه والذى كلفنا فيه بتكاليف مستطاعة لنا إذا نحن وفقنا للعمل بها على الوجه الأتم والحال الأكمل ، سعدنا في هذه الدار وفي دار القرار ، وإن أهملناها وتركناها وراءنا ظهرياً خسرنا خسراناً مبيناً قال تعالى : ﴿**فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين**﴾[2] .

والإنسان في هذه الدار دار الكدح والعمل يتنقل من حال إلى حال كما عاش متنقلاً في الوطن الأول رحم الأم مابين نطفة وعلقة ومضغة حتى صار بشراً سوياً وهكذا في دار الدنيا يتطور من ضعف الطفولة إلى قوة الشباب ومن قوة الشباب إلى مرحلة الكهولة المتوسطة الناضجة إلى سن الشيخوخة بعد ذلك وضعف الكبر ثم إلى أرذل العمر وصدق الله القائل : ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير**﴾[3] وهذه الدار طبعاً مدتها أطول من الأولى وأسلوب حياتها التطبيقية يختلف فعلاً عن سابقتها تلك كماً وكيفا ومجالها كما عرفت أوسع وآثارها أشهر

---

(١) البقرة آية ٢٠٠ – ٢٠٢ .

(٢) القصص آية ٧٧ .

(٣) الروم آية ٥٤ .

وأظهر ، فمن آثارها أشجار باسقة وقصور شاهقة ووسائل نقل متعددة الأنواع حديثة الصنع منها السيارات والقطارات التي تسير ومنها السفن والغواصات التي تجوب البحار واعماق المحيطات وطائرات تحلق في جو السماء وأقمار صناعيه ومركبات فضائية ومخاطبات هاتفية وتبادل رسائل تلكسية وأجهزة ألكترونية تحل محل العصبة من رجال الأعمال ووسائل حضارة عمرانية واجتماعية ، وجمال فمن كهرباء ومذياع ينقل الكلام عبر الأثيز إلى أجهزة تنقل الصوت والصورة بطريقة عجيبة وأساليب غريبة إلى غير ذلك من المخترعات الحديثة والتي أدهشت العالم وحيرت الأفكار واستولت علي المشاعر وأخذت بمجامع القلوب مما قد أومأ إليه القرآن بطريق الإشارة كقوله تعالي : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق** ﴾[1] وقوله : ﴿ **ويخلق مالاتعلمون** ﴾[2] كما جاء في السنة النبوية كذلك بطريق الإشارة ولكنها قريبة من صريح العبارة وذلك فيما روي عنه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم » [رواه نعيم بن حماد أحد شيوخ البخاري في كتابه المشهور المعروف بكتاب الفتن من حديث سمرة بن جندب] ، ورواه البزار والطبراني في الكبير من حديث سمرة أيضاً بلفظ : « سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاماً تقولون هل كنا حدثنا بهذا فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة » [رواه أحمد في مسنده] ، بأصرح من هذا من حديث سمرة أيضاً من حديث طويل في وصف الدجال جاء فيه قوله ﷺ : « ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها في نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً » الحديث فلو لم يكن فيما جد ويتجدد على امتداد الزمان من التقنية الحديثة والمخترعات الغريبة والمصنوعات العجيبة علي تباينها واختلاف أنواعها كماً وكيفاً وأسلوباً وممارسة إلا هذا الحديث لكفى فإنه جامع للأخبار بكل عظيمة ظهرت أو ستظهر من الحوادث والمخترعات التي ما رآها أحد ولا حدث بها نفسه قبل ظهورها بل الكثير منها كان من قبيل المستحيل عادة ، فسبحان القائل في كتابه المصون : ﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وماربك بغافل عما تعملون** ﴾[3] .

---

(١) فصلت آية ٥٣ . (٢) النحل آية ٨ . (٣) النمل آية ٩٣ .

بعض ماورد في التوراة عن الموضوع وقصيدة من العطر اليماني

هذا ويقال إن في التوراة مكتوباً « يابن آدم جعلت لك قراراً في بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفر من الرحم وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك فأما الذي عن يمينك فالكبد وأما الذي عن شمالك فالطحال ، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك فهل يقدر على ذلك غيرى فلما أن تمت مدتك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن تقطع ولايد تبطش ولاقدم تسعى بها فأنبعت لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبناً خالصاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف والقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوي ظهرك واشتد أزرك بارزتني بالمعاصي واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد عليَّ وتسترت ممن يراك وبارزتني بالمعاصي في خلواتك ولم تستح مني ومع هذا فإن دعوتني أجبتك وإن سألتني أعطيتك وإن تبت إلى قبلتك » .

هذا وفي بعض الكتب المنزلة « أما تستحي ياعبدي تمشي فوق أرضي وتمشي تحت سمائي وتأكل من رزقي وتخالف أمري تتلذذ بنعمتي عليك وتستعين بها علي مخالفتي »[1] ورحم الله شيخنا محمد بن سالم البيحاني حيث قال في حق بعض الملاحدة الذين حاولوا صعود الفضاء وذلك سنة ١٣٨٣هـ قصيدة قد تناسب الموضوع نوعاً مَّا :

إلى أين تذهب يالكع	وترفع في السير أو تضع
أتذهب في ملكوت السماء	وفي صد أبوابها تطمع
أضاقت بك الأرض أم غضبت	عليك وفي الأرض متسع

(١) المصر نفسه ص ١٩ .

وهب أنهـــا غـــضـــبت وإذا ... خـــرجت فـــلا بد مـــاترجع
بلغت النجـــوم وخلفـــتـــهـــا ... فـــإمـــا إلى الشـــمس أو تصـــرع
تقـــول كـــمـــا قـــال فـــرعـــون إذ ... بـنـى الـصـــــرح علـي أطـلـع
تـــنـــازع ربـــك فـــي مـــلـــكـــه ... وتـــصـــنـــع دون الـــذي يـــصـــنـــع
فـــتـــخـــتـــرع الشيء ياعـــبـــقـــري ... ويفنيك مـــاكنت تخـــتـــرع
فللحـــــرب تصنع أسلحـــــة ... فـمـا السـيـف ماالرمح ما المدفع
ولسنا نـصـــــدق مـــــؤتمرات ... تقـــول الســـلاح ســـينتـــزع
فـــلا تكذبي ياوحـــوش الفـــلا ... علينا وإن طال مـــانخـــدع
مـــتى تطرح الطيـــر أظفـــارها ... مـــتى يطرحن نابه الســـبع
ولابد للمـــرء من مـــسكن ... هو القـــصـــر والقـــبـــر والمضـــجع
وقـــد يبـــتني القـــصـــر في ربوة ... ليـــســـكنه الملك الأنـزع
ويضـــرب يومـــاً بقنبلة ... وتمحي قـــواعـــده الأربع
وقـــبـــرك تجـــعله واســـعـــاً ... ويا ربما ضـــاق مـــتـــســـع
ويا رب كـــوخ وسكانه ... نجـــوم يزين بهـــا المطلع
وفي الفـــقـــر حـــال لأصـــحـــابها ... يطيب بهـــا العـــيش والمرتع
وفي صـــحـــة يقطعـــون الحـــيـــاة ... ويحـــســـن عندهم المقطع
وبالأغـــنـــيـــاء إذا دونـــوا ... حـــســـابهم يطمس المهـــيع
إذا حـــســـبـــوا كل مـــاقـــدمـــوا ... ومـــا أخـــروه ومـــاصنعـــوا
ومـــاهذه الدار في شـــأنهم ... لعـــمـــرك غـــيـــر الذي يفـــجع
إذا عظمـت قـــوة جـــاءها ... من الأمـــر مـــاعنده تخـــضع

وما من قوي ولا ظالم يخيفك إلا له مصرع
فيا من يحاول غزو النجوم إلى أين بالله ترتفع
إذا مابلغت إلى كوكب فهل لك ثمة مستودع
وهل أنت مستعمر فاتح تخيف الضعيف ومن يتبع
فلا والذى لا إله لنا سواه لتنكس ياMهطع
فهون عليك ولاتطلب المحال الذي سوف لايقع

مهما حاول الإنسان أن يظهر قوته فهو ضعيف

خلقت ضعيفاً وأي ضعيف **جداً** ولكنك الشبح المفزع
ومن شوكة لو أصبت بها يضيق بك البيت والمربع
ومن نملة في فراشك لا تنام وعينك لاتهجع
وأنت ملاقي الذى ينتهي إليه المبطيء والمسرع
ومهما سعيت فمالك من طعامك إلا الذى يشبع
وجسمك تستره خرقة يقدرها الشبر والأصبع
فسلم لربك ماأنت فيه فقد لاتضر ولاتنفع
وقد تجمع المال في مدة وفي لحظة ضاع ماتجمع
وتزرع شيئاً ولكنها تضيع الجهود وماتزرع
فعش معنا من بني آدم طبيباً وفي يده المبضع
فكن تاجراً مثلنا أو فكن زراعياً أو صانعاً ينفع
ومهما حييت فلا بد أن تموت فهل لك مايردع
وفي أرضنا مستقر لنا إلى أن يحين بنا المرجع[1]

(١) انظر العطر اليماني ص ١٢٣ : ط قطر .

أقرب مثل للدنيا ومافيها من تكاليف بالمدرسة والمنهج الدراسي للطلاب

هذا وباختصار فإن هذه الدار الثانية وهي الدنيا تمثلها المدرسة أو المعهد أو الجامعة بمنهجها الدراسي والأساتذة يقومون بمهمة التدريس لهذا المنهج والطلاب الذين يتلقون هذه الدراسة ثم درجات الرسوب والنجاح للطالب في فترة الامتحانات المختصرة والموسعة أثناء الدراسة بما في ذلك الاختبار المعيارى في نصف العام والاختبار الكبير والأخير في نهاية العام الدراسي وعلى ضوئه تظهر الحقيقة وعند الامتحان كما يقال يعز المرء أو يهان ، وكذلك الدنيا فإنها تماماً تمثل المدرسة أو المعهد والجامعة ومن عليها من البشر يمثلون الطلاب وأنبياء الله ورسله ومن بعدهم من العلماء العاملين والدعاة الخلصين إذ هم ورثة الأنبياء والمرسلين يمثلون الأساتذة القائمين بمهمة تدريس المنهج الدراسي لطلابهم ، والمنهج الدراسي تمثله الشريعة الإسلامية بأصولها وفروعها فالكتاب والسنة بحران يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقد تكفل الله لمن عمل بالقرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قال تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقي** ﴾[١] كما توعد المعرضين عنه بقوله تعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي** ﴾[٢] .

هذا وأما الامتحانات المتعددة أثناء الدراسة فتمثلها البلايا والمحن النازلة في النفس والأهل والمال والولد قال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين** ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾[٤] .

---

(١) طه آية ١٢٣ .

(٢) طه آية ١٢٤ .

(٣) البقرة آية ١٥٥ .

(٤) الأنبياء آية ٣٥ .

الهدف من وراء الامتحانات والاختبار

هذا وإذا كان الهدف من وراء الاختبار للطالب هو معرفة مدى فهمه والتزامه وتطبيقه لما عقل من دراسته وفهم من معلوماته فكذلك الغاية والهدف من الامتحانات الإلهية والاختبارات الربانية ترى ذلك جلياً في قوله تعالي : ﴿**آلم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾(١) وحتى لايشتد بنا الهم والغم عند حصول الامتحانات المؤلمة والاختبارات المفجعة قال تعالى : ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتي يقول الرسول والذين آمنوا معه متي نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾(٢) وفي الحديث الشريف : « واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً »(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الرياح تفيؤه ولايزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لاتهتز حتى تستحصد » [رواه مسلم] ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال ﷺ : « يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عليه البلاء ولايزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتي يلقى الله وما عليه خطيئة » صححه الترمذي ومن هنا نفهم أنه كلما ازداد فضل الطالب وعرف بذكائه الحاد وموهبته المصقولة كلما شدد عليه الامتحان وبالأخص الموضوع الدراسي الذي له أبعاده وثقله في الأمة إذا تقلد مسؤوليته أو الحكومة إذا كان مرشحاً للقيام به فيها .

وكذلك الله الذي ليس كمثله شيء يربي عبده المؤمن على السراء والضراء

---

(١) العنكبوت آية ١ – ٣ .

(٢) البقرة آية ٢١٤ .

(٣) رواه البخاري .

ليستخرج منه عبوديته فليس المؤمن الحق والمسلم الصادق ذلك الذي إذا أصابته نعمة فرح بها وبطر وإذا مسه الضر أستبد به القلق والجزع فيئس من كرم الله وقنط من رحمة الله وأصبح على حد قوله تعالي : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علي وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾[1] . وإنما المؤمن الحق والمسلم الصادق من كان على حد قوله تعالى : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾[2] وعلموا أنها من عند الله القائل : ﴿ **وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير** ﴾[3] وكذلك استسلموا لقضاء الله وقدره النازل عليهم منزلة الاختبار والإمتحان وجعلوانصب أعينهم قول الله تعالى : ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلي الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[4] . وإذا علم الله سبحانه علم ظهور وإلا فهو الذي أحاط بكل شيء علماً حقيقة ذلك منهم فإنه يكافئهم بهذه الجوائز الثمينة والغالية وكل واحدة منها لاتثمن بالدنيا وما فيها من الحطام فقال جل شأنه وعز سلطانه : ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾[5] . فبالله عليك ياأخا الإسلام والإيمان هل هناك قيمة للشهادة الدراسية على الحصيلة العلمية مهما كانت عالية وعظيمة إذ قصارى جهدها أن ترشحك لمخالطة الوجهاء والزعماء والعظماء من بني آدم في دار الدنيا ، والدنيا فانية وكل من فيها مثل هؤلاء وغيرهم سيعودون عما قريب هياكل بالية وعظاماً نخرة : ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا** ﴾[6] لكن شهادة الله الذي بيده ملكوت كل شيء والقادر على كل شيء إذا منحتها مكافئة على طاعتك وحسن استقامتك ابتغاء وجهه تعالى

---

(١) الحج آية ١١ .

(٢) البقرة آية ١٥٦ .

(٣) الحديد آية ٢٢ .

(٤) التوبة آية ٥١ .

(٥) البقرة آية ١٥٧ .

(٦) الكهف آية ٤٦ .

فإن موقعك منها عند قوله تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليما** ﴾[1] ، وزيادة في الأجر والنعيم والثواب العظيم للذين وفقهم الله بتحقيق أنواع الصبر كافة على الامتحان الذي نزل بهم والاختبار الذي وجه إليهم متمثلا بالصبر علي طاعة الله بالاستمرار عليها والصبر علي معصية الله بالابتعاد عنها مهما تشوقت إليها أنفسهم وأغرتهم شياطين الجن والإنس للوقوع فيها أياً كانوا على حد قول الله تعالي : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾[2] والصنف الثالث من الصبر ، الصبر على أقدار الله المؤلمة في النفس والمال والأهل والولد فمهما أصيبوا بشيء من ذلك قالوا ﴿ **إنا لله** ﴾ أي ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ **وإنا إليه راجعون** ﴾[3]، فيجزينا أجر ما أصابنا وقد قال تعالى : ﴿ **إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[4] .

* * *

---

(١) النساء آية ٦٩ - ٧٠ .

(٢) الأعراف آية ٢٠٠ .

(٣) البقرة آية ١٥٦ .

(٤) الزمر آية ١٠ .

بعض ماورد من الأحاديث في فضل الصبر على أقدار الله المؤلمة

قالت أم سلمة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ : رواه مسلم ، وفي الحديث الشريف « مامن مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب » [راوه أحمد وابن ماجه] .

هذا وقد بين الله الهدف من كتابة المقادير قدر الخير وقدر الشر في الكتاب عنده كما في قوله تعالي : ﴿ **ماأصاب من مصيبة في الأرض** ﴾ أى من الجدب وآفات الزروع والثمار والزلازل المتلفة والبراكين المخيفة والفيضانات الجارفة ونحو ذلك ﴿ **ولا في أنفسكم** ﴾ أي من الأمراض والاسقام والموت ﴿ **إلا في كتاب** ﴾ هو اللوح المحفوظ مأصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ﴿ **من قبل أن نبرأها** ﴾ أي من قبل أن نخلق الأنفس ، قال رسول الله ﷺ « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة »(١) وزاد ابن وهب وكان عرشه علي الماء ، وقال قتادة : « بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولانكبة قدم ولا خلخال عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر »(٢) . إن ذلك علي الله يسير أي إن علمه تعالي الأشياء قل كونها سهل عليه عز وجل وذلك لأنه تعالي يعلم ما كان وماسيكون وماهو كائن ﴿ **لكيلا تأسوا علي مافاتكم** ﴾ أي أثبت وكتب ذلك كي لا تأسوا من الأسي وهو الحزن علي مافاتكم أي في الدنيا من ربح ونعيم ﴿ **ولاتفرحوا بما آتاكم** ﴾ أى ولكي لاتبطروا بما أعطاكم الله من زهرة الدنيا ونعيمها ، قال ابن عباس

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد ورواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

(٢) مختصر ابن كثير ص ٤٥٤ .

« ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبراً وغنيمته شكراً »[1] ولهذا قال بعض العارفين « من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب »[2] وقال بعضهم : « يابني المصيبة ماجاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك »[3] وقال عمر رضي الله عنه « ماأصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم الأولى أنها لم تكن في ديني الثانية أنها لم تكن أعظم مما كانت الثالثة أن الله يعطي عليها الثواب العظيم والأجر الكبير »[4] ، قال تعالى : ﴿ **إن الله لايحب كل مختال فخور** ﴾[5] أى لايحب كل متكبر معجب بما أعطاه الله من حظوظ الدنيا فخور به علي الناس فإن كان لابد من الفرح والفخر فليكن بما رزقه الله العبد من توفيقه لطاعته وحسن استقامته علي عبادته لاغير ، قال تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[6] وقد ورد أن المراد بفضل الله في هذه الآية الإسلام والمراد برحمته القرآن هذا وكل خير يصيب الإنسان فمرده إلى الله تعالي وحده وكل بر وسعادة ونجاة فمرده إلى رحمته جل شأنه ففضله تعالى ورحمته هما الموصلان إلى خيرى الدنيا والآخرة وصدق الله القائل : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾[7] .

* * *

(١) انظر صفوة التفاسير ٣٢٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر البيان ٨١ .

(٤) انظر أوضح التفاسير ٣٢٩ .

(٥) لقمان آية ١٨ .

(٦) يونس آية ٥٨ .

(٧) النحل آية ٥٤ .

الدار الثالثة

دار البرزخ التي تبتدىء بالموت وتنتهي بالبعث ، قال تعالي : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾[١] . قال الإمام مجاهد رحمه الله : « البرزخ الحاجز مابين الدنيا والآخرة » وقال محمد بن كعب : « البرزخ مابين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم » وقال أبو صخر : « البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يبعثون »[٢] هذا وفي قوله تعالى : ﴿ **ومن ورائهم برزخ** ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى : ﴿ **من ورائه جهنم** ﴾[٣] وقيل : البرزخ الأمر الهائل العظيم وعني به عذاب القبر[٤] .

***

(١) المؤمنون آية ١٠٠ .

(٢) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٥٧٥ .

(٣) إبراهيم اية ١٦ .

(٤) انظر : أوضح التفاسير / ٢٤٠ / وصفوة التفاسير .

تشبيه البرزخ من الواقع

هذا البرزخ أمر غيبي لايعرف كنهه وحقيقته إلا الله الذي خلقه وأخبر عنه وجعله مقراً لعبيده على اختلاف مللهم ونحلهم وصلاحهم وفسادهم ، ولعله والله أعلم عبارة عن صالة انتظار على منفذ من منافذ حدود البلاد فكما أن المسافرين قد بذلوا جهوداً مضنية من أخذ التأشيرة والختم على الجواز ونحو ذلك فإنهم بعد ذلك يبقون في الصالة ينتظرون تكامل الركاب من جهة وموعد الرحلة من جهة أخرى ولعل هذه المعاملة نموذج مصغر مع الفارق الكبير طبعاً لمن تحقق موته وتم سفره وغادر الدار الثانية إلى الدار الثالثة دار البرزخ فهو في انتظار لتكامل الموتى ضمن سلسلة طويلة المدى وكل نفس تعتبر حلقة من حلقاتها أولها آدم عليه السلام وآخر نفس تموت الله بها أعلم ، وكذلك العوالم الأخرى سواء في ذلك المنظورة أو المستورة عنا تعتبر حلقات في سلاسل متعددة فإذا توقفت الحياة وانتهى أمر الصادر والوارد جاء دور تحقيق قوله تعالي : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾[1] ، ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾[2] ، ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب** ﴾[3] .

* * *

---

(١) الزمر آية ٦٨ .

(٢) إبراهيم آية ٤٨ .

(٣) غافر آية ١٧ .

خروج الجنين من بطن أمه يمثل خروج الإنسان من وطنه

ولذلك ترى الجنين منذ خروجه من بطن أمه وانفصاله منها أول ما يجهش بالبكاء وكأنه التعبير الوحيد على مفارقة وطنه[1] وحنينه إلى مسقط رأسه في الدار الأولى التي تنامت فيها شخصيته والتي عاش فيها تسعة أشهر غالباً وكأنها تسع حجج من الستين ، حتى إذا رأى الضوء وتنفس الصعداء بصورة أكمل والتفت يميناً وشمالاً كل ذلك بحدود ما يسمح له الحال جعل يتلمظ بفمه وكأنها إشارة يطلب بها الإرضاع من ثدى أمه وكأن هذه المعرفة به سابقة رغم قربها وليس هذا قاصر على بني الإنسان بل يحصل ذلك حتى من الأنعام فمنذ خروج حمل البقرة أو الشاة ، مثلاً من بطن أمه إذا به يلتمس بفمه ثديها وسرعان مايهتدى إليه سبيلاً فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي .

* * *

(١) روي في الحديث : «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه ، حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه» . أخرجه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بقية ، عن جابر بن غانم السلفي ، عن سليم بن عامر الجنائزى مرسلاً هكذا ، أنظر : إحياء علوم الدين بتعليق العراقي (جـ ٤ / ٤٩٧) ، ولعل هذا علي سبيل المثل لتقريب المعني ، وإلا فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مامن بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها» .

ضرب مثل للموت من الواقع

فالموت إذا كما وصفه بعض كبار العلماء المعاصرين بقوله : إنه ولادة جديدة وخروج إلى مرحلة الحياة وماهذه الدنيا إلاَّ طريق حياتنا فيها كحياة المهاجر إلى أميركا إنه يحسن اختيار غرفته في الباخرة ويحرص على راحته فيها ويهتم بها ولكن هل ينفق ماله كله على تجديد فرشها ونقش جدرانها حتى لايبقى معه شيء فيصل إلى أميركا مفلساً خالي الوفاض أم يقول إن مدة بقائي في هذه الغرفة أسبوعاً فأنا أرضى فيه بما تيسر وأمشي فيه الحال وأدخر المال لإعداد الدار التي سأسكنها في أميركا لأن فيها المقام[1] وهذا المثل ينسحب على أى بلد غير أميركا وبالأخص إذا قاسه كل واحد بحسب رغبته في الجهة التي يعتاد السفر إليها كما أن مثل الباخرة كذلك ينسحب علي غيره من وسائل النقل الأخرى كالطائرة والقطار والسيارة كل بحسب مايهوى ، إذ الأمثال وسائل إيضاح وقد ضربها الله لعباده في القرآن حتى يكون الإنسان على بصيرة من الأمر ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة قال تعالى : ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**﴾[2] وفي هذه الدار الثالثة دار البرزخ تكون ضغطة القبر وضمته ونوره وظلمته واتساعه وضيقه ودخانه وخضرته وسؤاله وامتحانه وعذابه ونعيمه ، فالقبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، وقبل أن نتحدث عن الروح ومستقرها بعد الموت نتحدث عن الموت نفسه من حيث علاماته إذا نزل بالإنسان وسكراته وغمراته نسأل الله أن يهونه علينا آمين .

* * *

(١) انظر تعريف عام بدين الإسلام / علي الطنطاوي .

(٢) الحشر اية ٢١ .

سكرة الموت ومدى آلامه الشديدة

قال تعالى : ﴿وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد﴾[1] .

ولشدة ألمه وحرارة مذاقه قال تعالى ممتناً على عباده الصالحين الذين أكرمهم بجنته : ﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي ووقاهم عذاب الجحيم﴾[2] . ولذلك قيل إن للموت ألماً لا يعلمه إلا من نزل به وسكرات لايعرفها إلا من أحاط به وغمرات مزعجات للروح فظيعات إذ الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وذلك أن ضرب البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوة في البدن ولذلك يستغيث المضروب ويصيح ، أما من نزل به الموت فإنه ينقطع صوته عن الصياح لضعف قوته فإن الموت قد هد كل جزء من أجزاء الجسم فلم يترك قوة للإستغاثة فإن بقي له بعض قوة يسمع له عند نزع الروح غرغرة من حلقه وصدره وقد اصفر لونه وارتعدت فرائصه وبسطت يداه إشارة إلى أنه خرج من الدنيا ولم يأخذ منها شيئاً . هذا وبما أن الآم المخاض والولادة سبب لخروج الجنين من بطن أمه فكذلك الموت يكون سببا لخروج الروح عن الجسد من هذه الدار والموصل إلى دار القرار فيجد المحتضر له صعوبة وسكرات عند النزع وحال خروج الروح ، وكما أن آلام المخاض يتأثر بهاجسم المرأة دون جنينها غالباً فكذلك آلام الموت وشدته يتأثر بها الجسم دون الروح ، ولذلك قيل : لكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى تبلغ الروح الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة فقد صح أن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر ، وروي أن الملكين يتراءيان له عند الموت فإن كان صالحاً أثنيا عليه وقالا جزاك الله خيراً وإن كان صحبهما بشر قالا له لاجزاك الله خيراً[3] وفي الحديث الشريف : «لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت ثم إن الموت لأهون مما بعده» [رواه أحمد في

---

(١) ق آية ١٩ .

(٢) الدخان آية ٥٦ .

(٣) جمع الشتيت للصنعاني / ٣٧ .

المسند][1] ، ولذلك قال الشاعر رحمه الله :

تالله لو عــاش الفــتى في دهره ألفــاً من الأعــوام مــالك أمــره
مـتلذذا فـيـهـا بكل نفـيـسـة مـتنعـمـا فـيـهـا بنعـمى عـصـره
لايعـتـريه السـقم فـيـهـا مـرة كـــلا ولا ترد الهـــمــــوم بداره
مـــاكـــان هذا كله في أن يفي بميت أول ليلة في قـــبـــره

روى أن عمر بن عبد العزيز قال لتقي الدين الحسن البصري رحمهما الله : ياحسن عظني وأوجز قال : ياأمير المؤمنين صم عن الدنيا وأفطر على الموت وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة ، ولذلك قيل : الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، النفس طماعة عودها القناعة ، وصدق الله القائل : ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾[2] .

* * *

(١) انظر السفينة الماخرة ، وضعيف الجامع الصغير (جـ ٥ - ٦ / ٣٢) .

(٢) البقرة آية ٢٨١ .

مشهد رهيب لحالة من يعالج سكرات الموت

روي عن النبي ﷺ فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث وائلة ابن الأسقع «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحليم من الرجال والنساء يتحيرون عند ذلك المصرع وإن الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع» [وروي عنه ﷺ فيما أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده] من مرسل عطاء بن يسار : معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق منه يألم على حدة وأقرب مايكون عدو الله منه تلك الساعة ، قال السيوطي رحمه الله : مرسل جيد الإسناد أ هـ[١] .

ولما حضرت الوفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه قال له ابنه عبد الله : ياأبتاه كنت تقول لنا ياليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لنا مايجد وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال : والله يابني كأن جثتي في جب نار وكأني أتنفس من سم إبرة وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي . ثم أنشد يقول :

ليتني كنت قبل مابدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

فتمنى عمرو بن العاص أنه كان راعياً للتيوس الجبلية في أعالي الجبال وقممها ولم يتول إمارة من الإمارات ولم يمتلك مالاً من الأموال[٢] فانظر ياأخا الإسلام إذا كان هذا أحد الصحابة الأجلاء قال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾[٣] ، ﴿ **ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هو الراشدون** ﴾[٤] فكيف بغيره ممن لم

---

(١) انظر الحاوي للفتاوي جـ ١ / ص ٣٨٢ . إلا أن الألباني ذكره في ضعيف الجامع (جـ ١ / ٢ / ١٠٥) .

(٢) انظر الحياة البرزخية / ٣١ .

(٣) التوبة آية ١٠٠ .

(٤) الحجرات اية ٧ .

تشفع له سابقة ولاتشهد له لاحقة؟ اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك ياأرحم الراحمين .

* * *

العلامات الدالة على حصول الموت فعلا

قال بعض أهل العلم : من علامات الموت استرخاء القدمين واعوجاج الأنف وانخساف الصدغين وامتداد جلدة الوجه وعرق الجبين ، وفي الحديث الشريف : « ارقبوا الميت عند وفاته فإذا ذرفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه فهي رحمة الله قد نزلت عليه وإذا غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبدت شدقاه فهو عذاب من الله نزل به »[١] وعن بريدة عن النبي ﷺ قال : « المؤمن يموت بعرق الجبين » [رواه الترمذي والنسائي وأحمد بسند حسن][٢] ، وروى الترمذي حديثاً « إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ولا أحب موتاً كموت الحمار قيل وما موت الحمار، قال : موت الفجأة . وروى أحمد في مسنده وأبو داود بسند صححه الألباني عن عبيد الله بن خالد ، أن رسول الله ﷺ قال : « موت الفجأة أخذة أسف » .

* * *

(١) انظر نوادر الأصول للحكيم الترمذي / كما في السفينة الماخرة ص ٣١٣ .

(٢) انظر صحيح الجامع (جـ ٥ / ٦ / ٨) .

العلامة البارزة لخروج الروح

هذا ويذكر بعض العلماء المعاصرين من علامة خروج روح الإنسان أن تغمض عيناه قال ولكن النائم تغمض عيناه ، ثانياً : أن يتوقف النفس قال لكن الغريق غير الميت يتوقف نفسه لفترة ، ثالثاً : أن يتوقف القلب قال وقد يخفق القلب ويتوقف فترة ويعود للعمل مرة ثانية ، رابعاً : أن تتوقف حركة «السيتوبلازم» وهو العصير الموجود داخل كل خلية ويدور باستمرار قال وتفقد كل نواة سيطرتها على محتويات الخلية بعضها في بعض ويتغير تركيب كل خلية في جسم الإنسان ، قلت : ولعله ماعبر عنه بامتداد جلدة الوجه آنفا ، ثم قال : إذا كانت الأمارات الثلاث الأولى أمارات لاتكفي للتأكد من خروج الروح فإن هذه الأمارة الرابعة أمارة قوية جداً[1] ولهذا يجب التأكد من تحقق حصول الموت وخروج الروح فقد جاء في كتاب أحد الأطباء الغربيين بعنوان : «المدفونون أحياء» يروي بعض القصص كما قال الأستاذ نبيه عبد ربه : يظن القارىء لأول وهلة أنها من نسج الخيال ولكن الحقيقة غير ذلك . ثم قال : وقد ذكر المؤلف أن الإنجليز نشروا إحصائية رسمية عن الذين دفنوا قبل أن يموتوا في نهاية القرن التاسع عشر قال فكانوا في لندن وحدها بين (٢٥٠٠ - ٢٧٠٠) موؤدة سنوياً ثم قال ويتهجم المؤلف على الأطباء الذين يظنون أن مريضهم قد مات لأنه لم يستيقظ بالصدمات القوية ويقول : «إن هناك أشخاصاً تتركز حساسيتهم في منطقة تختلف عن المنطقة التي تتركز فيها حساسية الآخرين» . إن هؤلاء الأطباء يخلطون بين حالة التخشب وبين الموت ولا يعرفون أن كثيراً من الأمراض تؤدى إلى تخشب شديد يوقف القلب ويوهم بالموت .

* * *

---

(١) انظر توحيد الخالق للشيخ الزنداني - حفظة الله .

حقيقة علمية تؤكد خروج الروح

فلا يعتبر المريض ميتاً إلا إذا تأكد للطبيب أن دماغه قد توقف نهائياً عن العمل ، قلت : وهذه الحقيقة العمية سبقها قول الله تعالى : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد** ﴾[1] والسكرة هنا كما قال بعض العلماء المعاصرين ليست كسائر السكرات وإنما هي سكرة الموت ، قال وهي عبارة عن إغماء وغيبوبة شديدة يفقد المخ بسببها وعيه ويتوقف تماماً عن العمل . فالظواهر الأخرى لاتؤكد الموت كتوقف نبضات القلب إذ يذكر المؤلف أن طبيباً إنجليزياً يدعى واطسون كان قد راقب طفلاً هندياً استطاع أن يوقف قلبه ١٢ دقيقة ثم عاد قلبه للعمل ، كما أن توقف النفس لا يعني الموت إذ أن هناك أشخاصاً يتنفسون باطنياً ولايمكن اكتشاف تنفسهم بالوسائل الطبية التقليدية ، ويروي المؤلف قصة الكولونيل ونسيند الذي أوقف تنفسه لفترة طويلة أمام لجنة طبية حكمت عليه بالموت ولكنه عاد إلى التنفس وكرر التجربة أما تلك اللجنة من إصابته في اليوم التالي ولهذا أصدرت وزارة الصحة قانوناً يحدد مهلة الدفن بـ (٢٤) ساعة على الأقل وستة أيام على الأكثر ، هذا ويقول الأستاذ عبد ربه بعد ذكر قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفي الأنفس حين موتها** ﴾[2] [الآية] وقوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار** ﴾[3] .

وهذا يؤكد بأن الموت درجات وأنه لايحكم على المريض بأنه ميت إلا إذا توقف الدماغ نهائيا عن العمل وظهرت عليه علامات الموت والبلى ولهذا يجب ألا يتعجل أهل الميت بدفنه[4] .

---

(١) سورة ق آية ٢٣ .

(٢) الزمر آية ٤٢ .

(٣) الأنعام آية ٦٠ .

(٤) انظر مجلة المنار الظبيانية (منار الإسلام) ص ٢٩ / العدد ١٢ / ١٤٠٦ هـ .

وإتماماً للفائدة ننقل لك ماجاء في كتاب توضيح الأحكام تحت عنوان

ماهي حقيقة الوفاة ؟

قال الأطباء : جذع الدماغ هو المتحكم في جهازي التنفس والقلب والدورة الدموية ولذا فإن توقف جذع الدماغ وموته يؤديان لامحالة إلى توقف القلب والدورة الدموية والتنفس ولو بعد حين .

ولذا فإن لجنة « المجمع الفقهي » المكونة من أعضائها الشرعيين والأطباء وهم كل من :-

١- الشيخ مختار السلامي - مفتي تونس .

٢- الشيخ مصطفى الزرقاء .

٣- الطبيب أشرف الكردي - اختصاص الأمراض العصبية .

٤- الطبيب محمد على البار - اختصاص الأمراض الباطنية .

قرروا مايلي :-

بحكم النظرين الشرعي والطبي بأن الشخص قد مات إذا تبين فيه إحدى العلامتين :

الأولى :-

إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة بعده .

الثانية :

إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لارجعة فيه وأخذ الدماغ في التحلل ففي هذا الحال يسوغ رفع الإنعاش المركبة على المحتضر وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لايزال يعمل آلياً بفعل الأجهزة المذكورة . فى ١١ / صفر / عام ١٤٠٧ هـ .

أما مجلس المجمع الفقهي الإسلامي ففي دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة يوم السبت ٢٤ / ٢ / ١٤٠٨ – إلى يوم الأربعاء الموافق ٢٨ / ٢ / ١٤٠٨ هـ فنص قراره مايلي :

وبعد المداولة في الموضوع انتهى المجلس إلى القرار الآتي :

المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لارجعة فيه وإن كان القلب والتنفس لايزالان يعملان آلياً بفعل الأجهزة المركبة لكن لا يحكم بموته شرعاً إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفاً تاماً بعد رفع هذه الأجهزة وصلي الله وسلم على نبينا محمد .

قال محرره عفا الله عنه : مادمنا علمنا من الأطباء الخبراء أن موت الدماغ هو موت حقيقي لارجعة بعده وأنه يتبعه موت القلب لا محالة وإن استمر نبضه وضخه بفعل أجهزة الإنعاش فيعتبر نزع أجهزة الإنعاش عن المحتضر ليس قضاء عليه وتعجيلاً بموته لأنه في عداد الموتى طبياً . فيكون نزعها جائزاً شرعاً أ هـ[١] .

***

(١) انظر توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ البسام ٢ / ٤٩٥ – ٤٩٦ – ٤٩٧) .

حقيقة الموت عند علماء الشرع

جاء في كتاب السفينة الماخرة أن حقيقة الموت كما قال العلماء رحمهم الله تعالى أخذاً من النصوص الشرعية والبراهين العقلية هو أنه ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهراً وباطناً ومفارقة وحيلولة الروح عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ، قال تعالى : ﴿ **الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها ا لموت ويرسل الأخري إلى أجل مسمي** ﴾ أي يقبض الأرواح عند حضور آجالها ظاهراً وباطناً عند نومها ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والإحساس لاباطناً فإن الحياة والنفس والحركة فيه ، ولذا عرفوا النوم بأنه فطرة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك ، وقيل إنه غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء وأما في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً والمعنى : أنه تعالى يقبض الروح في حالتين في حالة النوم وفي حالة الموت فأما قبضه في حالة النوم معناه أنه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض وأما قبضه في حالة الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة ، فمعنى ويرسل الأخرى : أي يزيل الحابس عنها ويعيد الإحساس فيعود كما كان ، إذا « فتوفي الأنفس في حالة النوم بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفة محل الإدراك وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية فهي وفاة على وجهين وفاة كاملة حقيقية وهي الموت والأخرى وفاة النوم لأن النائم كالميت في كونه لا يسمع ولايبصر »[1] وصدق الله القائل : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمي ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[2] . واحسن من قال :

نموت ونحـــيـــا كل يوم وليلة ولابد من يوم نموت ولانحـــيـــا

قال الإمامان مفسرا القرآن الكريم عكرمة ومجاهد رحمهما الله تعالى « إذا نام

---

(١) انظر الحياة البرزخية ١٢ / ١٣ .

(٢) الأنعام آية ٦٠ .

الإنسان كان له سبب يجري فيه الروح وأصله في الجسد فتبلغ حيث شاء الله فما دام « أي الروح » ذاهباً فالإنسان نائم وإذا رجع إلى البدن انتبه الإنسان وكا بمنزلة شعاع الشمس وهو ساقط بالأرض وأصله متصل بالشمس » اهـ وهذا يؤكد ماذكرته بعض الكشوفات العلمية اليوم إذ تذكر مصادر روحية عالمية عن تمكنها من تصوير جسم لطيف يخرج من جسم النائم ويبقي متصلاً به ، كما تذكر أنها تمكنت من تصوير جسم لطيف أيضاً يخرج من جسم الميت مع وجود بعض أجسام أخرى في غرفة الميت وذلك بواسطة آلة تصوير دقيقة[١] وصدق الله القائل: **﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتي إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ، ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾**[٢] وفي هذا دليل على أنه إذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روح العبد كما قال تعالى : **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾**[٣] هذا ولملك الموت أعوان من الملائكة تصديقاً لقوله تعالى : **﴿توفته رسلنا وهم لايفرطون﴾** يقال إن ملك الموت يأمر أعوانه من الملائكة بنزع روح العبد الذي حضر أجله من جسده فينزعونها من العصب والعروق فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى ملك الموت قبضها بنفسه ، أخرج سعيد في سننه عن الحسن قال: « إذا احتضر المؤمن حضره خمسمائة ملك فيقبضون روحه فيعرجون به إلى السماء » الحديث . وقال سعيد في سننه أيضاً حدثنا سفيان عن عطاء « أن سلمان أصاب مسكاً فاستودعه امرأته فلما حضره الموت قال : أين الذين كنت استودعتك؟ قالت هو ذا قال فأدفيه بالماء أي بليه بالماء واخلطيه ورشيه حول فراشي فإنه يحضرني خلق من خلق الله لا يأكلون الطعام ولايشربون الشراب ويجدون الريح » وأخرج ابن أبي الدنيا عن مكحول قال : قال عمر : « احضروا موتاكم ذكروهم فإنهم يرون مالاترون » . ولابن أبي شيبة عن يزيد بن شجرة الصحابي قال : « مامن ميت يموت حتى يمثل له جلساؤه عند موته إن كانوا أهل لهو فأهل لهو وإن كانوا أهل ذكر

---

(١) انظر كتاب توحيد الخالق ص ١٢٢ الزنداني .

(٢) الأنعام آية ٦١ – ٦٢ .

(٣) السجدة آية ١١ .

فاهل ذكر»[1] ومما هو جدير بالذكر أن الملائكة التي تحضر لقبض روح ابن آدم على قسمين ملائكة الرحمة تبشر المؤمنين وتتولى قبض أرواحهم قال تعالى ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾[2] وملائكة العذاب تتولي قبض أرواح الفجار والمجرمين كما قال تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخوجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾[3] .

***

---

(١) انظر أحكام تمني الموت للإمام محمد عبد الوهاب ص ٩ / ١٠ .

(٢) فصلت آية ٣٠ .

(٣) الأنعام آية ٩٣ .

اختلاف وجهة نظر العلماء حول حقيقة الروح

اختلف العلماء رحمهم الله في حقيقة الروح إلى فريقين فريق أمسك عن الكلام حول حقيقة الروح وقالوا إنه أمر غيبي استأثر الله تبارك وتعالى بعلمه ولم يؤته أحداً من البشر وهذه الطريقة المختارة عند كثير من أهل العلم لقوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾[1] وعلى هذا حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فعن عكرمة رحمه الله قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الروح قال الروح من أمر ربي لاتنالوا هذه المسألة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله تعالى وعلم نبيه ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ ورحم الله من قال :

والروح مـا أخـبـر عنهـا المجـتـبى — فنمـسك المقـال عنهـا أدبا

* * *

(١) الإسراء آية ٨٥ .

وجهة نظر الفريق الثاني

وقال قوم من أهل العلم : لما لم يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالجواب كان ذلك تصديقاً لنبوته لأن سؤالهم أي اليهود سؤال تعجيز وتغليط لأن مسمى الروح مشترك بين روح الإنسان وجبريل وملك آخر يسمى الروح وصنف من الملائكة والقرآن وعيسى بن مريم عليهما السلام فلو أجاب عن واحد من أولئك لقالوا لم نرد هذا تعنتاً فجاء الجواب مجملاً ، كما سألوا مجملا لهذا اختلفت آراء ذوى القول الثاني ، واضطربت أقوالهم فقد نقل العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح هذا الاختلاف وتلك الأقوال ورد ما هو حقيق بالإبطال والزيف وذكر ماهو الحق في هذه المسألة وأوضح عليها الاستدلال ثم قال في خاتمة البحث : والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو أي الروح جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك شفاف ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في العود الأخضر وسريان الماء في الورد والدهن في الزيتون والنار في الفحم قال فما دامت هذه صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكاً بهذه الأعضاء بسبب ينافي الروح كاستيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت هذه الأعضاء بسبب ينافي الروح كاستيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك آثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح ، هذا وقد استدل رحمه الله على ذلك بأدلة كثيرة منها الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأدلة العقل والفطرة وأطال بذكرها حتي أوصلها إلى ستة عشرة ومائة دليل[1] .

وقال الدكتور حسن الشرقاوي :-

ويخلط علماء الروح الحديث خلطاً شديداً فيندفعون في دعاويهم الزائفة فيستجلبون أجساماً عن طريق الوسطاء زاعمين أنهم أحضروا الروح ويستخدمون لذلك وسائل مادية .

ويمكن القول بأن هذا النوع من الاتصال يتم بين الإنس والجن وليس للروح أي

---

(١) انظر كتاب الروح المسألة – ١٩ .

علاقة بهذه التجارب المادية لأن الروح من اختصاص الله وليست في مقدور الإنسان مهما تقدم العلم فإنه سيظل عاجزاً عن إدراك كنه الروح وأصحاب هذه التجارب خلطوا بين عالم الجن وعالم الروح فتجاربهم نوع من العبث والله أعلم[1].

* * *

(١) انظر توضيح الأحكام ٢ / ٤٩٨ .

الروح في القرآن على وجوه عديدة

١- أحدها :-

الوحي قال تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[١] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾[٢] وأما تسميته هنا روحاً فلما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

٢- الثاني :-

القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾[٣] .

٣- الثالث :-

جبريل الأمين عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ **من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾[٥] وهو أيضاً روح القدس قال تعالى : ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك** ﴾[٦] .

٤- الرابع :-

الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها أمر الله وقد قيل إنها الروح المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون** ﴾[٧] .

---

(١) الشورى آية ٥٢ .

(٢) غافر آية ١٥ .

(٣) المجادلة آية ٢٢ .

(٤) الشعراء آية ١٩٣ – ١٩٤ .

(٥) البقرة آية ٩٧ .

(٦) النحل آية ١٠٢ .

(٧) النبأ آية رقم ٣٨ .

٥- الخامس :-

المسيح بن مريم قال تعالى : ﴿ **إنما المسيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه** ﴾[١] هذا وأما أرواح بني آدم فقد صرح ابن القيم رحمه الله قائلاً فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى : ﴿ **ياأيتها النفس المطمئنة** ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ **أخوجوا أنفسكم** ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ **ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[٦] وقال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾[٧] وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح قال والمقصود أن كونها من أمر الله لايدل على قدمها وأنها غير مخلوقة وأما استدلالهم بإضافتها إليه سبحانه بقوله تعالى : ﴿ **ونفخت فيه من روحي** ﴾[٨] فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان : صفات لاتقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقه وكذلك وجهه ويده سبحانه والثاني : إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتيميز به المضاف عن غيره ، ثم قال فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد والخاصة تقتضي الاختيار مما خلقه كما قال تعالى : ﴿ **وربك يخلق مايشاء ويختار** ﴾[٩] وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة

---

(١) النساء آية ١٧١ .

(٢) الفجر اية ٢٧ .

(٣) القيامة آية ٢ .

(٤) يوسف آية ٥٣ .

(٥) الأنعام آية ٩٣ .

(٦) الشمس اية ٧ – ٨ .

(٧) آل عمران آية ١٨٥ .

(٨) الحجر آية ٢٩ .

(٩) القصص اية ٦٨ .

الخاصة لا من العامة ولا من باب إضافة الصفات فتأمل هذا الموضوع فإنه يخلصك من ضلالات كثيرة نسئل الله العافية بمنه وكرمه..

هذا وذكر ابن القيم رحمه الله أيضاً قوله في محكم القرآن من أوله إلى آخره يدل على أن الله تعالى خالق الأرواح ومبدعها[١] وأما قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربي** ﴾[٢]، فمعلوم قطعاً أنه ليس المراد هنا بالأمر الطلب الذي هو أحد أنواع الكلام فيكون المراد أن الروح كلامه الذي يأمر به وإنما المراد بالأمر ها هنا المأمور وهو عرف مستعمل في لغة العرب وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى: ﴿ **أتي أمر الله** ﴾[٣] أى مأموره الذي قدره وقضاه وقال له كن فيكون، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **فماأغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك** ﴾[٤] أي مأموره الذي أمره به من إهلاكهم وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وماأمر الساعة إلا كلمح البصر** ﴾[٥] قال فليس في قوله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربي** ﴾[٦] مايدل على أنها قديمة غير مخلوقة بوجه ما وقد قال السلف في تفسيرها جرى بأمر الله في أجساد الخلق وبقدرته استقر وهذا بناء على أن المراد بالروح في الآية روح الإنسان، وفي ذلك خلاف بين السلف بل كلهم على أن الروح المسؤول

---

(١) للمفسرين في هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وإذا أخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم ﴾ [الآية ١٧٢ من سورة الأعراف قولان أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فاقروا وشهدوا بذلك وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة والثاني أن هذا من باب التمثيل والتخيل والمعنى أنه سبحانه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلال والهدي فكانه أشهدهم على أنفسهم وقال لهم ألست بربكم فقالوا بلى . ذكره الصابوني في صفوة التفاسير قال والأول أصح .

(٢) الإسراء اية ٨٥ .

(٣) النحل آية ١ .

(٤) هود آية ١٠١ .

(٥) النحل آية ٧٧ .

(٦) الإسراء آية ٨٥ .

عنها في الآية ليست أرواح بني آدم بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم . وقد ثبت في الصحيح من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في حرة المدينة وهو متكيء على عسيب فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه عسى أن يخبر فيه بشيء تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام رجل فقال ياأبا القاسم ما الروح؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ فعلمت أنه يوحى إليه فقمت فلما تجلى عنه قال : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[1] ومعلوم أنهم سألوه عن أمر لايعرف إلا بوحي وذلك هو الروح الذي عند الله لا يعلمها الناس وأما أرواح بني ادم فليست من الغيب وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرها فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة قلت : وبهذا الملخص من التحقيق عن الروح يندفع وهم من قد يتوهم أن روح الإنسان جزء من ذات الله اتكالاً على ظاهر الآية : ﴿ **وروح منه** ﴾ فقد ذكر ابن القيم أنه لاخلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسي ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها واخترعها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه قال تعالى : ﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه** ﴾ أ هـ[2] فليس شيء من ذات الله في مخلوقاته وليس شيء من مخلوقاته في ذاته قال تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[3] فافهم ذلك جيداً ياأخا الإسلام .

* * *

---

(١) الإسراء آية ٨٥ .

(٢) الجاثية آية ١٣ .

(٣) الشورى آية ١١ .

تباين الأرواح وتميزها بعد الموت

قال ابن القيم رحمه الله : إن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن وتأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها ، وإنها تتأثر وتنفعل عن البدن كما يتأثر البدن وينفعل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبث منها كما تكتسبهما هي منه ، بل تميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان والأشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان ، فإن الأبدان تشتبه كثيراً وأما الأرواح فقلما تشتبه ويوضح هذا أننا لم نشاهد أبدان الأنبياء والأئمة وهم يتميزون في علمنا أظهر تمييز وليس ذلك التمييز راجعاً إلى مجرد أبدانهم بل بما عرفناه من صفات أرواحهم ، وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين وقل أن ترى بدناً قبيحاً وشكلاً شنيعاً إلا وجدته مركباً على نفس تشاكله وتناسبه وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه افة تناسبها ، ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال الناس من أشكال الأبدان وقل أن ترى شكلاً حسناً وصورة جميلة وتركيباً لطيفاً إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له قال : « وإذا كانت الملائكة تتميز من غير أبدان تحملهم وكذلك الجن فالأرواح البشرية أولى أهـ[1] .

* * *

(١) انظر الحياة البرزخية ص ١٧١ .

تخاصم الروح والجسد يوم القيامة

أخرج ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ماتزال الخصومة بين الناس حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله ملكاً يقضي بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير دخلا بستاناً فقال المقعد للضرير إني أري ها هنا ثماراً ولكن لا أصل إليهما فقال له الضرير اركبني فركبه فتناولها فأيهما المعتدي فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فإنكما قد حكمتما على أنفسكما[1] .

* * *

(١) انظر المصدر السابق ١٧٣ .

ماورد في فضل الموت وأنه كفارة لكل مسلم

نعم لقد وردت أخبار كثيرة في فضل الموت فقد روي عن النبي ﷺ فيما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير والحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا وغيرهم «تحفة المؤمن الموت»[1] أي بر له ولطف به . وروي عنه ﷺ فيما أخرجه الديلمي في مسنده من حديث عائشة «الموت غنيمة المؤمن» وروي عنه ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد في المسند وسعيد بن منصور «اثنان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب» وفي أثر رواه ابن لال «الدنيا لاتصفو للمؤمن كيف وهي سجنه وبلاؤه» وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بجنازة فقال : «مستريح ومستراح منه فقالوا : يارسول الله ماالمستريح وما المستراح منه فقال : العبد المؤمن يستيرح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله والعبد الفاجر يستريح من العباد والشجر والدواب» الحديث في الصحيحين ، وروي عن النبي ﷺ فيما أخرجه بان جرير وغيره عن ابن جريج[2] «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان قدما إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت» ولابن أبي حاتم عن عبادة في قوله ﴿ **فروح وريحان** ﴾ قال : الروح الرحمة والريحان يتلقى به عند الموت[3] ، ولذلك فالمؤمن من حين موته يخرج من ضيق إلى سعة وأن منزله بعد فراق الدنيا أوسع وحاله أرفع . قال بعضهم شعراً :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا ... في الموت ألف فضيلة لاتعرف

فيها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال ابن مسعود : مامن بار ولافاجر إلا والموت خير له من الحياة إن كان باراً فقد قال تعالى : ﴿ **وماعند الله خير للأبرار** ﴾[1] وإن كان فاجراً فقد قال الله

---

(١) انظر : ضعيف الجامع (٥ / ٦ / ٢٥) .

(٢) انظر الحياة البرزخية ص ١٦ .

(٣) انظر أحكام تمني الموت ١٣ .

تعالى ﴿ **ولايحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين** ﴾[٢] .

ولكن رغم هذا فلا ينبغي للمؤمن تمني الموت لأنه يشعر بعدم الرضا والتسليم بما قضاه الله وقدره عليه مما ألم به من شدة المرض ومرارة الألم إذ المرض طهور للمؤمن من الذنوب والموت قاطع له ، ولأن الحياة في طاعة الله نعمة جليلة للمؤمن وتمني زوالها أمر لاينبغي اللهم إلا إذا خاف على نفسه الفتنة في الدين ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لايتمنين أحدكم الموت ولايدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله » وفي الحديث الشريف « لاتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقة الله الإنابة » . [رواه أحمد والحاكم] عن جابر[٣] ولأحمد عن أبي هريرة « إلا أن يكون قد وثق بعمله » وعن أبي بكرة رضي الله عنه : أن رجلا قال يارسول الله أي الناس خير؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال : « فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله » [صححه الترمذى][٤] ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رجلان من – بلى حي من قضاعة – أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة السنة » . [رواه أحمد بإسناد حسن وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي بنحوه] . وفي رواية لغير أحمد : أليس قد مكث هذا بعده سنة فأدرك رمضان فصامه وصلى كذا وكذا سجدة في السنة ، فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض وصححه الألباني كما في صحيح الجامع وروى أحمد عن

---

(١) آل عمران اية ١٩٨ .

(٢) آل عمران آية ١٧٨ .

(٣) أحكام تمني الموت / ٣ / رواه ابن أبي شيبة والطبراني والحاكم . انظر السفينة الماخرة ص ١٧ .

(٤) انظر أحكام تمني الموت / ٤ / وكتاب كفارة الخطايا وموجبات المغفرة ٧٥ .

طلحة مرفوعاً «ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله» وروي عنه ﷺ فيما أخرجه الحاكم من حديث جابر رضي الله عنه «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً»(١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحيني ماكانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» . [أخرجه الجماعة بألفاظ متقاربة] .

* * *

(١) بل الحديث صححه الألباني عن جابر كما في صحيح الجامع (جـ ٥ / ٦ / ١٩) .

تحقيق عام حول الروح

اعلم ياأخا الإسلام أن عالم الأرواح يختلف كثيراً عن عالم المادة في أحواله ، وأطواره ، فالروح يجعلها الله عز وجل في البدن في الحياة الدنيا فيحس بها البدن ويتحرك ويدرك وتحصل له لذة وألم يقال في هذه الحالة أن الأنسان حي أما إذا فارقت الروح البدن وذلك عند انتهاء الأجل فإن هذه الآثار المتقدمة من الحس والحركة والإدراك وغير ذلك تبطل وفي هذه الحالة يقال : إن الإنسان ميت ، ولكن مع هذا فإن الروح في البرزخ تكون في دائرة أوسع عما كانت عليه في البدن أثناء إقامتها في الحياة الدنيا لأن البدن كالسجن أو القفص والروح محبوسة فيه[١] ، وأخرج أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز قال «إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار»[٢] .

* * *

(١) انظر الحياة البرزخية / ١٧٣ / بتصرف .

(٢) انظر أحكام تمني الموت / ٥ / .

تحقيق الغزالي في الموضوع

وقال الإمام الغزالي رحمه الله إن الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغيير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة ومعنى مفارقتها الجسد انقطاع تعرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى إن الروح لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب ، والقلب ها هنا عبارة عن الروح أى القلب الروحاني لاالقلب الصنوبرى الجسماني والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة[1] . هذا وكثيراً ماتشتاق النفس البشرية وتتشوق إلى معرفة شيء من هذا السر الإلهي الذي وقفت عنده العقول حائرة ، نعم حارت فيه عقول المفكرين ووقفت حياله واجمة عبقريات البارعين ، قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾ . والمعنى والله أعلم أن الروح من عالم الأمر الرباني اللطيف وذلك أن هناك عالماً يسمي عالم الأمر وعالماً يسمي عالم الخلق وذلك ثابت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، قال فعالم الخلق هو ماخلق بأمر من الله تعالى له : كن فيكون . ولكن من مادة ويجري عليها التركيب والتطوير والتوالد وذلك كجسم الإنسان المخلوق من تراب ، وأما عالم الأمر فهو ماخلق بمجرد قول الله تعالى له كن دون أن يكون له مادة ولاتطوير ولا توالد ومن ذلك هذا الروح الإنساني فالإنسان فيه مجمع العالمين فجسمه من عالم الخلق الكثيف المادى وروحه من عالم الأمر اللطيف[2] . أ هـ ولاشك أن الروح الإنسانية هي شريفة كريمة قدسية عالية ، أعلن الله تعالى شرفها وكرامتها بإضافتها إليه حيث قال سبحانه : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ ولايفهم من هذا أنه ليس للجسم شرف بل هو مشرف أيضاً بتسوية الله تعالى له وتعديله وإحسان تقويمه قال تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[3] فجسم

---

(١) انظر / صم عن الدنيا وأفطر على الموت / ١٣ / . لعبد الحميد كشك .

(٢) انظر المصدر نفسه بتصرف ص ٣٢ .

(٣) التين آية ٤ .

الإنسان ليس كبقية الأجسام البهيمية الحيوانية قال تعالى : ﴿ **ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾[1] وأما شرف روحه فقد أضافها الله تعالى إليه حيث قال : ﴿ **ونفخت في من روحي** ﴾[2] قال المفسرون : وإنما أضاف الروح إليه تعالى على سبيل التشريف والتكريم كقوله : « بيت الله ناقة الله شهر الله »، وهي من إضافة الملك إلى المالك والصنعة إلى الصانع ، فإياك أن تعتقد غير هذا فتتوهم غيره فتضل وتزل عافانا الله وإياك وجميع المسلمين ، وفي هذا بيان أن الروح الإنسانية ليست كغيرها من أرواح البهائم والحيوانات بل هي في أوج الشرف والكرامة والاستعداد للفيوضات والمعارف الإلهية والقضايا الإيمانية وفيها الأهلية الكاملة لأن تكون موضع الخطابات الإلهية الشرعية بالأوامر والمناهي والآداب والأخلاق العالية فيخاطبه الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ **يابني ادم** ﴾ وبقوله : ﴿ **ياأيها الناس** ﴾ وبقوله : ﴿ **ياعبادي** ﴾ ونحو ذلك والروح هي من العالم الملكوتي العلوي هبطت من المحل الأرفع وقرنت بهذا الجسم الإنساني فإذا أجاع الإنسان بدنه بالصيام وشغله بالعبادة وأقامه في خدمة مولاه ذي الجلال والإكرام بالعمل فيما أمره به سبحانه وتعالى متحرياً الإخلاص وموافقة الشريعة المحمدية زكت روحه ووجدت خفة ولطافة وشعرت باللذة والراحة فتاقت إلى المستوى الذي هبطت منه واشتاقت إلى عالمها العلوي المقدس ، ولذلك ترى الرجل الصالح في العمل الصادق في عبادته لربه المخلص لله تعالى في تدينه تري بدنه عندك في الأرض ولكن روحه وقلبه في العالم العلوي يجول كما روي عن النبي ﷺ فيما أخرجه الطبراني والبزار وغيرهما من حديث حارثة بن مالك الأنصاري حين قال له : « كيف أصبحت ياحارثة؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً فقال له إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك وفي رواية قال له أعلم أو إنظر ماتقول فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أرى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أسمع عواء أهل النار فقال له : عرفت فالزم » وفي رواية « من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة بن

---

(١) الانفطار آية ٦ – ٧ .

(٢) ص آية ٧٢ .

مالك »[1] هذا وأما إذا أثقل الإنسان بدنه بالمآكل والمشارب المتعددة وأخلد إلى الشهوات وكثرة النوم والراحة وانهمك في اللذائذ الجسمية وعمل ليله ونهاره في جمع المواد الغذائية لبدنه وغفل عن المواد الغذائية الروحية المتمثلة بطاعة الله وتطبيق شريعة نبيه ﷺ لتغذية روحه وتزكيتها فعند ذلك تنكمش الروح وتضعف بل تموت موتاً أدبياً بهبوطها من عالمها الراقي وتصير أرضية سفلية ، ولذلك فإن الكفار والفجار لما أخلدوا إلى الأرض وعموا وصموا في شهواتهم البهيمية وأهوائهم السفلية فإن أرواحهم هبطت من عليائها وصارت أرضية دنية قال تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾[2] .

* * *

(١) انظر التنوير / ٤٠٨ / .

(٢) الأعراف آية ١٧٤ – ١٧٥ .

مصير الروح بعد خروجها من البدن

اختلفت وجهات نظر العلماء في مصير الأرواح بعد الموت في الحياة البرزخية المتوسطة بين الدنيا والآخرة على تسعة أقوال أوردها العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه « الروح » وبسط أدلة متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولاتعارض بين الإدلة فإن كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة فمنها أرواح في أعلى عليين بالملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال : وهم متفاوتون أيضاً في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء ومنها أرواح بعض الشهداء لاجميعهم فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في المسند عن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال الجنة فلما ولي قال إلا الدين سارني به جبريل آنفاً ومنهم أرواح محبوسة على باب الجنة كما في حديث آخر : « رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة » ، ومنهم من يكون مقره على باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية »[1] وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه لما قطعتا في سبيل الله بجناحين بطير بهما في الجنة حيث شاء ، ومنها أرواح محبوسة في قبورها كصاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقالوا هنيئاً له الجنة فقال النبي ﷺ « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه في قبره ناراً » . ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية لاتجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا[2] .

---

(١) رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني .

(٢) إشارة لما ورد في الحديث الصحيح « الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه أحمد ومسلم وغيرهما . قال في جامع الأصول : معناه الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها على الأجساد ، فأعلم النبي ﷺ أنها خلقت أول خلقها على قسمين من ائتلاف واختلاف ، كالجنود المجندة =

والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه بل هي أرضية سفلية لاتكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها ، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد ويجعل روحه يعنى المؤمن مع النسم الطيب فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة قال : فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لاتصعد عن الأرض وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ولاتظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارض فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضا ، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير البدن وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطاً وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق . قال رحمه الله وماأشبه حالها في هذا البدن بحال الطفل في بطن أمه وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار[١] .

* * *

= إذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الأرواح ماجعلها الله عليه من السعادة والشقاوة في مبدأ الكون والخلقة ، ويقول : إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ماجعلت عليه من التشاكل أو التنافر في بدء الخلقة ، ولهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل إليهم ، والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم . انظر : (جامع الأصول ٦ / ٥٥٩ – ٥٦٠) .

(١) انظر / العقائد الإسلامية ص ٢٤٢ والسفينة الماخرة / ٤١ / بتصرف قليل .

بقاء الروح وعدم فنائها

أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وانطوى عصر صحابة رسول الله ﷺ والتابعين وتابعيهم على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاطراد من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم باطراد من دينهم أن العالم حادث وأن معاد الأبدان واقع وأن الله وحده الخالق وكل ماسواه مخلوق له تعالى ، ومما يجب اعتقاده أنها باقية لايلحقها عدم ولافناء ولا اضمحلال لأنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان ، وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها إلى أن يرجعه الله تعالى إليها ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾[1] مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت فموتها هو مفارقته لأجسادها وخروجها منها[2] ومن هنا نفهم أنه بعد انتهاء فترة القبر التي تتم فيها فتنة الإنسان واختباره وبها ينكشف أمره وتظهر حاله فيسعد أو يشقي نتيجة لما يجيب به عن سؤال الملكين حيث يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين ، وبعد انتهاء هذه الفترة تودع الروح البشرية في مستودع للرحمة أو العذاب في عليين أو في سجين وتبقى هكذا مرهونة محبوسة في ذلك المستودع إلى يوم يبعثون حيث يعيد الله تعالى الأجسام بعد فنائها ويأذن للأرواح أن تدخلها إلا أنه يكون للأرواح وسواء كانت في عليين مستودع الأخيار أو في سجين مستودع الأشرار اتصالا مباشراً في القبر الذي ضم رفات صاحبها وأودعت جثته فيه وهو اتصال مباشر كما قال بعض العلماء المعاصرين شبيه بالاتصال اللاسلكي الذي يتم اليوم بين محطتي الإرسال والاستقبال وبذلك يتم معرفة الزائر للقبر والمسلم على صاحبه .

---

(١) آل عمران آية ١٦٩ – ١٧٠ .

(٢) انظر السفينة الماخرة / ٤٤ / بتصرف .

ماورد في زيارة المسلم لقبر أخيه المسلم والتنديد بالمعتدين على المقابر

نعم لما ورد من الآثار والأخبار فقد أخرج البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «إذا مر رجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام» قال ابن القيم : وهذا نص في أنه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام ، وروي عنه ﷺ فيما أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما «مامن أحد يمربقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» وصححه ابن عبد البر ، وروي في الحديث الذي أخرجه الصابوني في المآثر عن أبي هريرة مرفوعاً و «آنس مايكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا» . قال ابن القيم : الأحاديث والآثار على أن الزائر متى علم به المزور وسمع سلامه انس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهيد وغيره وأنه لاتوقيت بيوم الجمعة ولاغيرها[1] فهل يعقل هذا ياأخا الإسلام الذين تهافتوا على المقابر بكل شراهة ووقاحة فحرثوها ونقلوا أزبال المواشي في المواسم الزراعية إليها وشقوا عليها الطرقات وابتنوا على ظهرها العمارات والأسواق وأماكن الطواحين والورشات ومنهم من حفر فيها البيارات للحمامات ، وهذا الاعتداء السافر وانتهاك حرمة المقابر يوجد للأسف في بلادنا وعلى مرآى ومسمع من علمائنا ومسؤولينا وقلد فيها صاحب القرية في الأرياف ساكن المدينة واقتدي فيها الصغير بالكبير ، وثبت اللاحق على ماكان عليه ماضيه السابق ، وحرمة الميت من الثرى إلى الثريا كما يقال وصدق الله القائل : ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[2] .

---

(١) انظر جمع الشتيت ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٢) الإسراء آية ٧٠ .

أجـدادنا سكنوا القـبـور وجـئـتـمـوا تعـصـوا الجـدود وتعلنوا العـصـيـان

تركـوالنا الدنيـا ولم يسـتـصـحـبـوا منهـا سـوى الكافـور والأكـفـان

والقــبــر أصــبح ملك من يدفن به والحــرث فــيــه أكــبــر العــدوان

أســـفي على الإسـلام من أبنائه أضــحى غــريبــاً فـاقـد الأعـوان

* * *

صعق الأرواح

هذا وأما صعق الأرواح عند النفخ في الصور فقال بعض أهل العلم : لايلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح «إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدرى أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى : ﴿ **فذرهم حتي يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون** ﴾(١) ولو كان هذا الصعق موتاً لكانت موتة أخرى وإنما الموت والفناء للأبدان فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ليس من الإنسان شيء إلا يبلي إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق» . [رواه مسلم وابن ماجه](٢) ، قال بعض العلماء في منظومته .

والجسم من غير شهيد أو نبي   بالموت يبلي غير عجب الذنب

هذا وقد روي أنه ﷺ سئل عن ماهية عجب الذنب فأجاب «مثل حبة خردل ومنه تنشؤون» . [أخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدرى] ، ومما هو جدير بالذكر أن عجب الذنب هذا هو جزء لطيف في أصل الصلب وقيل هو رأس العصعص أول مايخلق من الإنسان ثم يبقي بعد الموت والبلى ليركب الله الخلق منه(٣) .

* * *

(١) الطور آية ٤٥ .

(٢) انظر السفينة الماخرة ص ٤٥ .

(٣) المصدر نفسه بتصرف .

أقوال العلماء فيمن استثني من الصعق

هذا وبعض العلماء يرى بأن المستثنيات من الصعق المذكور في الآية ثمانية أشياء وقد نظمهم الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله بقوله :

ثمـانيـة حكم البـقـاء يعـمـهـا   من الخلق والبـاقـون في حيـز العـدم

هي العــرش والكرسي نار وجنة   وعـجـب وأرواح كـذا اللوح والقلم

وقيل المستثنيات : رضوان خازن الجنة والحور العين ومالك خازن النار والزبانية التسعة عشر ملكاً ، وقيل غير ذلك . قال الشيخ أبو العباس القرطبي والصحيح أنه لم يرد في تعينهم خبر صحيح. والكل محتمل ، هذا ولكل جسد روح واحدة على الصحيح[١] .

* * *

(١) انظر الحياة البرزخية بتصرف ص ١٦٠ .

النفس والروح

اختلفت وجهات نظر العلماء رحمهم الله حول النفس والروح هل هما شيء واحد أم شيئان متغايران؟ ذهب إلى القول بأنها شيء واحد الجمهور وصححه ابن القيم والحافظ السيوطي وصوبه ابن رشد من المالكية كما في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تروا إلى الإنسان إذا مات شخص بصره قالوا بلى : قال فذاك حين يتبع بصره نفسه » ففي هذا مايستغني به عن قول كل قائل في تأييد أن الروح والنفس اسمان لمسمى واحد كما قاله القرطبي في تذكرته(١) قال الإمام محمد بن إسماعيل الأمير في منظومته تأنيس الغريب والتي ذيل بها أبيات التثبيت للسيوطي :

والنفس والروح هما شيئان ... وقيل شيء واحد والثاني

اختاره العلامة ابن القيم ... لما راه من دليل قيم

ولابن أبي حاتم وغيره عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « أتيت بالمعراج الذي يعرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء فإن ذلك عجبه بالمعراج فصعدت أنا وجبريل فاستفتح باب السماء فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين » .

* * *

(١) المصدر نفسه ص ١٦٢ .

مقر أرواح الشهداء في سبيل الله

أخرج مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش » .

* * *

هل هذه المكانة خاصة بالشهداء وحدهم؟ أم يلحق بهم غيرهم من صالحي المؤمنين؟

ولأحمد ومالك في الموطأ بسند صحيح عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » ولأحمد وغيره بسند حسن عن أم هانيء أنها قالت لرسول الله ﷺ أنتزاور إذ متنا ويرى بعضنا بعضاً فقال رسول الله ﷺ « تكون النسم طيراً تعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها »[1] هذا وقد جاء في كتاب الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله بعد إيراد هذا الحديث يروى بفتح اللام وهو الأكثر ويروى بضم اللام والمعنى واحد ، وهو الأكل والرعي تقول العرب ماذاق اليوم علوقاً أي طعاماً وأصل اللفظة من التعلق وهو مايتعلق القلب والنفس من الغذاء واختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال قائلون منهم : أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولادين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم ، واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيداً من غير شهيد واحتجوا أيضاً بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الأبرار في عليين وأرواح الفجار في سجين ، وعن عبد الله بن عمرو مثل ذلك ، وقيل هذا قول يعارضه في السنة مالا مدفع في صحة نقله وهو قوله « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » وقال آخرون إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم لأن القرآن والسنة يدلان على ذلك . أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ وأما السنة فقد سبق حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم . قال العلامة بن القيم لا تنافي بين قوله ﷺ : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » وبين قوله : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن

(١) انظر أحكام تمني الموت ص ٥٢ / ٥٤ .

كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار » وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد . كما أن قوله « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يتناول الشيهد وغيره ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وأما المقعد الخاص به والبيت الذي أعد له فإنه إنما يدخله يوم القيامة ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعدها الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعاً فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك .

قال : ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدواً وعشياً فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ فتنعم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء وتنعمها مع الأبدان يوم القيامة بها شيء آخر فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث ، ولهذا قال تعلق في شجر الجنة أي تأكل العلقة وتمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنن شيء وإنما تعاضده السنة وتوافقه . ثم قال وأما ما علق فيه الجزاء بالإيمان فإنه يتناول كل مؤمن شهيداً كان أو غير شهيد وأما النصوص والآثار التي ذكر في رزق الشهداء وكون أرواحهم في الجنة فكلها حق وهي لاتدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ولاسيما للصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس فيقال لهؤلاء ماتقولون في أرواح الصديقين هل هي في الجنة أم لا؟ فإن قالوا إنها في الجنة ولايسوغ لهم غير هذا القول فثبت أن هذه النصوص لاتدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك وإن قالوا : ليست في الجنة لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة كأبي بكر الصديق وأبي ابن كعب وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم رضي الله عنهم ليست في الجنة وأرواح شهداء زماننا في الجنة وهذا معلوم البطلان ضرورة .

فإن قيل فإذا كان هذا حكم لايختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر

في هذه النصوص؟ قلت : التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها وإن هذا مضمون لأهلها ولابد وأن لهم أوفر نصيب فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم فله نعيم يختص به لايشاركه فيه من هو دونه ، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر فإنهم لما بذلوا أنفسهم لله حتي أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال نسمة المؤمن طير فهذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بأن قال وهي في جوف طير ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضاً[1] .

* * *

---

(١) انظر كتاب الروح لابن القيم ص ١٢١ - ١٢٣ .

هل تلتقي أرواح الموتي وتتزاور؟

قال العلماء : إن أرواح الموتي تتزاور وتتذاكر فيما بينها وتتلاقى مهما بعدت المسافات واختلفت المقابر وذلك لأن للروح المطلقة من أسر البدن وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود والهبوط ماليس للروح المحبوسة في البدن قال ابن القيم رحمه الله الأرواح قسمان :

أرواح معذبة وأرواح منعمة ، فالمعذبة في شغل مما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي والأرواح المنعمة والمرسلة وغير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ماكان منها ومايكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي عمل مثل عملها ، قال وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾[1] وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دارالجزاء ، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث[2] ، هذا وقد ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال : « المرء مع من أحب » قال أنس رضي الله عنه فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ « يقول ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه التي قبض فيها أخذته بحة شديدة » فسمعته يقول « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فعلمت أنه خير . [رواه الشيخان] .

* * *

---

(١) النساء آية ٦٩ .

(٢) انظر السفينة الماخرة ص ٥١ .

في قصة أم بشر بن البراء بن معرور بشارة أكيدة تبعث في نفوس أقارب الموتى الانشراح والسرور

روى ابن أبي الدنيا عن أبي ليبة عن جده قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجداً شديداً فقالت يارسول الله إنه لايزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى حتى أرسل إلى بشر بالسلام؟ فقال ﷺ «نعم والذي نفسي بيده ياأم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر» فكان لايهلك الهالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت يافلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام . وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن أبي قتادة قال قال رسول الله ﷺ «إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم» : فهذا الحديث نص في تزاور الأموات في قبورهم[1] ، وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : «إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه ، فإنهم يبعثون في أكفانهم ، ويتزاورون في أكفانهم» [صححه الألباني كما في صحيح الجامع] .

* * *

(١) الحياة البرزخية ص ١٧٥ .

تختلف قبض الأرواح باختلاف المقبوضين

جاء في الحديث الشريف : «إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحرير أبيض فيقولون اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ماأطيب هذه الريح التي جاءت من قبل الأرض كلما أتوا سماء قالوا ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه فيسألونه مافعل فلان؟ فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قيل لهم ما أتاكم فإنه قد مات يقولون ذهب به إلى أمه الهاوية . وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه فتخرج كأنتن ريح جيفة ، فينطلقون إلى باب الأرض فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه فتخرج كأنتن ريح جيفة فينطلقون إلى باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح كلما أتوا على أرض قالوا ذلك حتي يأتوا به أرواح الكفار» . [أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم][(1)] .

* * *

(1) انظر أحكام تمني الموت لمحمد عبد الوهاب القسم الثاني فقه ص ٦ . ورواه النسائي والحاكم ، وصححه الألباني بلفظ قريب من هذا من حديث أبي هريرة . انظر : صحيح الجامع جـ ١ / ٢ / ١٩٣ والمسح بكسر الميم كما في رواية النسائي كساء معروف وقال النووي هو ثوب من الشعر غليظ معروف انظر حاشية السندي على النسائي .

أرواح الموتي من المؤمنين تستقبل روح المؤمن القادمة عليهم

وأخرج سعيد في سننه عن الحسن قال : إذا احتضر المؤمن حضره خمسمائة ملك فيقبضون روحه فيعرجون به إلى السماء فتلقاهم أرواح المؤمنين الماضية فيريدون أن ييستخبروه فتقول لهم الملائكة ارفقوا به فإنه خرج من كرب عظيم ، ثم يستخبرونه حتى يستخبر الرجل عن أخيه وعن صاحبه فيقول هو كما عهدت حتى يستخبرونه عن إنسان قد مات قبل فيقول أو ما أتى عليكم فيقولون أو قد هلك؟ فيقول أي والله فيقولون قد ذهب به إلى أمة الهاوية فبئست الأم وبئست المربية[١] .

ولعل القضية في ذلك تشابه إلى حد ماعلى وجه التقريب والله أعلم كرجلين اثنين سافرا إلى بلد من البلدان أو عاصمة من العواصم إلا أنه حصل فرق يسير في رحلتيهما فتقدم أحدهما قبل الآخر فلما وصل الآخر جعل أصحابه الذين التقي بهم يسألونه مباشرة عن فلان الذي تقدم قبله فأقنعهم بتقدم سفره وارتحاله قبله بكذا وكذا من الزمن فتأسفوا موقنين أنه قد يكون عليه حادث إما في السجن أو المستشفى مثلاً ولو لم يكن هناك سبب يعوقه لما غاب عنهم .

* * *

(١) انظر آحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٨ ، وفي رواية : «إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، فيخرج كأطيب ريح المسك ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا ، حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ماأطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح السماء فيقولون : ماأطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه ، فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا قال : أما أتاكم ؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية» . الحديث رواه النسائي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا ، وصححه الألباني ١ / ٢ / ١٩٢ .

هل تلتقي أرواح الموتى بأرواح الأحياء في النوم؟

نعم تلتقي أرواح الموتى بأرواح الأحياء بعضها ببعض وأدلتها أكثر من أن تحصر، والحس والواقع من أعدل الشهود بها قال تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ وروى أبو عبد الله بن قتيبة بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال : بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها كما روي ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده إلى السدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ **والتي لم تمت في منامها** ﴾ قال يتوفاها في منامها فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان . قال فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس هذا وباب المرائي كما في كتاب الروح للإمام ابن القيم رحمه الله واسع وطويل وفيه الغرائب والأعاجيب فقد يرى إنسانا صاحباً له أو قريباً فيخبره بأمر لا يعلمه إلا أصحاب الرؤيا وذلك كأن يخبره بمال دفنه أو يحذره من أمر يقع أو يبشره بأمر يوجد فيقع كما قال أو يخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع كما أخبر أو يخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة أو مرض أو بغرض له فوقع كما أخبر مما لايخطر ببال النفس ولا لديها علامة ولا أمارة ما[١] .

هذا وقد تواطأت المرائي من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين وتابعيهم :

* * *

(١) انظر السفينة الماخرة ص ٥٥ / عن كتاب الروح لابن القيم ص ٢٤ / ٣٨ .

نموذج من رؤيا بعض الصحابة في الموضوع

مثل قصة الصعب بن جثامة[1] الذي رآه عوف بن مالك بعد وفاته فيما يري النائم فسأله قائلاً مافعل بكم قال؟ غفر لنابعد المصائب قال عوف : ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت أي أخي ماهذا قال عشرة ذنانير استلفتها من فلان اليهودي فهن في قرني فأعطوه إياها ثم قال واعلم أى أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا ألحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام فلما أصبح عوف أتى أهل الصعب وفتش عن الصرة التي فيها الدنانير فوجدها وبعث بها إلى اليهودي إلى آخر القصة المسطرة في كتاب الروح للعلامة ابن القيم رحمه الله ، وكذلك قصة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه حيث كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا ، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة ، فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مربي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رجل فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقل له إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته ، قال : ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله[2] هذا وقال سعيد بن المسيب : التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي فقال أحدهما للآخر إن مت قبل فالقني فأخبرني مالقيت من ربك وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك فقال الآخر « يعني سلمان » وهل تلتقي الأموات والأحياء؟ قال نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث تشاء قال فمات

---

(١) انظر هذه القصة لابن القيم رحمه الله في كتاب الروح .

(٢) ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم ص ٥٤ / وانظر جمع الشتيت ص ١٦٤ .

سلمان فلقيه في المنام فقال توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط . وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت أشتهي أن أرى عمر رضي الله عنه في المنام فما رأيته إلا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق من جبينه وهو يقول هذا أوان فراغي ، إن كان عريني ليهد لولا أني لقيت رؤوفاً رحيما[1] .

* * *

(١) ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم رحمه الله كما في السفينة الماخرة ص ٥٦ .

أرواح الموتى من أهل الإيمان تهتم بأخبار أهل الدنيا

قيل : لما مات عاصم الجحدري رحمه الله رآه بعض أهله في المنام فقال أليس قد مت قال بلى . قال فأين أنت قال أنا والله في رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر عبد الله المزني فنتلقي أخبار كم قال قلت أجسادكم أم أرواحكم؟ قال هيهات بليت الأجساد وإنما تتلاقى الأرواح . أهـ .

هذا وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام حافظين جليلين قال أبو أحمد البريدي فرأيتهما بعد موتهما فقال : أبا بسطام مافعل الله بك؟ فقال وفقك الله لحفظ مأقول :

حبـاني إلهي في الجنان بقبـة ... لهـا ألف باب من لجين وجـوهرا

فـقـال لي الرحـمن ياشـعبـة الذي ... تبـحـر في جـمع العلوم فـأكـثـرا

تنعم بقـربي إنني عنك ذو رضى ... وعن عبـدي القوام في الليل مسعرا

كـفى مـسـعراً عـزاً بأن سيـزورني ... وأكـشف عن وجـهي الكريم لينظرا

وهذا فـعـالي بالذين تنسكوا ... ولم يألفـوا في سـالف الدهر منكرا

هذا والمقصود أن التقاء أرواح الموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم ، فإن تجرد النفس وانقطاعها عن الشواغل البدنية ، يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل لها بدونه لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله ولا على تفاصيل مأخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية وتفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الأمر والنهي والأسماء والصفات والأفعال وغير ذلك مما لايعلم إلا بالوحي ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه

أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنغمسة في الشواغل البدنية فإن قيل فالنائم يرى غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئي يقظان وروحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحاهما؟ قيل هذا إما أن يكون مثلاً ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرؤى تجرد له في منامه كما قال حبيب بن أوس :

سقيا لطيفك من زور أتاك به   حديث نفسك عنه وهو مشغول

وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة إحداهما بالأخرى فيشعر كل واحد منهما ببعض مايحدث لصاحبه وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب أ هـ [1] .

* * *

(١) ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم كما في كتاب السفينة الماخرة ص ٥٦ .

أسرار وأعاجيب إن صح الخبر

هذا ومن المناسب في الموضوع أن أنقل لك ماذكره عبد الرزاق نوفلٍ في كتابه «أسرار وعجب» حيث قال : ولعل أهم حاسة للروح يقوم العلماء حالياً بدراستها لكشف المزيد عنها والوقوف على بعض أسرارها هي حاسة التخاطر التي وضعت موضع التجارب المعملية بالجامعات منذ أوائل العقد الرابع من القرن الحالي والتي يقول عنها العلم في تعريفها أنها الشعور بنفس الخواطر عن بعد وذلك بانتقال الانطباعات من ذهن إلى آخر على نحو مستقل عن المواصلات الحسية المعروفة كما يقول الدكتور فريد ربك مايرز أحد مؤسسي جمعية الأبحاث النفسية في إنجلترا، ولقد أجريت آلاف التجارب لنقل الخواطر بين أفراد على أبعاد مختلفة تبدأ من بضعة أقدام وأجريت على أشخاص لم يرى أحدهما الآخر إطلاقاً واتسعت التجارب وامتدت رقعة البعد بين أشخاص التجارب إلى أمد بعيد فقد أجريت تجارب بين أشخاص في الفضاء في المركبات والأقمار الصناعية وبين آخرين على الأرض ، وكان مما تناقلته الأنباء العلمية وانتشر في الصحف منذ بضعة أشهر ماجاء تحت عنوان : نجاح تجربة تبادل الخواطر بين الفضاء والأرض .

* * *

نص التجربة العجيبة

صرح المهندس أولدن جونيسون السويدي المولد بأنه من الممكن جداً إرسال واستقبال الأفكار عبر مسافات شاسعة في الفضاء ، وبأنه يعتقد أن التجارب التي أجريت بينه وبين رائد الفضاء الأمريكي أدجار متشيل أحد رواد أبوللو ١٤ كانت ناجحة وكان رائد الفضاء ميتشيل قد حمل معه أثناء رحلة أبوللو خمس بطاقات اختبار خاصة وفي أوقات محددة كان يلتقط إحدى هذه البطاقات ويركز تفكيره فيها لمدة ١٥ ثانية في نفس الوقت الذي يكون فيه جونسون قد سبقه في التركيز محاولاً رؤية هذه البطاقة ، وقد تم إجراء تجارب في هذا النوع كان يتم فيها تكرار هذا الإجراء / ٢٥ / مرة وقال جونسون : إنه في كثير من الأحيان كان يرى البطاقة بوضوح ويتأكد مائة في المائة من ذلك وتسمى هذه التجارب بتجارب الإدراك الحسي الزائد أو الإضافي ، قال والغريب في الأمر أن جونسون لم يقابل ميتشيل في حياته وكان الاتصال بينهما قبل الرحلة مقصوراً على الاتصال التليفوني كما صرح جونسون بأنه استطاع أن يحس بانفعالات رائدي الفضاء ميتشيل والأن شيرد عندما كانا يتجولان فوق سطح القمر واستطرد جونسون قائلاً إنه يشعر بأن هذه الوسيلة يمكن استخدامها في الاتصال مع الكائنات الذكية فوق الكواكب الأخرى ، هذا ويضيف عبد الرزاق نوفل قائلا : إن حاسة الخاطر لاتتصل بالجسم وليست خاصة به فهي من حواس الروح إذ فيها تتصل روح شخص مستقبل بروح شخص مرسل قال وتتعارض هذه الحاسة مع كل القوانين الطبيعية التي تحكم هذا العالم المادي تعارضاً كلياً فقوانين الرؤية تقرر أنه حتى تحدث الرؤية لابد أن يكون الرائي والمرئي على بعد مناسب وأن يكونا في المواجهة وألا تقوم بينهما عوائق مادية أو أبعاد زمنية ، وفي حالة التخاطر تنعدم المسافات ولا تهم المواجهة ولاتتأثر بعوائق مادية أو زمنية فهي ليست حاسة بصرية إذ لا بصر فيها

ولانظر ولارؤية فيها كما نعهدها وكما تكون الرؤية ، إنها إحدى حواس الروح وماظهر منها يشير إلى ماتفيض به من أسرار ومن عجب ، ترى كيف بباقي حواس الروح التي لم نعرف عنها شيئاً بعد ولن نعرف طالما الجسم يحد من نشاطها ويحول دون أنطلاقها؟[١] .

* * *

(١) من كتاب أسرار وعجب لعبد الرزاق نوفل ص ٨٠ .

تقرير بعض السلف حول التقاء أرواح الأحياء والموتى

قال بعض السلف : إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر . قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكاً علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لايشتبه عليه منها شيء ولايغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه وينذره من معصية ارتكبها أو هم بها ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحساناً وتذكيراً وتعريفاً وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الأرواح وتذاكرها وتعارفها ، وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن منام رآه أو رؤي له ! وكم ممن استغنى وأصاب كنزاً دفيناً عن منام[١] .

* * *

---

(١) ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم كما في كتاب السفينة الماخرة ص ٥٦ .

نموذج من واقع من حصل له ذلك

فهذا عبد المطلب دل في النوم على زمزم وأصاب الكنز الذي كان هناك . وهذا عمير بن وهب أتي في منامه فقيل له قم إلى موضع كذا وكذا من البيت فاحفره تجد مال أبيك وكان أبوه قد دفن مالاً ومات ولم يوص به فقام عمير من نومه فاحتفر حيث أمره فأصاب عشرة آلاف درهم وتبراً كثيراً فقضي دينه وحسن حاله وحال أهل بيته ، وكان ذلك عقيب إسلامه فقالت له الصغرى من بناته ياأبت هذا الذي حبانا بدينه خير من هبل والعزى ولولا أنه كذلك ماورثك هذا المال وإنما عبدته أياماً قلائل .

وأما من حصل له الشفاء باستعمال دواء رأى من وصفه في منامه فكثير جداً قال ابن القيم رحمه الله : وقد وصف لي غير واحد ممن كان غير مائل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فأجاب بالصواب وبالجملة فهذا أمر لاينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها وبالله التوفيق[1] .

* * *

(١) انظر كتاب السفينة الماخرة والروح لابن القيم .

نحو الحاسة الجسدية والروحية ونسيان الأحلام

قال الأستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله في كتابه أسرار وعجب : هذه الحواس الجسدية بما تنوء به من أسرار وبما تحمله من أعاجيب لا تعتبر شيئاً إذا ماقورنت بالحواس الروحية التي كثيراً مانستند إليها بل دائماً مانمارسها ولكن دون أن ندري ودون أن نتدبرها أو نفكر فيها ، فإن الإنسان بمجرد أن يأخذه النوم تنطلق روحه انطلاقا مؤقتاً دون أن يقيدها الجسم بالقيد المادي الذي يحد من حريتها ويشل من حركتها بل إن النوم إنما هو مظهر انطلاق الروح من الجسم ولو لم تنطلق الروح لا ينام الجسم ولو تفكر الإنسان فيما يحدث له في نومه لوجد عجباً أي عجب إنه بمرجرد نومه يبدأ في الحلم ، وكل إنسان في كل ليلة يحلم رغم أنه لايدرك أنه حلم .

* * *

مجرد احتمال

١ - تحت عنوان :-

لماذا ننسى أحلامنا يقول أحمد الصباحي عوض الله : نسيان الحلم في نظر علماء النفس يرجع إلى الأسباب الآتية :

١- ننسى أحلامنا بسرعة لضعف تأثيرها على النفس ذلك أنها تتكون عادة من صور بصرية فقط وليست من صور سمعية وحسية كما في صور وأحداث اليقظة كما أن معظم صور الحلم أحداث جديدة الوقوع فإنها قليلاً جداً ماتتكرر الأحلام وفي تكرارها يكون تذكرها قوياً وعدم تكرارها يساعد على نسيانها ، ثم يضيف قائلاً ويقول بعض المعبرين من المسلمين أن الرؤى والأحلام يراها الإنسان بالروح ويفهمها بالعقل ومستقر الروح نقطات دم في وسط القلب ومستقر القلب في رسوم الدماغ والروح معلق بالنفس فإذا نام الإنسان امتد روحه مثل السراج أو الشمس فيرى بنوره وضياء الله تعالى ما يريه ملك الرؤيا وذهابه ورجوعه إلى النفس مثل الشمس إذا غطاها السحاب وانكشف عنها فإذا عادت الحواس باستيقاظها إلى أفعالها ذكر الروح ما أراه ملك الرؤيا وخيل له ، ولذلك فإن الرؤى والأحلام التي يحتفظ العقل بتذكرها في حالة الصحو هي التي تحمل لنا في حالاتها الصحيحة وسائل خفية من العالم المجهول وهي التي تعيننا دائماً وتوجب علينا الاهتمام بدراستها ومعرفة ماوراءها من الأخبار والحكمة أما التي ينساها الإنسان فلا يصح أن يجهد نفسه في تذكرها حيث طمس على الحكمة من رؤيتها أهـ[١] .

* * *

(١) انظر تفسير الأحلام ، أحمد الصباحي عوض الله ٥٨ / ٥٩ .

تحقيق مأثور ينبغي أن يعول عليه

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : لقي عمر بن الخطاب على بن أبي طالب : فقال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت ، ثلاث أسألك عنهن عندك منهن علم ؟ فقال علي بن أبي طالب وماهن ؟ فقال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً فقال علي نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها أئتلف وماتناكر منها اختلف » فقال عمر واحدة قال عمر والرجل يحدث الحديث إذ نسيه فبينما هو وما نسيه إذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما في القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر مضيء إذ تجللته سحابة فأظلم إذ تجلت فأضاء وبينما القلب يتحدث إذ تجللته سحابة فنسي ، إذ تجلت عنه فيذكر قال عمر اثنتان قال والرجل يرى الرؤيا فمنها مايصدق ومنها مايكذب فقال نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن عبد ينام يمتليء نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لايستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب » فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت . [رواه الإمام الحافظ ابن منده كما ذكره الإمام ابن القيم في كتاب الروح][1] ، وقال عكرمة ومجاهد : إذا نام الإنسان كان له سبب يجري فيه الروح وأصله في الجسد فتذهب حيث شاء الله فما دام ذاهباً فالإنسان نائم فإذا رجع إلى البدن انتبه الإنسان وكان بمنزلة شعاع هو ساقط بالأرض وأصله متصل بالشمس وللحاكم في المستدرك وغيره عن ابن عمر قال : لقي عمر علياً فقال يا أبا الحسن الرجل يري الرؤيا فمنها مايصدق ومنها مايكذب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن عبد ولا أمة ينام فيمتليء نوماً إلا يعرج بروحه إلى العرش فالذي

---

(١) انظر كتاب الروح ص ٣٨ ، وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً : « ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينما القمر يضيء إذ علته سحابه ، فأضلم إذ تجلت » . رواه الطبراني في الأوسط ، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع جـ ٥ / ٦ / ١٥٧ .

لايستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب » أهـ .

وروي عن أبي الدرداء « إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود » [ورواه ابن المبارك] ، أيضاً وللبيهقي عن ابن عمر معناه وقال : ومن كان ليس بطاهر سجد بعيداً عن العرش[1] .

* * *

(١) أحكام تمني الموت ص ٧٠ .

التقرير العلمي لمدة الحلم في النوم نسبياً

هذا ويقرر العلم أن مدة الحلم تبلغ خمس مدة النوم فلو نام الإنسان خمس ساعات فإنه يحلم مدة ساعة ولكنه حلم متقطع إذ تبلغ عدد مرات الحلم في المتوسط خمس مرات في الليلة الواحدة ، والإنسان عند نومه يغلق عينيه تماماً وبذلك فإن جهاز البصر يتعطل تعطلاً كاملا أثناء النوم وبالرغم من ذلك فإن الإنسان يري في أحلامه رؤية تامة يميز فيها الأشخاص تماماً ويتضح له المكان وضوحاً شاملا يرى كل التفاصيل وكل الزوايا رؤية شاملة وكاملة ، ولاشك أن هذه الرؤية في المنام إنما تتم بحاسة البصر الروحية فإن جهاز الرؤية البصرية مغلق ومعطل تماماً أثناء الرؤية المنامية وبذلك فإن للروح حاستها البصرية ولكنها تختلف عن حاسة البصر في الجسم ، فإن الرؤية في حالة الجسد لاتتم إلا في الضوء فلا ترى العين إلا بالنهار في الشمس أو بالليل في الضوء وبمجرد أن يشمل الظلام المكان يتوقف جهاز الرؤية في الجسم بعكس جهاز الرؤية في الروح فإنه يعمل نهاراً أو ليلاً بمجرد أن ينام الإنسان ولا دخل للضوء أو الظلام في الرؤية الروحية . والرؤية في حال الجسد محدودة إذ لايرى الإنسان بعينه إلا لمسافة معينة تختلف باختلاف قوة العين ودرجة إبصارها وعمر الإنسان وحالته الصحية وعدم وجود عوائق أمام العين تحجب الرؤية بينما في حالة الرؤية المنامية أي في حالة الإبصار بالروح يرى الإنسان الأماكن البعيدة والتي بينه وبينها سفر طويل وكذلك ترى الروح مالايمكن للجسد أن يراه لاختلاف طبيعة جهاز البصر في كل عن الآخر فترى الروح رؤية تامة فالإنسان في نومه يرى صاحبه أو قريبه الذي مات بينما يستحيل عليه ذلك في حالة الرؤية بالعين الجسدية ، وهناك بعض الأشخاص يمكنهم رؤية الأرواح وهم أيقاظ ويقول علم ماوراء الطبيعة إنهم وهبوا خاصة الجلاء البصري ، وهي رؤية مالا يراه الإنسان العادي في حالته الجسدية من سكان عالم الحياة الأخرى عالم ما بعد الموت وكذلك الأمر بالنسبة للسمع فبالرغم من أن الأذن بعكس العين إذ لا تتعطل عند النوم ولا دخل للضوء أو الظلام في عملها فهي تعمل ليلاً ونهاراً إلا أنه بالنوم لا يسمع الإنسان مايحدث حوله وما يقال بقربه إذ

تتعطل أجهزة الوعي بالصوت ومعرفته بينما تسمع في النوم عند الأحلام الأحاديث والأصوات من كل مكان وأياً كانت درجتها وأياً كان مصدها أحاديث من أحياء ومن موتى وكثيراً مايسمع الإنسان زميله النائم وهو يتحدث إما بألفاظ واضحة أو همهمة أو عبارات مدغومة إنه يتحدث في منامه مع غيره ويقرر العلم كذلك أن هناك بعض الناس لهم القدرة على استخدام حاسة السمع الروحية فيسمعوا أحاديث الروح وهم في حالتهم الطبيعية كما لا يستطيع الإنسان العادي سماعه وهؤلاء يقول العلم عنهم إنهم ذوي خاصة فريدة بهم اسمها خاصة الجلاء السمعي .

* * *

ضرب مثل لذلك من الواقع لو تدبرنا

قال : ويقع للإنسان العادي في حياته مرة أو أكثر أن يستخدم حاسة البصر والسمع الروحية دون أن يدري ويظل في دهشة من أمره لا يستطيع أن يفسر ما وقع أو بسبب ماحدث فهذه الأم التي تسمع صراخ رضيعها وهي في الخارج وتسرع في العودة لتجده فعلاً يصرخ تماماً كما سمعته ، وهذا الابن يرى صورة والده يلوح له بيده مودعاً وبينهما سفر الأيام والليالي فإذا به يفاجأ بعد مدة بخبر وفاة أبيه في نفس اللحظة التي رآه فيها يودعه ، وهذا الصديق سمع صوت صديقه ويستوثق تماماً من صحة ماسمع رغم مابينهما من مسافة وغالباً مايتم ذلك لحاجة هامة لقضاء أمر عاجل أو تحذير من أمر وشيك الوقوع . آلاف من الحالات تفيض بها الأقسام الدراسية لعلم الباراسيكولوجي أو الأبحاث الروحانية الذي يدرس الآن في معظم جامعات العالم ويسمى بالإدراك لما وراء الحس . ولعل أروع مثل وأصدق برهان على استخدام الإنسان لحواسه الروحية السمعية والبصرية ما حدث لسيدنا عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » عندما توقف في خطبة الجمعة فوق المنبر ليقول : ياسارية الجبل لقد رأى بروحه أن الأعداء قاربوا على الالتفاق بجنود المسلمين وأنه لامنجاة لهم إلا بالتحصن بالجبل إن مابين سيدنا عمر وجيوش المسلمين سفر الأيام والليالي ويأتي سارية بعد ذلك ليقول : وكأني سمعتك ياأمير المؤمنين في صلاة الجمعة تناديني وتقول الجبل فالتزمت بما قلت ونجانا الله من الأعداء . لقد سمع سارية بحاسته الروحية السمعية ورأى سيدنا عمر بحاسته الروحية البصرية[1] ، قال وأحياناً يمارس الإنسان بروحه حاسة عجيبة منه غريبة عليه لايعرف مصدرها ولا كيف هي ألا وهي حاسة التنبؤ بأحداث هامة ستقع كمن يحس اقتراب وصول خبر

---

(١) سارية هذا هو سارية ابن زنيم أمره عمر على جيش ، وسيره إلى فارس سنة ثلاثة وعشرين هجريه فوقع في خاطر عمر رضي الله عنه وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وكان بالقرب منهم جبل فقال عمر في أثناء خطبته ياسارية الجبل وكررها ثلاثا كما في بعض الروايات ورفع بها صوته فالقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب ففتح الله عليهم : هذا وقد رويت القصة من عدة وجوه انظر الأصابة لابن حجر ٢ / ٣ .

خطير قد يعلم جملته دون تفصيله وقد لايعلم إلا أن أمراً ما على وشك الوقوع وأن خبره لايراه خيراً أم شراً ثم ضرب مثلاً بامرأة بينما كانت في أثناء زيارة بعض صديقاتها وقد قدم لهن العشاء وفي تلك الأثناء نهضت مسرعة من بينهن إلى منزلها فوراً ولم تجد شيئاً في بيتها غير عادي فاندهشت وماهي إلى لحظات إذا بها تفاجأ بخبر وفاة زوجها في حادث انقلاب سيارة ، ثم قال أو كمن يدرك بهذه الحاسة حقيقة مجهولة كمن فقد شيئا ، وبعد برهة طالت أو قصرت يحس أن هذا الشيء في مكان لايخطر له على بال فما إن يتجه بهذا الإحساس حتى يجده .
وضرب لذلك مثلاً أيضاً من الواقع الذي بلغه فيما يبدو بامرأة فقد خاتمها في منزلها وبحثت عنه في كل مكان يمكن أن تعثر عليه فيه ولكن دون جدوى قال وبعد ساعات نهضت من جلستها واتجهت فوراً بإحساس خفي يدفعها إلى الثلاجة لتخرج مكعبات الثلج من الحوض فتجد الخاتم في إحداها فقد سقط منها أثناء غسلها للحوض وامتلأ بالماء وأصبح الماء ثلجاً ، قال وحالات مشابهة تعد بالآلاف تفيض بها ملفات البحث ومراجع الدرس في الجامعات والمعاهد التي تدرس حاسة الاستشفاف أو مايسمونه الإدراك لما وراء الحس . ولا شك أن هذه الحاسة لايمكن أن تكون من ضمن حواس الجسم إذ لايوجد عضو خاص يمكنه أن يقوم بها كما أنها ليست خاصة بالإنسان وحده بل لعلها أكثر وضوحاً وأعم شيوعا في الحيوان فمعظم الطيور والحيوانات لها حاسة التنبؤ بأحوال الجو في المستقبل القريب والبعيد، بل مما يثير دهشة العلماء معرفة الحيوان لقرب حدوث الزلازل وهو أمر بالغ العجب فقبل وقوع الزلزال بعدة دقائق تضطرب الحيوانات وتصاب بفزع شديد ورعب رهيب فتضرب الأرض بأقدامها وإن كانت طليقة فإنها تأخذ في الجري في كل اتجاه وكأنها أصيبت بلوثة ولايقتصر الأمر علي إحساسها بقرب وقوع الزلازل بل على أية كارثة قريبة الوقوع ثم يضرب لذلك مثلاً .

* * *

حادثة مروعة تحمل سراً عجيباً

فيقول : مثلما حدث في إحدي الطائرات التي كانت تحمل شحنة من القرود وفجأة صاحت القرود كلها واضطربت وهاجت وأخذت تقفز في وحشية وجنون وكادت أن تحطم أقفاصها وبعد دقائق انفجرت الطائرة بلا سبب والحوادث المشابهة كثيرة وعديدة ، قال واضطراب الحصان ليلاً وقلقه وهمهمته واتجاهه ببصره إلى بعيد في الأفق إنما يعني احتضار إنسان قريب والطيور وكل ماحول الإنسان من كائنات لو أمكنها التعبير عن حاستها الروحية والمجهولة التي تجعلها مدركة لاقتراب الأحداث ولو تمكن الإنسان من ترجمة هذه الأحداث لوجد عجباً أي عجب ولوجد بداية الأحداث وهي آتية وأول الطريق الذي يكاد أن يدخل فيه أهـ[1] .

* * *

(١) انظر كتاب أسرار وعجب ص ٨٠ .

بعض المؤيدات النقلية لما سبق

هذا وقد جاء في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد رحمهما الله عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال « بينما رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه فإذا أقبر « ستة أو خمسة أو أربعة » فقال : من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل أنا فقال متى مات هؤلاء قال ماتوا في الإشراك فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع » الحديث . والشاهد في الحديث فزع البغلة ونفورها إذ حادت به فكادت تلقيه ﷺ وجاء في الصحيحين أن عائشة رضي الله عنها قالت يارسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود المدينة دخلت علي فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم قال « صدقت إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها » قالت فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر . وقال عبد الله الأشبيلي يحدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم بأشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم فإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تستمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد أخرى قال أبو الحكم فذكرت عذاب القبر وقول النبي ﷺ : « إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم »[1] وكان بعض العارفين يقول : لايسمع عذاب الموتى إلا من اتصف بكتمان الأسرار كالبهائم فإنها ليست من عالم التعبير عما ترى . أما من يخبر الناس بما رأى فلا يسمع شيئاً من ذلك فما كتم الله تعالى ذلك عن الإنس والجن إلا لحكمة إلهية كما أشار إليه الحديث لغلبة الخوف عند سماع عذاب القبر ومن يطيق سماع عذاب الله في القبر من أمثالنا في هذه الدار مع ضعفنا ، وقد بلغنا أنه مات خلق كثير من سماع الرعد القاصف والزلازل الهائلة

---

(١) الحديث في الصحيحين كما في أحكام تمني الموت عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل القبور يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم » ص ٢٦ .

وهي دون صيحة الملك على الميت بيقين[١] .

وقال ثابت البناني بينما أن أمشي في المقابر وإذا صوت خلفي وهو يقول : ثابت لا يغرنك سكونها فكم من مغموم فيها ، فالتفت فلم أر أحداً قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه : اكتب فرسخاً في فرسخ ثم وقف على الثاني فقال اكتب ميلاً في ميل ثم وقف على الثالث فقال اكتب فتراً في فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول فتراً في فتر ، والفتر ما بين الإبهام والسبابة أهـ[٢] .

اللهم اكرمنا بحسن الخاتمه ونجنا من عذاب القبر والنار ياأرحم الراحمين

* * *

(١) انظر الحياة البرزخية ص ١٤ – ١٢٣ وانظر رحلة الدار الآخرة لكشك ص ٤٦ .

(٢) انظر كتاب الروح ص ٨٢ / ٨٦ .

هل يعرف الموتى أحوال وأعمال أقاربهم الأحياء؟

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمة الله : استفاضت الآثار بمعرفة الميت أهله وأحوال أهله وأصحابه في الدنيا وأن ذلك يعرض عليه ، هذا وجاء في الآثار أنه يدري بما يفعل عنده فيسر بما كان حسناً ويألم بما كان قبيحاً وتجتمع أرواح الموتى فينزل الأعلى إلى الأدنى لا العكس كما جاء في الإحياء للغزالي وشرح البخاري للعيني[1] فقد روى الإمام أحمدفي مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن اعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فاءن كان خيراً إستبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لاتمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وفي اسناد هذا الحديث رجل لم يسم وله شاهد من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عباده كما يلقون البشير من الدنيا فيقولون انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان في كرب شديد ثم يسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة هل تزوجت فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول هيهات قد مات قبل ذلك قبلي فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية وإن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً فرحوا به واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتم نعمتك عليه وأمته عليها ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به عنه وتقربه إليك » [رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مسلمة بن على وهو ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة بإسناد جيد .

وصح عن مجاهد أنه قال : إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده[2] ، وللبيهقي وغيره عن النعمان بن بشير مرفوعاً « الله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم » ولابن أبي الدنيا وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً « لا

---

(١) انظر الحياة البرزخية ص ١٧٩ .

(٢) انظر الحياة البرزخية ص ١٧٨ .

تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور» وله عن أبي الدرداء أنه كان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبد الله بن رواحة إذا لقيته ، ولابن أبي شيبة وغيره عن إبراهيم بن ميسرة قال : غزا أبو أيوب القسطنطينية فمر قصاص وهو يقول : إذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على معارفه إذا أمسى من أهل الآخرى ، وإذا عمل العمل في آخر النهار عرض على معارفه إذا أصبح من أهل الآخرى ، فقال أبو أيوب : انظر ماتقول فقال والله إنه لكما أقول فقال أبو أيوب : اللهم إني أعوذ بك أن تفضحني عند عبادة بن الصامت وسعد ابن عبادة بما عملت بعدهما فقال القاص والله لايكتب الله ولا يته لعبد إلا ستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله[1] ، وهذا يؤكد تماماً ما قيل : «السعادة قبل الولادة ، ومن سبقت له العناية لاتضر به الجناية» .

* * *

(١) انظر أحكام تمني الموت لمحمد بن عبد الوهاب ص ٦٣ .

ذكر ما حصل لبعض المرضى على فراش الموت

روى الحاكم في المستدرك عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن أباه مرض مرضاً فأغمي عليه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه حتى قاموا من عنده وجللوه ثوباً ثم أفاق فقال إنه أتاني ملكان فظان غليظان فقالا : انطلق بنا نحاكمك إلى العزيز الأمين فذهبا به فلقيهما ملكان هما أرق منهما وأرحم فقالا أين تذهبان؟ قالا نحاكمه إلى العزيز الأمين فقالا دعاه فإنه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه ، وعاش بعد ذلك شهراً ثم توفي رضي الله عنه[1] .

وصدق الله القائل : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسني أولئك عنها**

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠ .

– روى الإمام الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه « من عاش بعد الموت » بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

لما مات زيد بن خارجة تنافس الأنصار في غسله ، حتى كاد يكون بينهم شيء ، ثم استقام رأيهم على أن يغسله الغسلة الغسلتين الأوليين ، ثم يدخل من كل فخذ سيدها ، فيصب عليه الماء صبة في الغسلة الثالثة . وأدخلت أنا فيمن دخل ، فلما ذهبنا نصب عليه تالم فقال : خلت اثنتان وبقي أربع ، فأكل غنيهم فقيرهم فانقضوا لا نظام لهم ، أبو بكر لين رحيم بالمؤمنين ، شديد على الكفار ، لايخاف في الله لومة لائم ، وعمر لين رحيم ، شديد على الكفار ، لايخاف في الله لومة لائم ، وعثمان لين رحيم بالمؤمنين ، وأنتم على منهاج عثمان، فاسمعوا وأطيعوا .

ثم خفت فإذا اللسان يتحرك وإذا الجسد ميت .

وقد روي أن زيداً هذا قتل أبوه وأخوه رضي الله عنهما يوم أحد فمكث بعدهم حياة النبي ﷺ وخلافة أبو بكر وعمر وسنين من خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين .

وعن المغيرة بن حذف عن رؤبة بنت بيجان أنها مرضت مرضاً شديداً حتى ماتت في أنفسهم ، فغسلوها وكفنوها ، ثم تحركت فنظرت إليهم فقالت : أبشروا فإني وجدت الأمر أيسر مما كنتم تخوفوني ، ووجدت لايدخل الجنة قاطع رحم ولا مدمن خمر ولا مشرك .

انظر : كتاب : « من عاش بعد الموت » لابن أبي الدنيا .

مبعدون﴾[١] وللطبراني عن ابن عمر قال : أغمي على عبد الله بن رواحة فقامت الناعية فدخل عليه النبي ﷺ وقد أفاق فقال يارسول الله أغمي علي فصاحت النساء واعزاه واجبلاه فقام ملك معه مرزبة فجعلها بين رجلي فقال أنت كما تقول قلت لا ولو قلت نعم ضربني بها[٢] ، وللحاكم وصححه عن النعمان قال أغمي على ابن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي واخياه واكذا تعد عليه فقال حين أفاق : ماقلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذا[٣] أهـ.

قصة موثرة من الواقع شبيهة بما قبلها:-

وبناء على ذلك فإن مثل هذه القصص على امتداد الزمان لاتزال ماثلة للعيان ولذلك أحببت ياأخا الإسلام أن أنقل لك هذه القصة التي أشتهرت في بلادنا وكانت موضع العبرة لدى المؤمنين وهذا الرجل رحمه الله ممن عرفته سابقا واسمه سعيد عبد الله سعيد ، يعتبر من وجهاء قريته في عزلة جبل بحري ناحية العدين ، وكان هذا الرجل رغم وجاهته فيما شهد إلي جماعة من جيرانه إلا أنه كان لايعرف القراءة ولا الكتابة مثل غيره من الدراسين وكان فيه صمم لايسمع إلا بالصوت العالي ورغم تحسن معيشته فإنه كان ضعيف الحال متواضعا وذات يوم فوجيء بالمرض وأغمي عليه من شدته وبعد الإفاقة من الإغماء جعل يحدث من حوله بأحوال مرت عليه أثناء كل إغماءة يستغرق فيها حدثهم عن أصحاب القبور الذين اطلع عليهم وما هم عليه على اختلاف منازلهم فجعل يأمر أصحابه وينهاهم ويدعوهم إلى التوبة ويقرأ عليهم مايتسر من القرآن وخلاصة ماشهدوا به لله من

---

(١) الأنبياء الآية ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ص ٧ .

(٣) وروى الحافظ ابن أبي الدنيا بسنده إلى سفيان بن عيينة قال : سمعت صالح بن حي يقول : أخبرني جار لي أن رجلا عرج بروحه ، فعرض عليه عمله ، قال : فلم أرني استغفرت من ذنب إلا غفر لي ، ولم أر ذنبا لم أستغفر منه إلا وجدته كما هو . قال : حتى حبة رمان كنت التقطتها فكتبت لي بها حسنة ، وقمت ليلة أصلي فرفعت صوتي ، فسمع جار لي فقام وصلى ، فكتبت لي بها حسنة ، وأعطيت يوماً مسكيناً درهما عند قوم لم أعطه إلا من أجلهم ، فوجدته لالي ولا على أ هـ .

«من عاش بعد الموت» ص ٣٤ - ٣٥ .

سألتهم عن هذا الرجل أثناء مرضه الذي مات فيه مايلي :

١ـ أفادهم أن ملكاً من الملائكة أثناء غيبوبته صفعه صفعة شديدة يؤَنبه بذلك على تضييعه لكثير من الطاعات وأطلعه على صحيفته وهي مجللة بالسواد وأخبره بأنه لم يبق له من العمر إلا كذا وأشار له بثلاثة أصابع لم يدر هل هي ثلاث ساعات أم أعوام أم أسابيع أم شهور أم عوام وألزمه بقضاء عدد معين من الصلوات المفروضة التي كانت عليه وبعد تلك الصفعة رجع له سمعه كأحسن مايكون حتى إنه ليسمع كما أفاد لهم مواطيء أقدام ابنته إذا نزلت من على درجات البيت وفعلاً جعل من حوله يخاطبونه بالكلام محاورة عادية دون مشقة كما كان من قبل ذلك، ومما هو جدير بالذكر أن الملك الذي أنبه بعد الصفعة على تفريطه لبعض أوامر الإسلام ونواهيه كما شهد بذلك بعض جيران له الأمر الذي جعله يبكي أمام الملك ويعتذر قائلاً أنا ماتعلمت ولقد عشت يتيماً أصم كذا وكذا من السنين حتى انتهى الأمر إلى أن بشره الملك بحسن خاتمته إذا ماقام بالتوبة الصادقة والأعمال الصالحة التي ألزمه بأدائها ومنها قضاء الفروض التعبدية التي تساهل عنها وبالفعل كما شهد بذلك جماعة فإنه قام بما فرط فيه من الواجبات وتاب إلى الله وأناب . وبعد ذلك بفترة أثناء المرض عرض عليه الملك صحيفته وهي بيضاء مسفرة وعلى أثرها قبضت روحه وحصلت له الوفاة رحمه الله ، وسبحان الله العليم الحكيم الجواد الكريم .

٢ـ كان كلما قرأ من بعض سور القرآن كالبقرة وآل عمران ومريم يندهش الحاضرون ويخاطبونه بمامعناه كيف أصبحت يافلان تقرأ وماعهدناك منذ زمن طويل تفهم شيئاً مما تقرأه اليوم ، فيشير إلى أمام وجهه من الغرفة قائلاً مامعناه هذا هو الملك يكتب لي القرآن على الحائط داخل الغرفة بقلم كبير ويخبرهم بأن صريف القلم له صوت هائل وعظيم كما كان أيضاً يقرأ لهم أسماء الله الحسني ، وأخبرهم بأن آية الكرسي عظيمة جداً ويؤكد لهم أنه ماكان يعلم عنها قبل ذلك شيئاً .

٣ـ أفادهم أنه شاهد بحرين عظيمين أحدهما مظلم أسود فيه نار فسأل الملائكة عن البحر الأسود لمن هو فأجابوه لتارك الصلاة يوتى به فيجرع من مائه الحار جرع تحرق باطنه ويخرج من دبره ويوضع لهم بسط من نار ويلزمونهم بالصلاة عليها

فيسجدون ويغيبون في البحر ثم يعودون من جديد وهم يصطلون بنار حامية وهكذا . وأما البحر الثاني فهو أبيض شديد البياض وأحلى من العسل فمد هو بيده واغترف له منه غرفة وشربها فلم يحس بعد ذلك بشدة ظمأ ولا حرارة مما كان يعانيه إلى حد أنه كان قبل ذلك يبلل بالماء ثوبه ثم يلبسه وكان يشرب كثيراً وشهد بذلك جماعة من جيرانه .

٤- أفاد بأن الملائكة جالوا به حول الأرض فوجدها مثل الكرة والشمس تدور حولها كما يدور الطائفون حول البيت الحرام وأنها ليست كما كان يظن أنها تغيب وراء الجبل وتختفي داخل البحر كما أفادهم أن الأرض ليست كما كان يتصورها واقفة ولكنها تدور وقرأ الآية : ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**﴾[١] وأضاف قائلاً مامعناه أن الماء أكثر من اليابس رغم أنهم شهدوا بجهله وعدم فهمه للقراءة والكتابة مع شدة الصمم الذي كان معروفاً به منذ زمن طويل وآخيراً أخبرهم تأكيداً لما يحكيه لهم إن كانوا متشككين فيما يحدثهم به فقد حدث وفاة عالم كبير في السعودية وأشار لهم بأن يفتحوا الراديو وفعلاً كان هذا العالم هو الأمين العام لرابطة الإسلام محمد على الحركان يرحمة الله [٢] . هذا ولقد مات هذا الشخص يرحمه الله بعد مضي شهر تقريباً من ابتداء مرضه وكان ذلك في شهر رمضان ومحل الشاهد من القضية أن جماعة من جيرانه شهدوا لله تعالى أنه ماكان يحدثهم بشيء مماسبقت الإشارة إليه بل ولا وغيرها من الغرائب العجيبة التي ضربنا عنها صفحاً مراعاة للاختصار إلا بعد أن يفاجأ بالإغماء وتحصل له غيبوبة شديدة ثم يفيق بعدها ويتكلم .

وجاء في القصة أيضاً أنه حدثهم بتحديد الوقت الذي سيموت فيه فكان كما قال [٣] .

---

(١) النمل آية ٨٨ .

(٢) لقد كان وفاته في ٨ / ٩ / ١٤٠٣ هـ .

(٣) روي الإمام الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه : « من عاش بعد الموت » بسنده إلى أبي مسعو الجريري قال : ذكر شيخ في مسجد الأشياخ كان يحدثنا عن أبي ، بينا نحن حول مريض لنا ، إذ هدأ وسكن حتى مايتحرك=

إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد .

وللبيهقي في سننه عن أبي هريرة مرفوعاً : « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه فيقال بدعاء ولدك لك » [وأخرجه البخاري عنه مرفوعا][(١)] . قال بعض العلماء : من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أشياء أن يتوب فيتاب عليه ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات فتمحوها ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفر عنه ، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له أويهدون له من ثواب أعمالهم ماينفعه ، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعة نبيه أو رحمه ربه أهـ .

= منه عرق ، فسجيناه وأغمضناه ، وأرسلنا إلى ثيابه وسدره وسريره ، فلما ذهبنا لنحمله لنغسله تحرك ، فقلنا : سبحان الله ماكنا نراك إلا قد مت ! قال : فإني قد مت وذهب بي إلى قبري ، فإذا إنسان حسن الوجه طيب الريح قد وضعني في لحدي ، وطواه بالقراطيس إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح ، فقالت : هذا صاحب كذا ، وهذا صاحب كذا ، أشياء والله أستحي منها ، كأنما أقلعت منها ساعتئذ ، قال : قلت : أنشدك الله أن تدعني وهذه . قالت : انطلق تخاصمك . قال : فانطلقنا إلى دار فيحاء واسعة ، وفيها مصطبة كأنها من فضه في ناحية منها مسجد ورجل قائم يصلي ، فقرأ سورة النحل ، فتردد في مكان منها، ففتحت عليه فانفتل ، فقال : السورة معك ؟ قلت : نعم قال : أما إنها سورة النعم . قال : ورفع وسادة قريبة منه ، فأخرج صحيفة ، فنظر فيها ، فبدرته السوداء فقالت : فعل كذا وفعل كذا ، قال : وجعل الحسن الوجه يقول : وفعل كذا وفعل كذا ، يذكر محاسن ، قال : فعقال الرجل : عبد ظالم لنفسه ، لكن الله عز وجل تجاوز عنه . لم يجئني أجل هذا بعد . أجل هذا يوم الإثنين ، قال : فقال لهم : انظروا فإن مت يوم الإثنين فأرجو إلى مارأيت ، وإن لم أمت يوم الإثنين فإنما هو هذيان الوجع .

فلما كان يوم الإثنين حتى حدر بعد العصر ، ثم أتاه أجله ، فمات ، وفي هذا الحديث : فلما خرجنا من عند الرجل قلت للرجل الحسن الوجه الطيب الريح : ما أنت ؟ قال : أنا عملك الصالح . قلت : فما الإنسانة السوداء المنتة الريح ؟ قال : ذاك عملك الخبيث . وكلام يشبه هذا . أ هـ .

انظر القصة ص ٢٩٠ .

(١) انظر أحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٧١ – ٧٤ .

هل يحصل في البرزخ للمؤمنين حساب قبل يوم القيامة

أخرج الحكيم الترمذي بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : في القبر حساب وفي الآخرة حساب فمن حوسب في القبر نجا ومن حوسب في القيامة عذب . وروي عنه أيضاً أنه قال : إن في القبر حساباً ويوم القيامة عذاباً ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، قال الحكيم الترمذى : إنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غداً في الموقف فيمحص في البرزخ ليخرج من القبر وقد اقتص منه .أهـ وأخرج أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا لايحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له يرى المسلم عمله في قبره يقول الله تعالى : ﴿ **فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان** ﴾[1] وروي عن النبي ﷺ فيما أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة : إن عذاب القبر من ثلاثة من الغيبة والنميمة والبول فإياكم وذلك » وله شواهد كثيرة قال ابن رجب : قد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة وفيه أنموذج مايقع في يوم القيامة من العقاب والثواب ، والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان حق لله وحق لعباده وأول مايقضي فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء ، وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء النميمة والوقيعة في الأعراض فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما أهـ . قال

---

(١) الرحمن آية ٣٩ . وقال بعض المفسرين في هذه الآية ، أي : ﴿ يوم تنشق السماء ﴾ ، لايسأل أحد من الأنس ولا من الجن عن ذنبه ، لأنهم يعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم .

والجمع بين هذه الآية وبين مثل قوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألهم أجمعين ﴾ أن ماهنا يكون في موقف ، والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة .

وقيل : إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم ، لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع ، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ انظر : تفسير الشوكاني ٥ / ١٣٨ فتح القدير .

ابن رجب : وروى ابن عجلان عن عون بن عبد الله قال : يقال إن العبد إذا دخل قبره سئل عن صلاته أول شيء يسأل عنه فإن جازت له صلاته نظر فيما سوى ذلك من عمله وإن لم يجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد ، أهـ[1] .

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعا أول مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فاءن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله » [رواه الطبراني في الأوسط والضياء وصححه الألباني] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا أول مايحاسب به العبد الصلاة وأول مايقضى بين الناس في الدماء » [رواه النسائي وصححه الألباني / انظر صحيح الجامع] .

* * *

(١) انظر : الحاوي للإمام السيوطي ٢ / ١٨٨ وأحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٥ .

هل يسمع الموتى كلام الأحياء

تعاضدت الكثير من الأحاديث النبوية وتساندت في إثبات سماع الأموات كلام الأحياء وهي كلها صريحةفي ذلك فقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال : « ياأبا جهل بن هشام ياأمية بن خلف ياعتبة بن ربيعة ياشيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ماوعد ربكم حقاً » فإني قد وجدت ماوعدني ربي حقاً فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي ﷺ فقال يارسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا فقال : « والذي نفسي بيده ماأنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لايقدرون أن يجيبوا » ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر » وفي البخارى نحو من رواية عبد الله ابن عمر وهذا حديث صحيح اتفق عليه البخاري ومسلم[1] هذا وقد شرع ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول الزائر : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد ولو أنهم لايشعرون به لما صح تسمية المسلم عليهم زائراً فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره ، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم وكذلك السلام عليهم أيضاً فإن السلام على من لايشعر ولايعلم بالمسلم محال وقد علم النبي ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يسلموا عليهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » ولا شك أن هذا السلام والخطاب لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد ، والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر[2] .

---

(١) انظر الحياة البرزخية ص ١٨٠ .

(٢) انظر السفينة الماخرة ص ٤٨ .

نص وصية أحد الصحابة الأجلاء واستئناسه بمن يقف عنده

وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه فعن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى طويلاً وحول وجهه فجعل ابنه يقول مايبكيك ياأبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل مانعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلى أن قال : فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فسنوا على التراب سناً[1] وأقيموا على قبري قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي . [رواه مسلم][2] .

* * *

(١) روي بالشين المعجمة ومعناه التفريق ويروي بالسين المهملة ومعناه صب التراب قليلاً قليلاً أو الصب في سهولة والله أعلم .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٤٩ .

الرد على بعض الشبه في الموضوع

قال ابن تيمية رحمه الله : وإنكار عائشة رضي الله عنها سماع أهل القليب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لايكون معذوراً مثلها لأن هذه المسألة صارت معلومة من الدين بالضرورة . هذا ورب قائل يقول إن سماع أهل القليب كان من خصوصيات الرسول ﷺ أو منْ معجزاته والحال أن دعوى ذلك منقوضة بما ثبت عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة الصريحة من تعليم أصحابه رضي الله عنهم كيف يقولون إذا زاروا القبور ولو كانت خصوصية لما علمهم وأرشدهم ، وحديث « مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » قال الحافظ السيوطي في الحاوي صححه أبو محمد عبد الحق وصححه ابن القيم في كتاب الروح ورواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً . هذا وأما قوله تعالى : ﴿ **فإنك لاتسمع الموتي** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **إن الله يسمع من يشاء وماأنت بمسمع من في القبور** ﴾[2] فقد قال بعض المفسرين كالإمام النسفي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **فإنك لاتسمع الموتى** ﴾ أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى ، فلا تطمع أن يقبلوا منك لأن الله أثبت الأسماع للمؤمنين بعد هذه الآية في سورة الروم نفسها في قوله : ﴿ **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن باياتنا** ﴾[3] فلو كان المراد مطلق السماع لما تأتى نفيه عن الكفار لأن النبي ﷺ قد بلغهم قطعاً وقد سمعوا منه بأذانهم قطعاً فكيف ينفي الله عنهم السماع بعد ذلك بأداة حاصرة هي النفي والاستثناء المراد أي ماتسمع إلا من يأتى منه الإيمان والتصديق بآياتنا وقال البعض أن المراد بالموتى في القبور الجثث التي فسدت حواسها وتلاشت قواها بخروج

---

(١) الروم آية ٥٢ .

(٢) فاطر آية ٢٢ .

(٣) الروم آية ٥٣ .

أرواحها لأنها المستقرة في القبور فالمقصود تشبيه الكفار بهذه الجثث لأنهم لما لم يعوا ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا وهم أحياء صحاح الحواس بهذه الأبدان الهامدة والهياكل الخالية من الروح والسر الإلهي العجيب [1] والله أعلم .

* * *

(١) انظر : الحياة البرزخية ص ١٨١ / وانظر كتاب الروح لابن القيم ص ٥٧ / فإنه قد أطال في رده على القائلين بعدم سماع الموتي بما فيه الكفاية .

بعض أهل البرزخ والأعمال التعبدية

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الإسراء أن النبي ﷺ قال : « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا بموسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة – أي فيه طول – وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه ﷺ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال يامحمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام » .

وفي هذا يخبر النبي ﷺ قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » [رواه أبو يعلى والبيهقي . وصححه الألباني][(١)] ، وقال الدارمي في كتاب السنن المعروف عند المحدثين بمسند الدرامي باب ماأكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته ، ثم روى بإسناده عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ولم يقم أي لم يقم فيه الصلاة ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لايعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر الرسول ﷺ قال : الحافظ الزرقاني : فإن قيل كيف تصلي الأنبياء وهم أموات في الدر الآخرة وهي ليست دار عمل قال : أجاب القاضي عياض والعلامة السبكي : بأنهم كالشهداء بل أفضل والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يستبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا لأنهم وإن ماتوا فهم في هذه الدنيا أي فهم لايزالون في هذه الدنيا من جهة وليس في الآخرة من كل الاعتبارات ، والدنيا هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبها الآخرة التى هي دار الجزاء . انقطع العمل ، وحاصله أن أهل البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور ، ثم قال : وتكفي رؤيته ﷺ لموسى قائماً يصلي في قبره ولأن جميع الأنبياء لم يقبضوا حتى خيروا في البقاء في الدنيا وبين الآخرة ولاشك أنهم لو بقوا في الدنيا

---

(١) انظر : صحيح الجامع الصحيح ١ / ٢ / ٤١٤ .

لازدادوا من الأعمال الصالحة ثم انتقلوا إلى الجنة فلو لم يعلموا أن انتقالهم إلى الله تعالى بسبب الموت أكمل لما اختاروه ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم الزيادة فيما يقربهم إلى الله لما اختاروا الانتقال(١) .

وللترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنه عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر هو لايحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر »(٢) وللنسائي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : نمت فرأيتني في الجنة ولفظ النسائي دخلت الجنة فسمعت صوت قارىء يقرأ فقلت من هذا قالوا حارثة ابن النعمان فقال رسول الله ﷺ « كذلك البر » كذلك البر وكان أبر الناس بأمه(٣) ، وذكر الإمام الصنعاني في كتابه جمع الشتيت رواية لابن عبد البر في الاستيعاب وفيها وكان أبر الناس بأبيه وأمه كما يقولون ثم قال الإمام الصنعاني : ولا يخفى أن هذه القراءة التي سمعها النبي ﷺ كانت في حياة حارثة لابعد موته ، قال : وحكى اليافعي في روض الرياحين عن بعض الصالحين قال : حفرت قبراً لرجل من العباد وألحدته فبينما أنا أسوي اللحد سقطت لبنة من قبر يليه وإذا برجل جالس في القبر وعليه ثياب بيض تقعقع وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه فقال قد قامت القيامة رحمك الله ؟ فقلت لا فقال : رد اللبنة إلى موضعها عافاك الله فرددتها(٤) .

---

(١) رحلة إلى الدار الآخرة لكشك ص ٦٦ .

(٢) انظر كتاب أحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٤٠ .

(٣) المصدر السابق . وفي لفظ : « دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان كذا لكم البر ، كذالكم البر رواه الترمذي والحاكم ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ٣ / ٤ / ١٢٤ .

(٤) جمع الشتيت للصنعاني ص ١٦٠ .

مظهر كريم لفضل الله العظيم على من شاء من عباده المؤمنين

ولابن أبي الدنيا عن الحسن قال : بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله . وأخرج ابن أبي الدنيا وابن منده عن عطية العوفي قال : إن العبد إذا لقي الله ولم يتعلم كتابه علمه الله كتابه في قبره ليثبته عليه ، ولأحمد عن عفان عن حماد عن ثابت أنه قال اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري ، ولأبي نعيم عن جبير قال : أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني في لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطة لبنة فإذا أنابه يصلي في قبره[1] قال بعض العلماء رحمهم الله : من هنا يتبين أن الأنبياء صلوات الله عليهم لاينقطعون عن عبادتهم وصلواتهم « أى بعد موتهم » كذلك من أكرمه الله تعالى في الدنيا بالأعمال الصالحة والقراءات والتهجدات من عباده المؤمنين فإنه سبحانه يكرمهم بعد الموت بالاستمرار عليها كما يشير إليه قوله ﷺ « يقال للقارىء يوم القيامة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[2] يعني القارىء في الدنيا المواظب على قراءته المستمر على تلاوته في الدنيا يكرم بالاستمرار عليها في الآخرة وهكذا المتهجدون والمتعبدون على حسب مقامه ، هذا وأما العمل الذي ينقطع بعد الموت يعني كما جاء في الحديث الصحيح « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له » [رواه الإمام مسلم في صحيحه] فهو العمل التكليفي الذي هو من

---

(١) انظر أحكام تمني الموت للإمام محمد عبد الوهاب ص ٤٠ وجمع الشتيت ص ١٦٠ .

(٢) لفظ الحديث كما في صحيح الجامع الصغير هكذا :

« يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها »

رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث ابن عمرو مرفوعاً ، وصححه الألباني انظر : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٦ / ٣٤٩ .

تكاليف عالم الدنيا قبل الموت فإنه ينقطع بالموت لفوات أوانه فالفرائض التي تركها في الدنيا لا تقضى هناك والزكوات التي لم يؤدها في الدنيا لاتؤدى هناك والواجبات التي تركها والعبادات التي أهملها ، والتطوعات التي قصر فيها فإنها إذا مات فاتته ، نعم إلا ماتسبب فيه من الأعمال الصالحة والأمور النافعة قبل الموت وهذا التسبب كالصدقة الجارية والولد الصالح يدعو له والعلم الذي ينتفع به إلى آخر ما تقدم فإن خيره يجري عليه ، فإن من ورث علماً ضاراً أو تسبب في عمل سيء أو سن سنة سيئة فإنه بعد الموت يجري عليه إثمه وإثم من عمل به كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾[1] وقال الحافظ ابن رجب في كتاب أهل القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة في البرزخ كقراءة القرآن والصلاة في القبر وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته أ هـ [2] .

* * *

(١) انظر رحلة إلى الدار الآخرة للشيخ عبد الحميد كشك ص ٦٥ – ٦٧ ، العنكبوت آية ١٣ .

(٢) الحياة البرزخية ص ١٧٣ .

تحقيق بعض أهل العلم في الروح وضرب مثال من الواقع

نعم لقد صرح بعض العلماء رحمهم الله قائلاً : إن الأرواح باقية مدركة فاهمة على نحو ماكانت عليه في حياتها أو أشد ، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم إلى آخر ماجاء في السنة وقد دعا آدم عليه السلام وغيره لنبينا ﷺ ليلة المعراج وقدشرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا السلام عليكم دار قوم مؤمنين ونخاطب النبي ﷺ في كل صلاة بقولنا السلام عليك أيها النبي قال وتعرض أعمالنا عليه ﷺ فإن وجد خيراً حمد الله وإن وجد شراً استغفر لنا بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء في السنة وقد رأى النبي ﷺ موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة وراجعه ﷺ في أمر الصلاة وذكر حال أمته وقد اجتمعت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج وخطبوا وقالوا وفعلوا أهـ[1] .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله وأما كونه رأى يعني رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره ، ورآه في السماء أيضاً ، فهنا لا منافاة بينهما ، فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ، ليست في ذلك كالبدن .

ثم أضاف قائلاً : وهذه الصلاة وغيرها مما يتمتع به الميت ، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح ، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النفس .

قال : فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس

---

(١) الحياة البرزخية ص ١٧٣ .

هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به ، فإن أهل الجنة يتنعمون بقراءة القرآن ويتنعمون بمخاطبة ربهم ومناجاته[١] .

* * *

(١) انظر : مجموع فتاوي ابن تيمية ٤ / ٣٣٠ .

أقرب مثال للروح من الواقع إن صح التعبير

إذا كانت الروح بعد مفارقتها للبدن كما عرفت في مواصفة علماء الإسلام لها من شدة نفوذها وقوة إدراكها وسرعة حركتها ، فالتقنية الحديثة ومخترعات العصر المتجددة لازالت تسهم بفضل الله إلى حد كبير في تفسير ما أشكل من العلوم وتوضيح ماخفي من الفهوم بالنسبة لما مضى من الزمن قال تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شي شهيد** ﴾[١] وهل النفس إلا الروح كما سبق بيانه؟

* * *

(١) فصلت آية ٥٣ .

مثال مصغر مع الفارق الكبير

هذا وأقرب مثال للروح بعد انفصالها من البدن الذي كان بمثابة القيد لها أو القفص الذي يحويها بالصوت المسجل والصورة المتحركة بواسطة الأجهزة المرئية كالتلفاز ونحوه مثلاً إذ يخترق الصوت والصورة كل الحواجز والسدود المانعة للجسم فعلاً ويجوبان الأجواء بسرعة مدهشة تشبه الضوء في سرعة نفوذه أنحاء الدنيا ، بل لو انعزل الإنسان داخل غرفة محكمة في بنائها موصدة جميع أبوابها ومنافذها يحيط بها آلاف الغرف من حولها وكان عنده جهاز استقبال كراديو أو تلفاز مثلاً واستعمله داخل غرفته لجاءته الصورة والصوت من جهاز الإرسال مهما كان بعيداً وإذا به يشاهد صوتاً أو يسمع أصواتاً تقتحم معقله مهما كان حصيناً تصل إليه رغم بعدها السحيق بطريقة تقف العقول أمامها حائرة وكذلك الروح في سرعتها وشدة نفوذها بعد مفارقة جسمها وتمتعها بخصائص جمة تفوق الكثير عما كانت عليه في دار الدنيا : إذ قد فتح لها الباب وزال عنها الحجاب وتوفرت لها جميع الأسباب قال تعالى : ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾[1] أى فأزلنا عنك الحجاب الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم قوي نافذ ترى به ماكان محجوبا عنك لزوال الموانع بالكلية فهو كالحديد في قوة نفوذه وشدة اختراقه للحجب التي كانت تحول بينه وبين الغيب المجهول في دار القرار ، وذلك لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام واليوم الآخر يبتديء من الموت فإذا مات ابن آدم بمفارقة روحه للبدن عرف ورأى الأشياء على حقيقتها ولذلك قيل : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

إن مابعد الموت طور آخر من أطوار الوجود ، يتسم بزيادة الوعي ووحدة الشعور ورحابة الأفق .

قيل : إن أبا حامد الغزالي لما أحس بدنو أجله قال لبعض أصحابه : ائتني بثوب جديد ، فقال له : ماتريد به ؟ قال أبو حامد : سألقي به الملك . فجاؤوه بالثوب ،

---

(١) ق آية ٢٢ .

فذهب به إلى بيته ، وأبطأ على أصحابه ، فلم يعد : فلما ذهبوا ليستطلعوا نبأه إذا هو ميت ، وعند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات :

قل لإخوان رأوني ميتا ... فرثوني وبكوني حزنا

أتظنون بأني ميتكم ... ليس[1] هذا الميت والله أنا

أنا في الصور[2] وهذا جسدي ... كان بيتي وقميصي زمنا

أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت عنه وبقى مرتهنا

أنا در قد حواه صدف ... لامتحاني فنفيت المحنا[3]

أحمد الله الذي خلصني ... وبنى لي في المعالي سكنا

كنت قبل اليوم ميتاً بينكم ... فحييت وخلعت الكفنا

وأنا اليوم أناجي ملأً ... وأرى الله جهاراً علنا[4]

قد ترحلت وخلفتكموا ... لست أرضى داركم لي وطنا[5]

لاتظنوا الموت موتاً إنه ... كحياة وهو غايات المني

لاترعكم هجمة الموت فما ... هي إلا نقلة من هاهنا

وهذه الأبيات سواء صحت نسبتها للغزالي أم لم تصح ، فهي صورة صحيحة للفكر الديني عما وراء الموت أهـ[6] .

---

(١) يرفض أن تكون الشخصية الإنسانية هي تلك الجثة البالية .

(٢) الصور : المراد به هنا البرزخ بين الحياتين ، وما كان الجسد قبل ذلك إلا كثوب خلع إلى حين ، ثم يعود إليه يوم الدين .

(٣) بالموت تنتهي فترة الاختبار وتبدأ سعادة السعداء .

(٤) رؤية روحية بداهية ، لاكما يتبادر إلى الذهن ، فالله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

(٥) المجيء إلى الدنيا ثم تركها مشيئة إلهية خالصة ، ولكن في الكلام معني الاستبشار بما لقي .

(٦) انظر : كتاب « جدد حياتك » لمحمد الغزالي ص ٣٤ .

صورة واقعية لبداية الحياة البرزخية

لاشك أن نعيماً أو عذاباً يتم للروح عند نزعها بواسطة ملائكة رحمة أو ملائكة عذاب كما جاءت الأخبار الصادقة الصحيحة بذلك ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾[1] وهذه الآية تفيد حصول العذاب بالنسبة للكافر والمجرم عند الموت وحال نزع الروح، وأما بالنسبة إلى ذي الروح الطيب الطاهر من المؤمنين المتقين فقد قال تعالى : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم** ﴾[2] ولابن أبي الدنيا وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرؤك السلام . ولابن المبارك والبيهقي عن محمد بن كعب : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ياولي الله الله يقرأ عليك السلام . وأخرج ابن أبي الدنيا عن حنظلة بن الأسود قال : مات مولاي فجعل يغطي وجهه مرة ويكشفه أخرى فذكرت ذلك لمجاهد فقال بلغنا أن نفس المؤمن لاتخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت قال « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه وكره لقاء الله كره الله لقائه »[3] [أخرجه الخمسة إلا أبا داود] .

وفي الحديث الشريف « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من

---

(١) الأنفال آية ٥٠ – ٥١ .

(٢) النحل آية ٣٢ .

(٣) انظر التاج ص ٣٣٨.

الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوهم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها الروح الطيبة إخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء » الحديث . هذا وأما ذو الروح الخبيثة من الكافرين والمنافقين فقد قال عنه رسول الله ﷺ « وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة إخرجي إلى سخط من الله وغضبه فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول » الحديث[١] .

* * *

(١) عقيدة المؤمن للجزائرى ص ٣٩٧ / قال رواه أحمد : قال المنذري رواته يحتج بهم في الصحيح :

والمسوح : ثياب خشنة غليظة . السفود : الحديدة التى يشوي بها اللحم .

وانظر الحديث بطوله في صحيح الجامع الصغير (١ / ٢ / ٨٠ / ٨١ / ٨٢) من رواية أحمد وأبي داود وابن خزيمة والحاكم والبيهقي في الشعب والضياء ، وصححه الألباني .

عذاب القبر ونعيمه

لاشك بأن القبر أول منازل الحياة الثانية وهو كالعتبة للدار الآخرى ويجري فيه النعيم والعذاب على الروح والجسد معاً . قال بعض العلماء :

إن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ، ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الإنسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه ، فالعقوبات الدنيوية تقع على البدن الظاهر وتتألم الروح بالتبعية وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لأسباب النعيم والعذاب فكذلك تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها في البرزخ فكان العذاب والنعيم على الروح بالأصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا ، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما على الأرواح والأجساد بادياً ظاهراً أصلاً[١] هذا وصدق الله القائل : ﴿ **فيومئذ لايعذب عذابه أحد ، ولايوثق وثاقة أحد** ﴾[٢] وكأن ذلك والله أعلم ليس لشدة حرارة جهنم فحسب بل لأن العذاب أصبح ذلك اليوم يوم القيامة على الجسد والروح أصلاً وليس بالتبعية ، نعم إنَّ نعيم القبر أو عذابه ثابت بالدليلين العقلي القياسي والنقلي الشرعي الديني فالدليل العقلي هو عدم استحالته وما لم يكن مستحيلاً فهو جائز إذ ثبوت النعيم أو العذاب للميت في القبر لايوجب تصوره تناقضاً عقلياً وثانياً ماعمله كل إنسان مما عرفه من نفسه المرات العديدة من رؤى منامية يرى فيها نفسه في نعيم كان لايؤسفه إلا أن ينقطع عنه بالاستيقاظ أو عذاب شديد لاينهيه عنه إلا استيقاظه بل يبقى أثر الرؤيا في نفس المرء فترة من الزمن خيراً كان أو شراً .

---

(١) السفينة الماخرة للعبادي ص ٦٧ .

(٢) الفجر آية ٢٥ – ٢٦ .

وأما الدليل النقلي الديني فقد صح عن النبي ﷺ أن ملك الموت إذا أخذ روح العبد المؤمن لم تدعها الملائكة في يده ملك الموت طرفة عين حتى يأخذوها ويضعوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط . تقدم الحديث عنها ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، ثم قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيب؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا عبدي في عليين « في أعلى درجة في الجنة » وأعيدوه إلى الأرض في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك فيقول ربي الله فيقولان مادينك فيقول ديني الإسلام فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان ومايدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً في الجنة قال : فيأتيه من روحها ورائحتها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه الحسن يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي[1] وفيه أيضاً أنه قال إن ملك الموت إذا أخذ روح الكافر لم تدعها الملائكة في يده طرفه عين حتى يجعلوها في تلك المسوح وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل من سم الخياط** ﴾[2] فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ثم تطرح روحه طرحاً ثم قرأ : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾[3]

---

(١) هذا اللفظ والذي سبق كلاهما حديث واحد وقد تقدم أنه أخرجه أبو داود وأحمد وأن رواة أحمد كلهم محتج بهم في الصحيح كما قال الحافظ المنذري راجع ص ٣٩٧ / عقيدة المؤمن ٣٩٩ .

(٢) الأعراف / ٤٠ / .

(٣) الحج / ٣١ / .

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لاأدْرى قال فيقولان له مادينك فيقول هاه هاه لاأدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي ... فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لاتقم الساعة ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه ضربة فيصير تراباً ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين ، قال البراء ثم يفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار »[١] هذا وصح عنه ﷺ أن اسم أحد الملكين منكر وأن اسم الثاني يقال له نكير وأنهما يثيران الأرض بأنيابهما يلجفان الأرض بشفاههما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف[٢] وفي الحديث الشريف « ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك وغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاط فتلتلاك وثرثراك وهولاك[٣] كيف بك عند ذلك ياعمر» فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن فقال رسول الله ﷺ نعم فقال عمر إذا أكفيكهما » [رواه ابن أبي الدنيا في القبور في عذاب القبر وأبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح غير أنه مرسل][٤] .

* * *

(١) عقيدة المؤمن ص ٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تلتلاك : أي أزعجاك ، وثرثراك : أى رددا الكلام عليك مرة بعد أخري .

(٤) الحياة البرزخية ص / ١٢٠ / .

تختلف أحوال المسؤولين من الموتى في قبورهم

هذا ويبدو أن أحوال المسؤولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعاً تشديداً عليه وتصعيباً ومنهم من يسأله أحدهما تخفيفاً عليه وتسهيلاً ومنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسأل عن كلها ولايسأل الميت عن غير الاعتقاد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء** ﴾[1] قال الشهادتان يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم وقال عكرمة في هذه الآية يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد ، قال الحافظ السيوطي :

وليس عن غير اعتقاد يسأل　　　أتى بهذا خبر مفصل[2]

* * *

(١) إبراهيم اية ٢٧ .

(٢) الحياة البرزخية / ص ١٢٥ .

هل يدوم عذاب القبر أم ينقطع ؟

لاشك أن عذاب القبر نوعان : عذاب دائم وهو عذاب الكفار وبعض عصاة المؤمنين الذين كثرت جرائمهم وعظمت ذنوبهم وآثامهم ولا يرفع عنهم إلا مابين المنفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا : ﴿ **ياويلنا من بعثنا من مرقدنا** ﴾[١] والأدلة على دوام العذاب لهؤلاء كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا** ﴾[٢] أي صباحا ومساءً بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[٣] وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة ، [رواه الإمام أحمد] وفي بعض طرقه ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة . وقصة الكتابي الذي لبس بردين وجعل يمشي متبختراً فخسف الله به الأرض فأخبر ﷺ أنه يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وأصل الحديث في الصحيحين وغيرهما وعذاب منقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من عصاة المؤمنين كل فرد منهم يعذب بحسب جريمته ثم يرفع عنه بدعاء غيره له أو صدقة أو نحو ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله في مكانه .

أخرج هناد في الزهد عن مجاهد قال للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فإذا صيح ياأهل القبور يقول الكافر ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن إلى جنبه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

* * *

(١) سورة يس آية ٥٢ .

(٢ - ٣) غافر آية ٤٦ .

صورة ماثلة من واقع المعذبين في دار البرزخ على اختلاف أحوالهم فهل من مدكر ؟

أخرج البخاري رحمه الله عن سمرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه « هل رأى أحد منكم رؤيا وأنه قال : إنه أتاني الليلة آتيان فقالا لي انطلق فانطلقت معهما ، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فأتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة إذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى قلت لهما سبحان الله ماهذان قالا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثلما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل مافعل المرة الأولى قلت سبحان الله ماهذان قالا لي انطلق ، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قلت ما هؤلاء قالا لي انطلق ، فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ماسبح ثم يأتي الذي جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً قلت لهما ما هذان قالا انطلق فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره مأأنت راء وإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها فقلت لهما ماهذا قالا لي انطلق ، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل تور الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قالا لي انطلق فانطلقنا فأتينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولاأحسن قالا لي ارق فيها فارتقينا فانتهينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناه فتلقانا رجال شطر من

خلقهم كأحسن ماأنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك فسما بصري صعداً فإذا قصر مثل الربابة البيضاء قالا لي هذا منزلك قلت لهما بارك الله فيكما ذراني فأدخله قالا لي أما الآن فلا وأنت داخله ، قلت لهما فإني رأيت؟ منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رأيت قالا أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل التنور فإنهم الزناة والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا ، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عنده النار يحشها فإنه مالك خازن جهنم وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسنا وشطراً منهم قبيحاً فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم وأنا جبريل وهذا ميكائيل»(١) وأخرج ابن عساكر على نحوه فمضيت وإذا بتل أسود عليه قوم مخبلون تنفخ النار في أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم إلى أن قال وأما صاحب الكلوب الذي رأيت فأولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنميمة فيفسدون بينهم فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار وأما القوم المخبلون فأولئك الذين يعملون عمل قوط لوط الفاعل والمفعول به فهم يعذبون حتى يصيروا إلى النار ، ولابن أبي الدنيا عن مسروق قال ما من ميت يموت وهو يسرق أو يزني أو يأتي شيئاً من هذه إلا جعل معه شجاعان ينهشانه في قبره .

وفي تاريخ ابن عساكر بسنده عن عمر بن أسلم الدمشقي قال : مات عندنا

---

(١) إنظر أحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٣٠ .

رجل بالثغر فدفن فحفر عليه في اليوم الثالث فإذا اللبن بحاله منصوب وليس في اللحد شيء فسئل وكيع بن الجراح عن ذلك فقال سمعنا في حديث أن من مات وهو يعمل عمل قوط لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر معهم[1] .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٣٢ .

بعض آثار الزنا والشذوذ الجنسي في عالمنا المعاصر

وتحت عنوان :- الإيدز يهدد الملايين واكتشاف العلاج مايزال بعيداً أعرب أوتيس بوين وزير الصحة والشؤون الاجتماعية الأمريكي عن اعتقاده بأن مرض الإيدز « نقص المناعة المكتسبة » يمكن أن يؤدي إلى وفاة عشرات الملايين من الأشخاص خلال عشر سنوات حيث لم يسجل أي تقدم في محاربة هذا المرض الخطير ، وأشار الوزير الأمريكي إلى أنه لايوجد حتى الآن أي علاج معروف لهذا المرض وأضاف أن مابين (٥٠) إلى (١٠٠) مليون شخص قد يتعرضون لفيروس الإيدز من خلال السنوات القادمة وأن (٢٧٠) ألف حالة على الأقل ستظهر في الولايات المتحدة خلال خمسة أعوام ، وأكد الوزير أن مابين مليون إلى مليون ونصف أمريكي يحملون فيروس المرض بينما أصيب (٣٠) ألف شخص تقريباً بالإيدز في أمريكا منذ ظهوره قبل خمسة أعوام تقريباً وقد توفي نصف هؤلاء بسبب هذا المرض وحذر الوزير خلال مؤتمر صحفي عقده في واشنطن قائلاً لم تروا أو تسمعوا شيئاً بعد أن الطاعون والجدري والتيفود ستصير أمراضاً بسيطة جداً بالمقارنة بما سيحدثه الإيدز من آثار مدمرة[١] هذا ولاريب أن الزنا والشذوذ الجنسي هو السبب في انتشار هذا المرض الخطير وصدق الله القائل : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾[٢] .

* * *

(١) الصحوة العدد ٧٤ / السنة الثانية الخميس ٦ جمادي الآخرة ١٤٠٧ هـ .

(٢) فصلت آية ٥٣ .

مشاهد مروعة وهي بمثابة الإنذار المبكر

ولأحمد وغيره عن أبي سعيد مرفوعاً « يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تلدغه حتى تقوم الساعة » .

وله عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « يرسل على الكافر حيتان واحدة من قبل رأسه والأخري من قبل رجليه يقرضانه قرضاً كلما فرغتا عادتا إلى يوم القيامة »[١] وعن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « بينما أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني ياعبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي أو دعاني بدعاية العرب وخرج رجل من ذلك الحفير وفي يده سوط فناداني ياعبد الله لا تسقه فإنه كافر ثم ضربه بالسوط حتى عاد إلى حفرته فأتيت النبي ﷺ مسرعاً فأخبرته فقال أو قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل ابن هشام وذلك عذابه إلى يوم القيامة » . أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ورواه أيضاً ابن عبد البر في التمهيد[٢] .

* * *

(١) المصدر نفسه ص ٢٦ .

(٢) السفينة الماخرة ص ٧٢ .

مشهد آخر مؤثر وهو بمثابة الإنذار المبكر

ولابن أبي الدنيا عن الحويرث بن الرباب قال : « بينما أنا بالإثاية إذ خرج علينا إنسان من قبر يلتهب وجهه ورأسه ناراً في جامعة من حديد فقال : اسقني وخرج في أثره إنسان يقول لاتسق الكافر فأدركه وأخذ بطرف له بسلسلة فكبه ثم جره حتى دخلا القبر جميعاً قال الحويرث فصارت الناقة لا أقدر منها على شيء حتى التوت بعرق الضبية فبركت فنزلت فصليت المغرب والعشاء ثم ركبت حتى أصبحت بالمدينة فأتيت عمر ابن الخطاب فأخبرته فقال ياحويرث والله مأأتهمك ولقد أخبرتني خبراً شديداً ، فأرسل عمر إلى مشيخة من أهل كنفي الصفراء قد أدركوا الجاهلية ثم دعا الحويرث فقال : إن هذا حدثني حديثاً ولست أتهمه حدثهم ياحويرث بما حدثتني فحدثتهم فقالوا قد عرفنا هذا ياأمير المؤمنين هذا رجل من بني غفار مات في الجاهلية ولم يكن يرى للضيف حقا »[١] وأخرج عن عروة قال : « بينما راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا رجل قد خرج من قبره يلتهب ناراً مصفداً في الحديد فقال ياعبد الله انضح ياعبد الله انضح وخرج آخر يتلوه فقال ياعبد الله لا تنضح ياعبد الله لا تنضح وغشي على الراكب فأصبح وقد ابيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده »[٢] .

* * *

(١) أحكام تمني الموت ص ٣٧ .

(٢) أحكام تمني الموت ص ٣٧ .

كلام القبر للميت فور وصوله إليه

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ يوماً مصلاه، فرأى أناساً كأنهم يكثرون فقال : «أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى . أكثروا ذكر هادم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه يقول : أنا بيت الغربة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الدود والهوام ، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحباً وأهلاً ، أما أن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلى فإذا وليتك اليوم ، وصرت إلى فستري صنيعي بك ، قال : فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة .

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر يقول له القبر : لامرحباً ولاأهلاً ، أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلى ، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إلى ، فسترى صنيعي بك ، فيلتئم عليه حتى تلتقي وتختلف أضلاعه .

قال : وقال رسول الله ﷺ بأصابع يديه ، فشبكها ، ثم يقيض له تسعون تنيناً ، أو قال : تسعة وتسعون تنيناً ، ولو أن واحداً منها نفخ في الأرض ماأنبتت شيئاً مابقيت الدنيا ، فتنهشة وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب .

قال : وقال رسول الله ﷺ : «إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار» .

[أخرجه الترمذي] ، إلا أنه قال : سبعون[1] قال صاحب جامع الأصول : والذي ذكره رزين هكذا .

---

(١) قال المحقق والمعلق على جامع الأصول : وإسناده ضعيف ، ولبعض فقراته شواهد .

انظر : جامع الأصول ١١ / ١٦٩ – ١٧٠ .

مشهد من واقع أهل البرزخ

وأخرج ابن الجوزي عن محمد بن يوسف الفريابي قال سمعت أبا سنان وكان رجلاً صالحاً يقول : عزيت رجلاً بأخيه فوجدته جزعاً فقال إنما أجزع لما رأيت لما دفنته وسويت التراب عليه إذا صوت من القبر يقول أوه . فقلت : أخي والله فكشفت التراب فقيل ياعبد الله لاتنبشه فرددت عليه التراب فلما ذهبت لأقوم إذا هو يقول أوه فقلت والله لاتركت نبشه فنبشته فإذا هو مطوق بطوق من نار قد التمع عليه القبر ناراً فطمعت أن أقطع ذلك الطوق فضربته بيدي لأقطعه فذهبت أصابعي ، فأخرج لنا يده فإذا أصابه الأربع قد ذهبت ، فأتيت الأوزاعي فحدثته قلت : ياأبا عمرو يموت اليهودي والنصراني والكفار ولانرى مثل هذا فقال نعم أولئك لا شك أنهم في النار ويريكم الله في أهل التوحيد لتعتبروا[1] هذا وقد أوردها الإمام الحافظ الذهبي في كتابه الكبائر بلفظ قريب من هذا ، وفيها فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لايؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق لقوله تعالى : ﴿ **ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة** ﴾[2] وفيها وإنما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا قال الله تعالى : ﴿ **فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾[3] .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٣٧ .

(٢) الكبائر للحافظ الذهبي ص ٤٠ .

(٣) آل عمران اية ١٨٠ .

مشهد من مشاهد عذاب البرزخ للذين كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل

قال ابن القيم : وحدثنا أبو عبد الله محمد بن الحراني أنه خرج من داره بآمد بعد العصر إلى بستان فلما كان قبل غروب الشمس توسط القبور وإذا قبر منها وهو جمرة نار مثل كور الزجاج والميت في وسطه قال وسألت عن صاحب القبر فإذا هومكاس قد توفي في ذلك اليوم ، ولابن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الفزاري أنه أتاه رجل فقال كنت أنبش القبور وكنت أجد قوماً وجوههم لغير القبلة فكتب إلى الأوزاعي يسأله فقال أولئك قوم ماتوا على غير السنة(١) . وللترمذي وصححه عن عمارة بن عمير قال لما قتل عبيد الله بن زياد أتي برأسه ورؤوس أصحابه فألقيت في الرحبة فجاءت حية عظيمة فتفرق الناس من فزعهم فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد ثم خرجت من فيه ثم دخلت من فيه وخرجت من أنفه ففعلت به مراراً ثم ذهبت ثم عادت ففعلت به مثل ذلك مراراً بين الرؤوس ولايدري من أين جاءت ولا أين ذهبت .

وللبيهقي في الشعب عن عبد الحميد بن محمود المعولي قال : كنت جالساً عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا إنا خرجنا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذا الصفاح فمات فهيأناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ولحدنا له فلما فرغنا من لحده فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فتركناه وحفرنا له مكاناً آخر فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فقال ابن عباس : ذلك عمله الذي كان يعمل انطلقوا فادفنوه في بعضها ، فوالذي نفسي بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها فانطلقنا فدفناه في بعضها وروي عنه ﷺ فيما أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه : «لما عرج بي مررت بأقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوهم وصدورهم قلت من هؤلاء ياجبريل

---

(١) أحكام تمني الموت ص ٣٤ .

قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[1] وفي رواية أبي هريرة عند البيهقي وابن عدي : ثم أتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قلت من هولاء قال الذين لايؤدون صدقات أموالهم ا هـ أحكام تمني الموت هذا ، وفي صحيح الجامع الصغير من رواية أحمد وأبي داود ، وصححه الألباني عن أنس مرفوعاً : «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوهم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » . وفي حديث عند الطبراني والبزار أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ماهذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعفت لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى قوماً ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما ارضخت عادت كما كانت ولايفتر عنهم من ذلك شيء فقال ماهذا يا جبريل قال هولاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع فقال ماهؤلاء قال هؤلاء الذين لايؤدون زكاة أموالهم وماظلمهم الله ومماربك بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج ، فقال ما هؤلاء ياجبريل قال جبريل هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح ، ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لايستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لايفتر عنهم من ذلك شيء قال : ماهذا ياجبريل قال : هولاء خطباء الفتنة ، قال ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم وجعل الثور يريد أن يرجع من

---

(١)انظر : صحيح الجامع ٥ / ٦ / ٥١.

حيث خرج فلا يستطيع قال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، ثم أتى على واد فوجد فيه ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً فقال : ماهذا ياجبريل قال هذا صوت الجنة وتقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريرى وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فأتني بما وعدتني قال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بربي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ولم يتخذ من دوني أنداداً ومن خشيني فهو آمن ومن سألني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته ومن توكل علي كفيته إنني أنا الله لاإله إلا أنا لاأخلف الميعاد ، أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت فقد رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا صوت جنهم تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لايؤمن بيوم الحساب قالت : قد رضيت.

وللبيهقي عن أبي سعيد في حديث الإسراء ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد وإذا أنا بأخونة علهيا لحم قد أروح ونتن ، عندها أناس يأكلون منها قلت : ياجبريل ماهؤلاء قال قوم من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام ، ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ، يقول اللهم لاتقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطؤهم فسمعتهم يضجون إلى الله قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا ، ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم ويلقمون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم قلت من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت من هؤلاء قال : اللمازون . وفي الحديث الشريف « تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » رواه ابن أبي شيبة ، وغيره عن أبي هريرة ، ورري عنه ﷺ فيما أخرجه

البيهقي عن ميمونة رضي الله عنها « يا ميمونة تعوذي بالله من عذاب القبر وإن من أشد عذاب القبر الغيبة والبول » وله عن قتادة قال : إن عذاب القبر ثلاثة ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وله يعني البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه وقال من ثلاثة من الغيبة والنميمة والبول فإياكم ذلك [1] ولابن أبي شيبة عن عمرو بن شرحبيل قال : مات رجل يرون أن عنده ورعاً فأتي في قبره فقيل إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله قال فيم تجلدون فقد كنت أتوقى وأتورع فقيل خمسون فلم يزالوا يناقصونه حتى صار إلى جلدة فجلد فالتهب القبر عليه ناراً وهلك الرجل ثم أعيد وقال فيم جلدتموني قالو صليت يوماً وأنت على غير وضوء ومررت بمظلوم يستغيث فلم تغثه ، وأخرجه أبو الشيخ ، والطحاوي عن ابن مسعود مرفوعاً[2] قال ابن القيم في كتاب الروح ص ٩٨ ، أصحاب القبور معذبون والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات ، وفي باطنها الدواهي والبليات ، تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها ، تالله لقد وعظت فيما تركت لواعظ مقالاً ونادت ياعمار الدنيا لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالاً وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً .

* * *

---

(١) انظر أحكام تمني الموت ص ٢٦ . هذا وقد صحح الألباني حديث « تنزهوا من البول » إلخ ولكن من رواية الدار قطني كما في (٪ صحيح الجامع ٣ / ٤ / ٥٥) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « أكثر عذاب القبر من البول » .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨ .

ضغطة القبر وضمته هل يسلم منها أحد

ضغطة القبر هي التقاء حافتي القبر على جسد الميت وهذا الضغط أو الضم قد يكون بعد سؤال الميت في القبر أو غيره كما لو طرح الميت في الصحراء أو أحرق وذر في الهواء فإنه بقدرة الله العظيم يضيق عليه الجو ويضمه كالقبر هذا وإنما أضيف عذاب البرزخ إلى القبر باعتبار الغالب وإلا فالمصلوب والغريق والحريق ومن أكلته السباع والطيور والحيتان ونحو ذلك فإن له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه والخلاصة أن امتحان الميت وسؤاله وضمة القبر عليه لابد منها والله أعلم مهما كان وفي أي مكان وعلى أي هيئة يكون فعناصر المخلوقات كلها وموادها منقادة لمنشئها وفاطرها : ﴿ **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل** ﴾[1] ويختلف الضم باختلاف العمل ، فصاحب العمل الصالح يضمه القبر كما تضم الأم الشفيقة ولدها الوحيد الذي حضر بعد غياب طويل وأما المجرم والفاسق فتضمه حتى تختلف أضلاعه ويدوم الضغط على الكافر ولا يدوم على المؤمن ، وروي عن النبي ﷺ فيما أخرجه النسائي من حديث عائشة « للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ » وللبيهقي وغيره عن ابن المسيب أن عائشة قالت يارسول إنك منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال « ياعائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالإثمد في العين وإن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع ولكن ياعائشة ويل للمشركين في الله كيف يضغطون في قبورهم[2] وعنها رضي الله عنها : « إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » [رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني .

* * *

(١) الزمر آية ٦٢ .

(٢) انظر أحكام تمني الموت ص ٢٢ .

الميت يشعر بما يدور حوله عند تغسيله وتكفينه، وتبكي السماء والأرض عليه إذا مات

أخرج أحمد وغيره عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال : «إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته» . وأخرج أبو نعيم وغيره عن عمرو بن دينار قال : مامن ميت يموت إلا روحه في يد ملك الموت ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك . وأخرج ابن أبي الدنيا معناه عن جماعة من التابعين بلفظ بيد ملك بلا إضافة وللترمذي وابن أبي حاتم وغيرهما عن أنس مرفوعاً «مامن إنسان إلاوله بابان في السماء باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه[1] .

* * *

(١) المصدر السابق ص ١٥ .

فضل من مات في أرض الغربة ومايلقاه معلم العلم في ابرزخ من التكريم

ولأحمد والنسائي عن ابن عمرو قال : توفي رجل بالمدينة فصلى عليه رسول الله ﷺ فقال : « ياليته مات في غير مولده فقال رجل من الناس لم يارسول الله قال إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة »[1] وفي رواية للنسائي وابن ماجه وحسنه الألباني : « إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة » ولأحمد في الزهد عن كعب قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : تعلم الخير وعلمه الناس فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لايستوحشوا مكانهم[2] .

* * *

(١) صحيح الجامع ١ / ٢ / ٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ / ٢٤ / ٢٥ .

حقيقة الحب للقاء الله ومتى يكون ذلك

وأخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة رضي الله عنها : إنا نكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه وكره لقاء الله وكره الله لقاءه » وللترمذى وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت ، فقال رجل ياابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلوا عليكم بذلك قرآناً ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم** ﴾[1] .

* * *

(١) المنافقون آية ٩ .

(سعة القبر وضيقه والحالة التي كانوا يحبون الوفاة عليها)

ولابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً « القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة » ولأحمد وابن أبي الدنيا عن وهب « كان عيسي : عليه السلام واقفاً على قبر ومعه الحواريون فذكروا القبر ووحشته وظلمته وضيقه فقال عيسى كنتم في أضيق منه في أرحام أمهاتكم » . وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « من وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة » [١] .

ولأبي نعيم عن خيثمة : كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمله إما حج وإما عمرة وإما غزوة وإما صيام رمضان[٢] ، وفي الحديث الشريف « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » . أخرجه ابن ماجه والحاكم وحسنه الألباني[٣] ولهما أيضاً : « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه »[٤] وفي الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعاً : « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت ياويلاه فيسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو يسمعه الإنسان لصعق » .

يامن بدنياه اشتغل	وغره طول الأمل
ولم يزد في غفلة	حتى دنا منه الأجل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل
اصبر على أهوالها	لاموت إلا بأجل

---

(١) أحكام تمني الموت ص ٧٥ .

(٢) أحكام تمني الموت ص ٧٥ .

(٣) أحكام تمني الموت وصحيح الجامع ص ١١ .

(٤) ورواه الترمذي من حديث عثمان وحسنه الألباني .

ما ورد في نذر الموت ورسله وكلام ملك الموت لأهل الميت

وقد روي في بعض الآثار مايفيد بأن الأمراض والأوجاع كلها برد الموت ورسله فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال : « أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر الذي ليس بعدي خبر وأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول أجب ربك طائعاً أو مكرها » فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال : على من تصرخون وعلى من تبكون؟ فوالله ماظلمت له أجلاً ولاأكلت له رزقاً بل دعاه ربه ، فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لاأبقي منكم أحداً » . قال الحسن رضي الله عنه : فوالذي نفسي بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادى ياأهلي ويا ولدي لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيري فالمال لكم والتبعة على فاحذروا مثل ماحل بي »[1] .

تذكر في مشيبك والمآب	ودفنك بعد عزك في التراب
إذ وافيت قبراً أنت فيه	تقيم به إلى يوم الحساب
وفي أوصال جسمك حين تبقى	مقطعة ممزقة الإهاب
فلولا القبر صار عليك ستراً	لأنتنت الأباطح والروابي
خلقت من التراب فصرت حياً	وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت إلى التراب فصرت فيه	كأنك ماخرجت من التراب
فطلق هذه الدنيا ثلاثاً	وبادر قبل موتك بالمتاب
نصحتك فاستمع قولي ونصحي	فمثلك لايدل على صواب

(١) انظر التنوير ص ٤٥١ بتصرف .

خلقنا للممات ولو تركنا لضاق بنا الفسيح من الرحاب
ينادي في صبيحة كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

فإذا تأمل العاقل الرشيد حال من مضى من إخوانه وكيف انقطع عنهم الأهل والأحباب ، بل كيف انقطعت عنهم أعمالهم ولم تنفعهم أموالهم ومحا التراب محاسن وجوهم وأكل الدود أجسامهم وأفردوا في قبور موحشة وصاروا جيفاً مدهشة ، العيون التي كانوا يبصرون بها سالت ، والألوان الناعمة استحالت ، والفصاحة التي كانوا يتمتعون بها زالت ، والرؤوس التي كانت فيها الأدمغة المفكرة مالت ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون ، أجل ، من فكر في مثل هذا رجع إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة النصوح مادام في العمر بقية وباب التوبة مفتوح ، وللشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» ولهناد عنه مرفوعاً «إن الرجل ليعرض عليه مقعده من الجنة والنار غدوة وعشية في قبره»[1] .

* * *

(١) انظر أحكام تمني الموت ص ٦٢ .

ماقيل في النداء للميت سواء كان بلسان الحال أو المقال

يقال إذا فارق الروح البدن نودي من السماء بثلاث صيحات يابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك، وإذا وضع على المغتسل نودي من السماء بثلاث بصيحات يابن آدم أين بدنك القوي مأضعفك وأين لسانك الفصيح مأسكتك وأين أذنك السماعة مأصمك وأين أحباؤك الخلص مأوحشك ، وإذا وضع في الكفن نودي من السماء بثلاث صيحات يابن آدم طوبى لك إن صحبك رضوان الله والويل لك إن صحبك سخط الله ، يابن آدم طوبى لك إن كان مأواك الجنان والويل لك إن كان مأواك النيران يابن آدم تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع إليه أبدا الآباد وتصير إلى بيت الأهوال ، وإذا حمل على الجنازة نودي من السماء بثلاث صيحات يابن آدم طوبى لك إن كان عملك خيراً وطوبى لك إن كنت تائباً وطوبى لك إن كنت مطيعاً لله ، وإذا وضع للصلاة نودي من السماء بثلاث صيحات يابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة فإن كان عملك خيراً تراه خيراً وإن كان عملك شراً تراه شراً وإذا وضعت الجنازة على شفير القبر نودي بثلاث صيحات يابن آدم ماتزودت من العمران لهذا الخراب وماحملت من الغنى لهذا الفقر وماحملت من النور لهذه الظلمة ، وإذا وضع في اللحد نودي بثلاثا صيحات ياابن آدم كنت على ظهري ضاحكاً فصرت في بطني باكياً وكنت على ظهري فرحاً فصرت في بطني حزيناً وكنت على ظهري ناطقاً فصرت في بطني ساكتاً . هذا وقيل إذا أدبر الناس عنه يقول الله تعالى : ياعبدي بقيت فريداً وحيداً وتركوك في ظلمة القبر وقد عصيتني لأجلهم وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الناس وأنا أشفق عليك من الوالدة بولدها ، وسواء صح هذا الخبر أو لم يصح فقد يكون التعبير بلسان الحال أقوى تأثيراً من لسان المقال والغرض من إيراده وأمثاله ترقيق القلب وكسر كبرياء

النفس وقمع طموحها فيما لايجدي شيئاً لتستعد لمثل هذه المواقف الحرجة بعمل

---

(١) النور آية ٣١ .

صالح وتوبة صادقة : ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾[1]

فـــرض على الناس أن يتـــوبوا	لـــكـــن تـــرك الـــذنـــوب أوجـــب
والدهر في صـــرفـــه عـــجـــيب	وغـــفلة الناس عنه أعـــجب
والصـــبـــر في النائبـــات صـــعب	لكن فـــوات الثـــواب أصـــعب
وكـل مـــــايرتجى قـــــريـب	والموت من كل ذاك أقـــــرب

* * *

صورة مشرقة من واقع بعض سلفنا الصالح عن الموت

لما حضرت معاذ بن جبل رضي الله عنه الوفاة ، قال : اللهم إني قد كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك . اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر وقيل لحسان ابن سنان رحمه الله كيف نجدك ؟ قال بخير إن نجوت من النار قيل له ماتشتهي ؟ قال ليلة طويلة أصليها كلها :ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له : مايبكيك؟ قال : ماأبكي جزعاً على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب[1] .

فلما مات سلمان نظر في جميع ماترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً .

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى ، فقيل : مايبيك ؟ فقال : والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ، ولكن أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هيناً ، وهو عند الله عظيم .

وقال أبو بكر الكتاني رحمه الله : كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته فحسب يوماً سني عمره فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها إحدى وعشرين ألف يوم ومئتين وبضعة وأربعين يوماً فصرخ وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال : ياويلتاه وأنا أتي ربي بواحد وعشرين ألف ذنب ومائتين وبضعة وأربعين ذنباً يقول هذا لو كان في كل يوم ذنب واحد فكيف بذنوب لاتحصى ثم قال آه علي عمرت دنياي وخربت آخرتي وعصيت مولاي الوهاب ثم لا أشتهي النقلة من العمران إلى الخراب وكيف أقدم في يوم الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب ثم شهق شهقة عظيمة ووقع على الأرض فحركوه فإذا هو ميت ، رحمة الله عليه .

---

(١) حديث سلمان مرفوعاً ، أخرجه أحمد والحاكم وصححه .

ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنه فقال ياأخي لأي شيء تجزع؟ تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي بن أبي طالب ، وهما أبواك ، وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، وهما أماك ، وعلى حمزة وجعفر ، وهما عماك ، فقال : ياأخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله[1] .

* * *

(١) انظر : إحياء علوم الدين ٤ / ٤٧٩ - ٤٨١ .

للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

إذا عـاش الفـتى سـتين عـامـاً ... فنصف العـمـر تمحـقـه الليـالي

ونصف النصف يذهب ليس يدري ... لغـفلتـه يميناً مع شـمـالي

وثلث النصف آمـال وحـرص ... وشـغل بالمكاسب والعـيـال

وباقي العـمـر أسـقـام وشـيب ... وهـم بارتحـال وانتـقـال

فـحب المرء طول العـمـر جـهل ... وقـسـمـتـه على تلك المثـال

وقال بعضهم : دخلنا على عطاء السلمي نعوده في مرضه الذي مات فيه فقلنا له كيف حالك ؟ فقال : الموت في عنقي والقبر بين يدي والقيامة موقفي وجسر جهنم طريقي ولاأدري مايفعل بي ، ثم بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق قال : اللهم ارحمني وارحم وحشتي في القبر ومصرعي عند الموت وارحم مقامي بين يديك ياأرحم الراحمين ، وبكى أبو هريرة رضي الله عنه عند الموت فقيل له مايبكيك؟ فقال : أخاف أن أكون قد أتيت بذنب أحسبه هينا وهو عند الله عظيم .

وقيل لما اشتد مرض الخليفة هارون الرشيد أحضروا له طبيباً فارسياً فأمر الطبيب أن يعرض بوله عليه مع أبوال كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال قولوا لصاحب هذا البول يوصى فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته فيئس الرشيد من نفسه وأنشد :

إن الطبـيـب له علـم يدل بـه ... مـادام في أجل الإنسـان تأخـيـر

حتى إذا مـا انقـضت أيام مـهلتـه ... حـار الطبـيب وخـانتـه العـقـاقـيـر

ثم دعا بأكفان فتخير منها كفناً وأمر بأن يحفروا له قبراً أمام فراشه وقال :

ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فمات رحمه الله من ليلته[1] .

وقيل لما دخل المزني على الإمام الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه قال له كيف أصبحت ياأبا عبد الله ؟ فقال الشافعي : أصبحت عن الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى ربي سبحانه وتعالى وارداً ولا أدري أروحي صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول رحمه الله :

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم ... تزل تجود وتعفوا منه وتكرما

فإن تعف عن متمرض بذنوبه ... ظلوم غشوم لايفارق مأثما

وإن تنتقم مني فلست بآيس ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما

فذنبي جسيم من قديم وحادث ... وعفوك ياذا المن أعلى وأجسما

عسى من له الإحسان يغفر زلتي ... ويستر أوزاري وما قد تقدما

* * *

(١) انظر الحياة البرزخية ص ٣٥ .

تحقيق مروع لبعض أهل العلم

قال بعضهم : اعلم أن جميع ما كان يألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان أكثر ميله إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعات الله ، وإن كان أكثر ميله إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت ، وربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيكون همه وحزنه إنما هو لفراق الدنيا وملاذها ومألوفاتها فيتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله والله تعالى يقول : **﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾**[1] .

روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال لتقي الدين الحسن البصري : ياحسن عظني وأوجز قال : يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا وأفطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة[2] . هذا ويقال لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين وأشرف على القبور قال : ياأهل الديار الوحشة والمحال المقفره ، والقبور المظلمة ، ياأهل التربة ياأهل الغربة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق أما الدور فقد سكنت وأما الأزواج فقد نكحت وأما الأموال فقد قسمت هذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم ثم التفت إلى أصحابه فقال أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوي[3] .

* * *

(١) الحشر آية ١٨ - ١٩ .

(٢) انظر قصة أيامي عبد الحميد كشك ص ١٤١ بكسر الصاد والفاء المشددة مع الكسر .

(٣) انظر الحياة البرزخية ص ١٠٥ .

موعظة مالك بن دينار

هذا ويروى أن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : أتيت المقابر يوماً لأنظر في الموتى وأعتبر وأتفكر فيها وأنزجر فأنشدت أقول :

أتيت المقـــابر ناديتـــهـــا ... فـــأين المعظم والمفـــتـــخـــر

وأيـــن المـــدل بـــســـلـــطـــانـــه ... وأين العـــزيز إذا مـــاقـــدر

وأين الملبى إذا مـــادعـــا ... وأين المزكى إذا مـــاحـــضـــر

قال فإذا بصوت يجيبني :

تفـانوا جـمـيـعـاً فـلا مـخـبـر ... ومـاتوا جـمـيـعـاً وهذا الخـبـر

تروح وتغـــدو بنات الثـــرى ... وتمحـــو مـــحـــاسن تلك الصـــور

لقـــد قلد القـــوم أعـــمـــالهم ... فـــإمـــا نعـــيم وإمـــا ســـقـــر

وصـــاروا إلى ملـك قـــادر ... عـــزيز مطاع إذا مـــاأمـــر

فـــيـــا ســـائلي عن أناس مـضـــوا ... أمـالك فـيـمن مضى مـعـتـبـر؟

قال مالك : فنظرت فإذا بهلول المجنون قاعد بين القبور وهو ينظر إلى السماء فيبتهل وإلى الأرض فيعتبر وعن يمينه فيضحك وعن يساره فيبكي فقلت له : السلام عليك يابهلول فقال : وعليك السلام يامالك بن دينار فقلت : أراك قاعداً بين القبور فقال قعدت عند قوم لايؤذونني وإن غبت عنهم لايغتابونني فقلت : أراك تنتظر إلى السماء فتبتهل وإلى الأرض فتعتبر وعن يمينك فتضحك وعن يسارك فتبكي فقال : يامالك إذا نظرت إلى السماء تذكرت قوله تعالى : ﴿ **وفي السماء رزقكم وماتوعدون** ﴾[1] فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتهل فإذا نظرت إلى الأرض تذكرت قوله تعالى : ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة**

---

(١) الذاريات آية ٢٢ .

أخرى ﴾(١) فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر وإذا نظرت إلى اليمين تذكرت قوله تعالى : **﴿ وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين ﴾**(٢) فحق لمن سمع هذه الآية أن يضحك وإذا نظرت إلى الشمال تذكرت قوله تعالى : **﴿ وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال ، في سموم وحميم ، وظل من يحموم ﴾**(٣) فحق لمن سمع هذه الآية أن يبكي(٤) نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب اليمين بمنه وكرمه .

* * *

(١) طه اية ٥٥ .

(٢) الواقعة آية ٢٧ .

(٣) الواقعة آية ٤١ – ٤٣ .

(٤) نظر التنوير ص ٤٥٨ .

أسباب انقطاع عذاب البرزخ لبعض عصاة المؤمنين

لقد عرفت فيما مضي من الأدلة والبراهين أن عذاب القبر يدوم بالنسبة للكفار والمجرمين ومن على شاكلتهم من أصحاب الجرائم وكبائر الذنوب والآثام من عصاة المؤمنين ، لكن هناك عذاباً منقطعاً لايدوم في البرزخ وهو لمن خفت جرائمهم ومعاصيهم من عصاة المؤمنين إذ يعذب كل فرد بحسب جريمته وعلى قدر ذنبه ومعصيته .

ثم يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو ثواب أعمال صالحة أخرى إذا توفرت فيها شروط القبول من الإخلاص والموافقة للشريعة سواء كانت صادرة من أهليهم أو غيرهم من المؤمنين قال تعالى : ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾[1] وربما يكون انقطاعه بعفو الله تعالى عنهم تفضلاً وإحساناً فقد قال تعالى : ﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] ولأحمد عن عائشة مرفوعاً لايحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له يرى المسلم عمله في قبره يقول الله تعالى : ﴿ **فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان** ﴾ وربما يكون ذلك أيضاً بدفن رجل صالح بجوارهم فقد روى ابن أبي الدنيا رحمه الله قائلاً حدثني محمد بن موسى الصائغ : أخبرنا عبد الله بن نافع قال : مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كأنه من أهل النار فاغتم لذلك ثم إنه بعد سابعة أو ثامنة رآه كأنه من أهل الجنة فقال ألم تكن قلت أنك من أهل النار قال : قد كان ذلك إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في أربعين من جيرانه فكنت منهم ، أهـ[3] ومن دعائه ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول ، رواه الحاكم وصححه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) الحشر اية ١٠ .

(٢) النساء آية ٤٨ يقول الله تعالى : أ هـ إنظر أحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٥ .

(٣) الحياة البرزخية ١٣٣ وكتاب الروح لابن القيم ص ١١٢ .

قال وحدثنا أحمد بن يحي حدثني بعض أصحابنا قال : مات آخي فرأيته في النوم فقلت له ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به .

هذا وقال ابن القيم :

إن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا ، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها ، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها ، وهي أشد من نار الدنيا .

ثم قال : ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر ، وهذا في حفرة من حفر النار ، لا يصل حرها إلى جاره ، وذلك في روضة من رياض الجنة ، لايصل روحها ونعيمها إلى جاره[1] .

وللبيهقي وغيره عن ابن عباس مرفوعاً : « ماالميت في قبره إلا شبه الغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو ولد أو صديق فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا ومافيها وإن الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم »[2] وفي الحديث الشريف (إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى لي هذا فيقال باستغفار ولدك لك » [رواه أحمد والبيهقي وصححه الألباني] .

هذا ولما للأخوة في الله من جذور راسخة ورابطة قوية فإن نفعها يكون في الدنيا والآخرة ، قال قتادة رحمه الله في تفسير قوله تعالى حاكياً عن الكفار وهم يصطلون في نار جهنم ﴿ **فمالنا من شافعين ، ولا صديق حميم** ﴾[3] أي قريب ، وقال يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع ،

---

(١) انظر : كتاب الروح ص ٨٢ .

(٢) أحكام تمني الموت ٧٤ .

(٣) انظر مختصر ابن كثير سورة الشعراء ١٠٠ / ١٠١ .

هذا وقال بعض الصالحين أين مثل الأخ الصالح إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف والأخ الصالح ينفرد بالحزن مهتماً بما قدم أخوه عليه وماصار إليه فيدعو له في ظلمة الليل ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى[1] وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو عبد ابن بحير قال : حدثني بعض أصحابنا قال رأيت أخاً لي في النوم بعد موته فقلت : أيصل إليكم دعاء الأحياء قال أي والله يترفوف مثل النور ثم يلبسه وفي كتاب الروح لابن القيم قال عمروا ابن جرير : إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه بها ملك إلى قبره فقال ياصاحب القبر الغريب هدية من أخ عليك شفيق أ هـ .

قال بشار بن غالب : رأيت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت : يابشار هداياك تاتينا على أطباق من نور مغطاة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت هكذا دعاء المؤمنين الأحياء للموتى إذا استجيب جعل على أطباق النور ثم غطي بمناديل الحرير ثم أتي بها للذي دعي له من الموتى فقيل هذه هدية فلان إليك[2] وهذه المرائي وأمثالها وإن لم تصح بمجردها لإثبات ما قلناه فهي على كثرتها قد تواطأت على هذا المعنى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما في البخاري ومسلم وغيرهما على أننا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ثبت في ذلك من الأحاديث .

* * *

(١) انظر : منهاج المسلم ص ١٢٥ .

(٢) السفينة الماخرة ص ٧٤ – ٧٥ عن كتاب الروح لابن القيم .

الأدلة والبراهين في إثبات وصول ثواب الأعمال الصالحة إلى أرواح موتى المؤمنين

من المتفق عليه أن الميت المؤمن ينتفع بما كان سبباً فيه من أعمال البر في حياته لما رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » ولابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعاً ، « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » ، [أورده الألباني في صحيح الجامع الصغير بهذا اللفظ وحسنه][1] .

وأخرجه أيضاً البزار وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً وحسنه الألباني « سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته »[2] .

هذا وقد نظم بعض العلماء ما ورد في هذا الموضوع وهو الإمام السيوطي رحمه الله وأوصلها إلى إحدى عشرة فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من خصال غير عشر

علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو إجراء نهر

وبيت للغريب بناه يأوي ... إليه أو بناء محل ذكر

---

(١) وانظر فقه السنة ص ٥٦٨ جـ ١ والحياة البرزخية ١٩٦ وأحكام تمني الموت / ١٧٣ / وصحيح الجامع الصغير ٢ / ٢٥٠ .

(٢) انظر الحياة البرزخية ١٩٦ ، وصحيح الجامع الصغير ٣ / ٢٠١ .

وتعليم لقرآن كريم   فخذها من أحاديث بحصر

وروى مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

أما ما ينتفع به من أعمال البر الصادرة عن غيره فبيانها فيما يلي :

١ - الدعاء والإستغفار له :-

وهذا مجمع عليه لقوله تعالى : ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود وابن حبان وصححه .

« إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » هذا ولا زال السلف والخلف يدعون للأموات ويسألون لهم الرحمة والغفران دون إنكار أحد .

٢- الصدقة :-

وقد حكى النووي الإجماع على أنها تقع عن الميت ويصله ثوابها سواء كانت من ولد أو غيره لما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلا قال للنبي ﷺ إن أبي مات وترك مالاً ولم يوصِ فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه قال : نعم » وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه « يارسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها قال نعم قلت فأي الصدقة أفضل قال سقي الماء » قال الحسن : فتلك سقاية آل سعد بالمدينة ، [رواه أحمد والنسائى وغيرهما] .

٣- الصوم :-

لما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله « إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفاقضيه عنها قال لو

---

(١) الحشر آية ١٠ .

كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها قال نعم قال فدين الله أحق أن يقضى » .

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » . [رواه أحمد والشيخان وأبو داود] .

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة ، فقال : يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال : « نعم، الصلاة عليهما[1] ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما[2] ، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما[3] ، إكرام صديقهما » . [رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

هذا ، وقد جمع الحديث أشياء كثيرة من أعمال البر مما يطلب عمله للوالدين بعد موتهما .

٤- الحج :-

لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : « إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا فالله أحق بالقضاء »[4] هذا والخلاصة ماذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح تحت

---

(١) أي الدعاء لهما بالرحمة .

(٢) العمل بوصيتهما .

(٣) أي التي لا رحم لك إلا من قبلهما ، كالجد والجدة ، والعم والعمة ، والخال والخالة ، وغيرهم .

(٤) قال فضيلة الشيخ سيد سابق في كتابه « فقه السنة » ١ / ٤٧١ .

أجمع العلماء على أن من مات وعليه فوائت من الصلاة ، فإن وليه لايصلي عنه ، هو ولا غيره وكذلك من عجز عن الصيام لايصوم عنه أحد أثناء حياته ، فإن مات وعليه صيام ، وكان قد تمكن من صيامه قبل موته ، فقد اختلف الفقهاء في حكمه . فذهب جمهور العلماء منهم أبو حنيفة ومالك ، والمشهور عن الشافعي ، إلى أن وليه لايصوم عنه ، ويطعم عنه مداً عن كل يوم والمذهب المختار عند الشافعية أنه يستحب لوليه أن يصوم عنه ويبرأ به الميت ، ولايحتاج إلى إطعام عنه، والمراد بالولي : القريب سواء كان عصبة أو وارثاً أو غيرهما =

عنوان : هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء أم لا؟ فأجاب قائلاً : إنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير أحدهما ماتسبب إليه الميت في حياته والثاني دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع ما الذي يصل من ثوابه هل ثواب الإنفاق أو ثواب العمل ، فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه وعند بعض الحنفية إنما يصل ثواب الإنفاق .

قال واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة ، نص على هذا الإمام أحمد في رواية محمد بن يحي الكحال قال قيل لأبي عبد الله الرجل يعمل الشيء من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه قال أرجو أو قال الميت يصل إليه كل شيء من صدقة أو غيرها وقال أيضاً : اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله أحد ، وقل : اللهم إن فضله لأهل المقابر ، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك أن ذلك لايصل . وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام أنه لايصل إلى الميت شيء البتة لادعاء ولاغيره أ هـ .

* * *

=ولو صام أجنبي عنه صح إن كان بإذن الولي وإلا فإنه لايصح .

وقال أحمد : إن كان صومه نذراً صام عنه وليه ، وإن كان من رمضان أطعم عنه (انظر : رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ص ١٢٣) .

أفضل مايهدى للميت

وقال ابن القيم رحمه الله بعد أن ناقش أدلة الكل في الموضوع قائلاً : وبالجملة فأفضل مايهدى إلى الميت العتق والصدقة والاستغفار والدعاء له والحج عنه ، وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج ، ثم قال وسر المسألة أن الثواب ملك للعامل فإذا تبرع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه ، وهذا عمل سائر الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من العلماء أ هـ وقال الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رداً على المانعين استدلالاً بقول تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ماسعي** ﴾ إن الآية في غير محل النزاع ثم قال فإنه أخبر أنه لايملك إلا سعيه ، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء بذله لغيره وإن شاء أبقاه لنفسه ، وهو تعالى لم يقل لاينتفع إلا بسعي نفسه الذي هو محل نزاعنا ، وأضاف رحمه الله قائلاً : وأما استدلالهم من السنة بحديث « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث » وحديث سبع تجري للميت قال : فأدلة في غير محلها لأنا لم ندع أن الهدية الواصلة إليه من إخوانه المؤمنين من عمله إنما أقمنا الأدلة على انتفاعه بهدايا إخوانه ولم يقل ﷺ إذا مات العبد انقطع انتفاعه وإنما أخبر عن انقطاع عمله ، وهذا العمل لأخيه المؤمن أهدي ثوابه إليه فوصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمل نفسه إذ لاعمل له فالمنقطع عمله والواصل ثواب عمل غيره قال : فأين أحد الأمرين من الآخر أ هـ[1] وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقالت طائفة أخرى القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه وبين الأمرين من الفرق مالا يخفي فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه ، وهو سبحانه لم يقل لاينتفع إلا بما سعى قال وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها أ هـ[2] .

---

(١) انرظ جمع الشتيت للصنعاني ص ١٨٤ .

(٢) انظر : كتاب الروح ص ١٥٨ .

اشتراط عدم أخذ الأجر والرد على ذلك

هذا : والقائلون بوصول ثواب القراءة إلى الميت يشترطون ألا يأخذ القارىء على قراءته أجراً فإن أخذ أجراً على قراءته حرم على المعطي والآخذ ولاثواب له على قراءته[١] وإليك مارد به الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في رسالته المسماة «إقامة الحجة والبرهان على جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن» وكان رحمه الله قد حررها رداً على من ألف رسالة بتحريم ذلك وهو الشيخ محمد حياة نزيل المدينة المنورة كما تفيد الرسالة ، وأقتطف لك منها مايلي : قال الشيخ محمد رحمه الله مامعناه إنها قد وردت عدة أحاديث فيمن يتأكل بالقرآن وذمه وقد اشتمل عليها الجامعان الكبير والصغير للحافظ السيوطي منها ما أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وعبد بن أبي حميد عن عمران بن الحصين قال : قال رسول الله ﷺ «اقرؤوا القرآن واسألوا الله به قبل أن يأتي أقوام يقرؤونه ويسألون الناس به»[٢] قال وأخرج ابن نصر والبيهقي من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ وآله وسلم «تعلموا القرآن واسألوا به الجنة قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر رجل يباهي به ورجل يتأكل به ورجل يقرأه لله تعالى» وفي معناه غيره .

* * *

(١) انظر : فقه السنة ص ٥٦٩ .

(٢) الذي في صحيح الجامع للألباني من رواية أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني بلفظ : «اقرؤوا القرآن وسلوا الله به قبل أن يأتي قوم يقرؤون القرآن فيسألون به الناس» .

نص كلام الأمير رحمه الله في رده

قلت : أحاديث المصطفى ﷺ لايضرب بعضها وجه بعض وحاشاه أن ينطق عن الهوى وقد بين لنا ﷺ أنا أخذ الأجرة على الرقية جائزة وجعل تعلم آيات منه صداقاً وأخير أن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله تعالى فلا بد أن يراد بالأكل غير هذه الأنواع ، ومن هذه الأنواع الجائزة التأجر لتلاوته . قال ونظرنا في الذي يصدق عليه أنه يأكل بكتاب الله وإذا أقرب من يحمل عليهم ، ذلك الذين يحرفونه عن مواضعه ويقلبون معانيه كالخوارج[1] فإنه يصدق عليهم قوله في بعض هذه الأحاديث التي فيها ماذكر من النهي عن التأكل بالقرآن أنهم يقيمون حروفه كما يقام السهم ، وقد وصف ﷺ الخوارج بذلك وبأن أصحابه يحقرون قراءتهم إلى قراءتهم وصلاتهم ، إلى صلاتهم وأخبر أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد حرفوا كلام الله وأراقوا دماء المسلمين ، قال ومثلهم الباطنية حرفوا كلام الله عن مواضعه وجعلوا له باطناً وظاهراً وتأكلوا به ، ومن ذلك طوائف الرافضة فلهم تحريفات يعجب الناظر من تجاسرهم عليها ومن ذلك الطائفة المتسمية بالصوفية كأهل نحلة ابن عربي وأتباعه حرفوه عن معانيه ، جعلوا العذاب من العذوبة كما قال رأس ضلالهم وقائدهم إلى النار ابن عربي في نهيقه قلت ونص ذلك كما في الفصوص نقلاً عن المحقق لكلام الأمير في رسالته :

فإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين
يسمي عذاباً من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صائن

ثم قال رحمه الله :

---

(١) الخوارج هم الذين رفضوا التحكيم بين على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهي واحدة من أقدم الفرق السياسية الدينية خرجوا على الإمام على كرم الله وجهه وقالوا : لاحكم إلا لله فقال : كلمة حق أريد بها باطل أ هـ.

فإن قلت كيف يصدق عليهم يتأكلون بالقرآن قلت لاريب أن من حرفه عن معانيه وفسره بما ينافيه من هذه الفرق نال عند متبعيه رتبة عليه ورئاسة وأموالاً واستمالوا به بهائم الرجال ونالوا الحظوة والأموال وهذا لا ينكره أحد ثم قال : إذا عرفت أن من تلا كلام الله مريداً به وجه الله وأخذ أجرة على تفريغ ساعاته للتلاوة ووهب أجر تلاوته لعبد من عباد الله لايعد ممن يتأكل بكلام الله ولا يقول هذا من له أدنى إلمام بالمعارف العلمية بعد إقرار الرسول ﷺ لأخذ أجرة الرقية بالقرآن وجعله ﷺ لتعليمه آية القرآن مهراً للزوجة[١] .

قال الشيخ محمد رحمه الله : قد أخرج أبو داود وابن ماجه وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت قال : قلت يارسول الله إن رجلاً أهدى إلى قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب فارمي عليه في سبيل الله : قال إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها . الحديث روي بألفاظ يفيد نهيه عن قبول القوس ممن علمه القرآن قلت وهو حديث في إسناده مقال فإنه من رواية مغيرة بن زياد عن عبادة بن نسي عن الأسود بن ثعلبة عنه ومغيرة مختلف فيه واستنكر أحمد حديثه وقال ضعيف الحديث له مناكير ، وأخرج من طريق آخر كلها معلولة والقول بأن طرقها وإن ضعفت بعضها يعضد بعضاً فنعم هذا لو لم يعارضها حديث اتفق على صحته فإنه مقدم عليها وهو حديث ابن عباس عند البخاري «إن أحق ماأخذتم عليه أجراً كتاب الله»[٢] على أنه قد تأول حديث عبادة بأنه علمه جماعة من أهل الصفة

---

(١) الذي في صحيح البخاري من حديث سهل في قصة المرأة التي عرضت نفسها على النبي ﷺ فقال له رجل زوجنيها فقال ماعندك قال ماعندي شيء قال اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئاً ولا خاتماً من حديد ثم قال له ماذا معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا فعددها فقال النبي ﷺ ملكناكها بما معك من القرآن ، وفي مسلم اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن ،انظر تعليق محقق الرسالة ص ١٩ .

(٢) حديث ابن عباس عند البخاري وغيره أنه ﷺ قال : «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله» قال الصنعاني ووجه دلالته انه اتى بلفظ عام إذ مابمعنى سيء قال فيعم كل نوع مايستأجر على كتاب الله من تعليم وكتابة وتلاوة وكونه ورد في سبب خاص هو الرقية لايقصر عليه لما في علم الأصول الفقهية أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أ هـ المصدر نفسه .

فقرأ مبتغياً وجه الله تعالى فلما أراد أخذ القوس أخبره ﷺ بأنه أخذ شيئاً لا في مقابلة شيء وأنه يبطل به ماجعله لله خالصاً فيأثم بقبوله وأنه لايحل أخذه قال : إن قلت قد ذهب إلى تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الهادوية والحنفية وأحمد وإسحاق قلت نعم ذهبوا إلى ذلك ، ولا يهولنك من ذهب إلى قول من الأقوال حتى يسفر لك ماعنده على قوله من الاستدلال وهؤلاء دليلهم حديث عبادة وقد سمعت مافيه على أنا لو أردنا أن نعارض الرجال بالرجال لقلنا وقد ذهبوا إلى جواز أخذ الأجرة على التلاوة والتعليم عطاء ومالك والشافعي والقاسم وأبو ثور والجماهير من العلماء مستدلين بحديث البخاري فهم أكثر قبيلاً وأوضح دليلاً .

قال الشيخ محمد رحمه الله مامعناه : التأجير على التلاوة وجعل ثوابها للغير زهد في الثواب ورغبة عن الاكتساب . قلت : قد أقر ﷺ الصحابي على أخذ الأجرة على الرقية بأم الكتاب ولم يقل إنه زهد في الثواب وعقد للواهبة نفسها وجعل التعليم صداقاً وقبل صلاة من جعل له صلاته كلها فليسعنا ما وسعه ﷺ على أنه ربما كان الأجر بالتكسب أفضل من أجر تلاوته على أني لاأستبعد أن يكون من تؤجره على القراءة ومن أجر عليها داخلين تحت قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾[1] فإن المؤجر أعان أخاه بما أعطاه من الأجر على التلاوة والأجير أعان أخاه بما أهداه من ثواب التلاوة لمن عينه له المؤجر ونواه ، والأعمال بالنيات .

* * *

(١) المائدة آية ٢ .

التأجير على التلاوة كالتأجير على سائر القرب الأخرى

والتأجير على التلاوة نوع من أنواع الأجرة على القرب كالتأجير على عمارة بيوت الله والحج إلى حرم الله والكتابة لكتاب الله ، وقد ثبت أن الله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه وأي عون لأخيك أنفع من عون الأجرة ! أو أهدى ثواب فإن الثواب حق للإنسان وعد الله به العبد على طاعته فله أن يهبه لمن يشاء من إخوانه كما أن له أن يسقط حقه اللازم لأخيه من جناية أو دين ويعوضه الله خيراً منه كما قال تعالى : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾[1] فإذا كان الله في عون العبد وهو الذي يكافئه على أعماله فماذا يخافه العبد أو يرجوه بعد عون الله ، من نواصي العباد كلها بيده ، وقد ثبت أنه إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال له الملك ولك مثل ذلك ولايقول له الملك إلا عن أمر الله ودعاء الملك مجاب ، ومن هنا أقول : إن دعاء العبد لأخيه بظهر الغيب أفضل من دعائه لنفسه لأنه يعطى ماسأله لأخيه لأنه سأله له الملك . أخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة مرفوعاً « إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة ولك بمثل » وأخرج ابن أبي شيبه من حديث ابن عمر مرفوعاً « أفضل الدعاء دعوة غائب لغائب »[2] : قال والأحاديث في الباب شهيرة وكثيرة[3] وقال الإمام الصنعاني أيضاً في كتابه جمع الشتيت : قد وصلنا جماعة من أقربائنا ومشايخنا رحمهم الله تعالى بصلاة من دعاء أو تلاوة أو صدقة ورأيناهم في المنام شاكرين لما صنعنا لنا نفعهم بما أسديناه[4] .

---

(١) النور آية ٤٠ .

(٢) وفي صحيح مسلم من حديث أم الدرداء ان النبي ﷺ كان يقول « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رزسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به ولك بمثل » انظر فقه السنة .

(٣) انظر إقامة الحجة والبرهان ص ٣٠ .

(٤) انظر جمع الشتيت ص ١٨٨ .

تحقيق مهم في الموضوع

قال الإمام محمد بن على الشوكاني رحمه الله وقد اختلف العلماء في غير الصدقة والدعاء من أعمال البر – هل يصل إلى الميت ثوابه؟ فذهب المعتزلة إلى أنه لايصل إليه .

وقال في « شرح الكنز » ، إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن وغير ذلك من جميع أنوا البر ، ويصل ذلك إلى الميت عند أهل السنة[1] .

وقال في كتاب « رحمة الأمة ومذهب أهل السنة » : أن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره لحديث الخثعمية .

و المشهور من مذهب الشافعي أنه لايصل إلى الميت ثواب القراءة .

قال ابن الصلاح من أئمة الشافعية والذي عليه أكثر الناس تجويز ذلك ، وينبغي إذا أراد ذلك أن يقول : اللهم أوصل ثواب ماقرأته لفلان فيجعل له دعاء . ولا خلاف في نفع الدعاء ووصوله ، وأهل الخير قد وجدوا البركة في مواصلة الأموات بالقرآن والدعوات[2] .

هذا وقد فسر بعض أهل العلم قوله تعالى : **﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾** أى ليس له بطريق الاستحقاق إلاجزاء سعيه وكسبه مما يعتبر كسبا له من الأمور وهي صدقة جارية وعلم علمه الناس وانتفعوا به وولد صالح يدعوا له وأما ماعدا ذلك فيصله الأجر بطريق الفضل فلله سبحانه في هذا الموضوع بابان باب الأستحقاق والعدل وباب الأحسان والفضل وباب الفضل في الحقيقة لاحصر له لإمور كثيرة .

قال أبو العباس أحمد بن تيمية : من اعتقد أن الإنسان لاينتفع إلا بعمله فقد

---

(١) انظر : نيل الأوطار ٤ / ٩٢ – ٩٣ .

(٢) انظر : رحمة الأمة في الاختلاف بين الأئمة ص ٩٢ .

خرق الإجماع . وذلك باطل من وجوه كثيرة ، أحدها أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ، وثانيها أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف ولأهل الجنة في دخولها ولأهل الكبار في خروجهم من النار ، ودخولهم الجنة ، وثالثها الملائكة يدعون ويستغفرون لأهل الأرض ، ورابعها أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم ، وخامسها الغلامان اليتيمان بعمل أبيهما وكان أبوهما صالحاً . وسادسها انتفاع الميت بالصدقة والعتق بنص السنة والإجماع ، وسابعها الحج والمفروض والمنذور يسقطان عن الميت بعمل وليه . وثامنها المدين إذا مات يسقط دينه بأداء الغير عنه ، وتاسعها صلاة النبي ﷺ على النجاشي وغيره بعد موتهم أ هـ [1] .

قال في شرح الكنز : إن آية : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ماسعى** ﴾ منسوخة بقوله تعالى ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمانهم ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ أو هى في الكافر أو ليس له وجوباً شرعياً ، وله من فضل الله ماعمله الغير له ، أو أن اللام بمعنى على كقوله : ولهم اللعنة أي عليهم ، وسأل والي خراسان عبد الله ابن طاهر الحسين ابن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ فقال ليس له بالعدل إلا ماسعى وله بالفضل ماشاء الله تعالى فقبل عبد الله رأس الحسين أهـ[2]

* * *

(١) انظر التاج الجامع للأصول ١ / ٣٨٣ – ٣٨٤) .

(٢) انظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن .

رأي وجيه في الموضوع

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري : لابأس أن يجلس المسلم في المسجد أو في بيته فيقرأ القرآن فإذا فرغ من تلاوته سأل الله تعالى للميت المغفرة والرحمة متوسلا إلى الله عز وجل بتلك التلاوة التي تلاها من كتابه[١] .

* * *

(١) انظر : منهاج المسلم ص ٢٨٣ .

وهل يجوز قراءة القرآن عند القبر؟

اختلف الفقهاء رحمهم الله في حكم قراءة القرآن عند القبر ، فذهب إلى استحبابها الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني من فقهاء الأحناف لتحصل للميت بركة المجاورة ، يوافقهما القاضي عياض والقرافي من المالكية . ويرى أحمد أنه لابأس بها ، وكرهها مالك وأبو حنيفة [1] .

* * *

(١) انظر : فقه السنة ١ / ٥٥٩ .

فتوى الإمام العلامة ابن حجر رحمه الله

سئل ابن حجر المكي عما لو قرأ إنسان الفاتحة لأهل المقبرة فهل يقسم الثواب بينهم أو يصل لكلٍ منهم ثواب ذلك كاملاً فأجاب بأنه أفتى جمع بأنه يصل لكل منهم الثواب كاملاً ، قال : وهو اللائق بسعة الفضل .

* * *

وهل يجوز إهداء الثواب إلى الرسول ﷺ ؟

وأما إهداء ثواب القراءة للرسول الله ﷺ فقد ذكر ابن حجر أن الحافظ ابن تيمية رحمه الله منع إهداء ثواب القراءة للنبي ﷺ وقال لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه وهو الصلاة وسؤال الوسيلة له ورد عليه تقي الدين السبكي وغيره بأن مثل ذلك لايحتاج لإذن خاص قال ألا ترى أن ابن عمر كان يعتمر عن النبي ﷺ عمراً بعد موته من غير وصية من رسول الله[١] ﷺ وقال ابن القيم رحمه الله : قيل من الفقهاء المتأخرين من استحبه ومنهم من لم يستحبه ورأه بدعة فإن الصحابة لم يكونوا يفعلونه وإن النبي ﷺ له أجر كل من عمل خيراً من أمته من غير أن ينقص من أجر العامل شيء ، لأنه الذي دل أمته على كل خير وأرشدهم ودعاهم إليه ومن دعا إلى هدى فله من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم ، قال وكل هدى وعلم فإنما نالته أمته على يده فله مثل أجر من اتبعه أهداه إليه أو لم يهده . وقال أبو عبد الله بن حمدان في رعايته : ومن تطوع بقربة من صدقة وصلاة وصيام وحج وعمرة وقراءة وعتق وغير ذلك من عبادة بدنية تدخلها النيابة وعبادة مالية وجعل جميع ثوابها أو بعضه لميت مسلم حتى النبي ﷺ ودعا له أو استغفر له أو قضى ماعليه من حق شرعي أو واجب تدخله النيابة نفعه ذلك ووصل إليه أجره . وقيل إن نواه حال فعله أو قبله وصل إليه وإلا فلا . قال ابن عقيل رحمه الله : إذا فعل طاعة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وأهداها بأن جعل ثوابها للميت المسلم فإنه يصل إليه ذلك وينفعه بشرط أن يتقدم نية الهدية على الطاعة أو تقاربها[٢] . قال ابن القيم : ويؤيد هذا أن الذين سألوا النبي ﷺ عن ذلك لم يسألوه عن إهداء ثواب العمل بعده وإنما سألوه عما يفعلونهم عن الميت كما قال سعد أينفعها أن أتصدق عنها ؟ وكذلك قول المرأة الأخرى أفأحج عنها وقول الرجل الآخر أفأحج عن أبي ، فأجابهم بالإذن في الفعل عن الميت لا بإهداء ثواب

---

(١) انظر : الحياة البرزخية من الموت إلى البعث ص ٢٠٨ .

(٢) انظر : كتاب الروح ص ١٦٣ .

ماعملوه لأنفسهم إلى موتاهم قال فهذا سر الأشتراط وهو أفقه ومن لم يشترط ذلك يقول الثواب للعامل ، فإذا تبرع به وأهداه إلى غيره كان بمنزلة مايهديه إليه من ماله أهـ[1] هذا وأما ما ورد في الحديث وهو : « لا يصوم أحد عن أحد ولايصلي أحد عن أحد » فإنما هو : كما ذكر الإمام الكاساني في حق الخروج عن العهدة أي سقوط الفريضة لا في حق الثواب أ هـ والله أعلم[2] ويحمل الحديث لوصح على أن يكون ذلك أيضاً أثناء الحياة ، لأنه قد جاء في الحديث الصحيح : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » كما سبق بيانه والله أعلم .

* * *

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر : فتاوي الشرباصي يسألونك ج ٤ ص ١١١ .

انتظار الموت والاستعداد له

قال رسول الله ﷺ « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[١] وانتظار الموت يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة وبه يطول العمر ويحصل الجد والتشمير في العبادة ومن علم أنه سيموت ثم يبعث استعد بما يقدر عليه من الخير وتجنب الشر وتباعد عنه ورضي بما قدر الله له من الرزق فهو لايخادع ولايخون ولايطلب ماليس له بحق وإيمانه بالآخرة ومافيها من الثواب والعقاب يجعله سخياً جواداً بما يملك سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء سمح الاستقضاء إذا كان الحق عليه سارع في تأديته إلى صاحبه وإن كان له الحق على غيره انتظر وصبر ، وفي الحديث الشريف : « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله »[٢] ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة والغفلة عن الموت تقسي القلب وتعين على المعصية ، وبها يكره المرء لقاء الله فيكره الله لقاءه ، ومن اشتغل عن ذكر الله بالمال والولد فارق الدنيا وهو عليها حزين ومتأسف على ما وراءه وخائف مما هو قادم عليه ، وأفضل الصدقة ماكان عن ظهر غنى وخيرها أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تنتظر حتى إذا بلغت الروح الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان على لفلان كذا وكذا .

* * *

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه .

(٢) تمام الحديث : « يوم لا ظل إلا ظله » رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع .

ماذا ينبغي لمن نزل به المرض أن يفعل

وإذا نزل الضر وجب الصبر ، والصبر مفتاح الفرج ، وإذا أراد الله بعبده خيراً ابتلاه في نفسه وفيما يعز عليه ليذكر ويعتبر والمحنة تضاعف الأجر وتكفر الخطايا ، ويكره للمريض كثرة الأنين وأن يشكو مانزل به إلى مخلوق مثله لايملك لنفسه ضراً ونفعاً ولا موتاً ولاحياة ولا نشوراً[1] .

* * *

(١) انظر : الفقه البسيط للبيحاني ص ٥٣ .

لابأس بالتداوي عند من شهر منه معرفة ذلك بمالا يتناقض مع تعاليم الإسلام كسبب من الأسباب فقط

ولايكره التداوي واستدعاء الطبيب وأن تذكر له العلة وتدله على موضعها من الجسم ولو كان كافراً ، والرجل الأجنبي لايداوي المرأة وبالعكس إلا إذا فقد أحد الجنسين الطبيب من جنسه فقد استخدم الرسول ﷺ بعض المشركين في بعض الشؤون وكان نساء الصحابة يداوين الجرحى في الجهاد على عهد رسول الله[1] ﷺ .

* * *

(١) ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ لما هاجر استأجر رجلاً مشركاً يدله على الطريق ، وائتمنه على نفسه وماله .

(وعن ربيع بنت معوذ بن عفراء قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) ، رواه البخاري .

للمريض طرق استثنائية في أداء الأعمال التعبدية

هذا وقد أذن الله للمريض ومن في حكمه فيما ليس لغيره من الرخص قال رسول الله ﷺ «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ماكان يعمل صحيحاً مقيماً» [رواه أحمد والبخاري وأبو داود][(١)] وتسن زيارة المريض وإدخال السرور على قلبه وروى الترمذي وقال حديث حسن عن علي رضي الله عنه أن رسوله الله ﷺ قال «مامن مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة»[(٢)] هذا وتكره الإطالة في الزيارة والتكرار الممل .

* * *

(١) انظر : التاج ١ / ٣٤٨ .

(٢) انظر : فقه السنة / ٤٩٠ .

يسر الإسلام وسماحته تتجلي في كل شيء من شريعته

يعذر المقيم عند المريض لتمريضه وإيناسه في ترك الجماعة وحتى الجمعة إذا لم يجد من يخلفه من النساء والصبيان وكان المرض شديداً ، ومن دخل على مريض بشره بالعافية وبما أعده الله للمؤمنين في الآخرة من الأجر العظيم ودخول الجنة (١) قال رسول الله ﷺ « مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولاحزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » [متفق عليه] .

* * *

(١) انظر : الفقه البسيط ٥٤ .

الإسلام يجوز الرقية ويحرم التمائم

ويحرم تعليق الحروز والتمائم ولابأس بالرقية وهي بما تيسر من القرآن والأدعية والأذكار المعروف معناها ، قال شيخ الإسلام كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به فضلاً عن أن يدعو به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً فليس من دين الإسلام(١) وفي الحديث الشريف «إن الرقي والتمائم والتوله شرك» [رواه أحمد وأبكو داود وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني(٢) .

ومن يثق بودعة أو ناب	أو حلقة أو أعين الذآب
أو خيط أو عضو من النسور	أو وتر أو تربة القبور
لأي أمر كائن تعلقه	وكله الله إلى ما علقه
ثم الرقى من حمة أو عين	فإن تكن من خالص الوحيين
فذاك من هدي النبي وشرعته	وذاك لا اختلاف في سنيته
آما الرقى المجهولة المعاني	فذاك وسواس من الشيطان
وفيه قد جاء الحديث أنه	شرك بلا مرية فاحذرنه
إذ كل ناطق به لا يدري	لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس	على العوام لبسوه فالتبس
فحذراً ثم حذار منه	لاتعرف الحق وتنأى عنه

هذا وإذا طمعت في المريض بشرته بالشفاء بإذن الله وتعاونت معه على العلاج وحرضته على الصبر والاجتهاد في الطاعه وفي الحديث الشريف «إن الله لم ينزل

---

(١) انظر : فتح المجيد ١٢٦ .

(٢) انظر : صحيح الجامع ١ / ٢ / ٦٧ .

داء إلا أنزل له شفاء» [رواه النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم] ، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «لكل داء دواء فإذا أصيب الداء الداء برأ بإذن الله»[1] .

* * *

(١) انظر : فقه السنة ٤٩٢ .

التداوي بالحرام حرام في الإسلام

ويحرم التداوي بكل محرم ومن ذلك ماتعارف عليه بعض الناس من تلطيخ بعض المرضى بدماء الذبيحة ولاشك في نجاسة الدم وفي الحديث الشريف «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» [رواه البيهقي وصححه ابن حبان] . وروى أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه ثم قال لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقى والتمائم والتوله شرك» قالوا ياأبا عبد الله هذه التمائم والرقى قد عرفناها فما التوله قال شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن . [رواه الحاكم وابن حبان وصححاه][1] .

* * *

(١) انظر : فقه السنة ص ٤٩٦ .

كيف يحسن المريض ظنه بربه وضرب مثل من الواقع

هذا وإن رأيت على المريض علامة الموت ذكرته بالله وحسنت ظنه بربه وذكرت له الوصية بما لا يخيفه فهي لاتقطع الأجل ولكنها تحفظ الحقوق وتعين الورثة على مايجب اتخاذه بعد وفاة صاحبهم وقال ﷺ «لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» رواه مسلم وروى ابن ماجه والترمذي ، بسند جيد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : «كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجوه وأمنه مما يخاف»[١] . ولابن أبي الدنيا عن أبي غالب صاحب أبي أمامة أن فتى بالشام حضره الموت فقال لعمه : أرأيت لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي قال إذاً والله كانت تدخلك الجنة قال فوالله لله أرحم بي من والدتي فقبض الفتى فدخلت القبر مع عمه فقلنا باللبن فسويناه عليه فسقطت منها لبنة فوثب عمه فتأخر فقلت : ماشأنه فقال مليء قبره نوراً وفسح له مد بصره[٢] .

* * *

(١) فقه السنة ص ٥٠٠ .

(٢) انظر أحكام تمني الموت ٢٤ .

ماورد في شأن الوصية

وأما الوصية فقد حث عليها الإسلام في أحاديث كثيرة منها مارواه الجماعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه » ، أى ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده إذا كان له شيء يريد أن يوصي فيه حتى لايفاجئه الأجل المحتوم قبل ذلك . وروي في الحديث « من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفوراً له » [رواه ابن ماجه][1] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار »، وقرأ أبو هريرة : ﴿ **من بعد وصية يوصي بها أودين غير مضار** ﴾ . [رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح][2] .

* * *

(١) وضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع ج ٥ / ٦ / ٢٥١ انظر فقه السنة ٥٨٦ .

(٢) انظر التاج جـ٢ / ٢٦٤ .

حول تلقين المحتضر كلمة التوحيد ودراسة سورة يس

ويسن تلقين المحتضر برفق كلمة التوحيد لقوله ﷺ «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» [راوه مسلم] ، وقال «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» . [رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصصحه الألباني] و «عن عبد الله ابن بسر رضى الله عنه مرفوعاً خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » [رواه أبو نعيم في الحليه وصححه الألباني] ، ويستحب توجيهه إلى القبلة مضطجعاً على شقه الإيمن وإلا فمستلقياً على ظهره ورجلاه إلى القبلة كما يستحب أن تقرأ عليه سورة يس خصوصاً إذا اشتدت به سكرات الموت رجاء أن يخفف الله عليه ببركتها لما روي في الحديث : «مامن ميت يموت فتقرأ عنده يس إلا هون الله عليه» . [رواه صاحب مسند الفردوس عن أبي الدراء وأبي ذر وهو ضعيف كما ذكره الجزائرى في منهاجه] ، وفي الحديث الشريف : «اقرؤوا يس على موتاكم» [رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان وصححه] ، وقال الإمام الرباني محمد ابن على الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار واللفظ نص في الأموات وتناوله للحي المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا لقرينة[١] وقال المحب الطبري : إن العمل بعموم الحديث هو الظاهر[٢] .

* * *

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ٤ / ص ٢٥ .

(٢) انظر : التاج الجامع للأصول ١ / ٣٤٠ .

مايتأكد اتخاذه من الإجراءات الضرورية أثناء الموت

هذا وإذا فاضت روح المسلم تغمض عينيه ويستر جسمه بثوب طويل ولايقال عنده إلا خيراً ، ودخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة رضي الله عنه وقد شق بصره عندما مات فأغمضه ثم قال «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله فقال «لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون» الحديث في صحيح مسلم ، ويترك حتى يستريح ويبرد وتكره المبادرة بتجهيزه إذا مات فجأة حتى يتيقن موته : ﴿**ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون**﴾[1] . وتستحب المبادرة بتجهيزه إذا تيقن موته ، وتؤكد تماماً من خروج نفسه ، لما رواه أبو داود : «لاينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله» .

* * *

(١) المنافقون آية ١١ .

هل عموم النعي منهي عنه؟

قال العلماء : لابأس بإعلان وفاة المسلم في أقربائه وأصدقائه والصالحين من أهل بلده ليحضروا جنازته بل يستحب ذلك فقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي للناس لما مات كما نعى زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة لما استشهدوا ، وإنما النعي المنهي عنه كما قال بعض أهل العلم ماكان في الشوارع وعلى أبواب المساجد بصوت مرتفع وصياح والله أعلم[1] .

* * *

(١) انظر : منهاج المسلم ص ٢٧٣ .

غسل الميت وتكفينه

يجب للميت المسلم أن يغسل ويكفن مطلقاً رجلا أو امرأة صغيراً أو كبيراً لقوله ﷺ في الذي سقط عن بعيره فمات : «اغسلوه بماء وسدر» [رواه الشيخان وغيرهما ، وهو فرض كفاية] ، إلا الشهيد في معركة المشركين فإنه لا يغسل بل ولا يصلى عليه ويسن تكفينه في ثيابه التي قتل فيها لما رواه البخاري من حديث جابر أن رسول الله ﷺ : «أمر في قتلى أحد بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم» ، وعلى هذا جمهور الفقهاء ، ولو استشهد جنباً لم يغسل ولم يصل عليه عند مالك والشافعي ، وقال أحمد يغسل ولا يصلى عليه . هذا وأما من استشهد في غير معركة المشركين كمن قتل ظلماً بأي وسيلة من الوسائل أو جرح في المعركة مثلاً وبقيت فيه حياة مستقرة بعد انتهاء القتال ثم مات فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه إذ قد استشهد عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم في غير المعركة فغسلوا وكفنوا وصلي عليهم[1] ، وذلك لأن النبي ﷺ غسل بعد سعد بن معاذ ، وصلى عليه بعد أن مات متأثراً بجراحه في معركة الخندق من جراء سهم قطع أكحله ، فحمل إلى المسجد ، فلبث فيه أياماً ، ثم انفتح جرحه فمات شهيداً رضي الله عنه.
أما من عاش عيشة غير مستقرة ، فتكلم أو شرب ، ثم مات فإنه لايغسل ولا يصلى عليهوالمقتول حداً وقاتل نفسه تجري عليه أحكام الميتين المسلمين قال النووي : قال القاضي : مذهب العلماء كافة الصلاة على كل مسلم ومحدود ومرجوم وقاتل نفسه وولد الزنا وماروي أنه ﷺ لم يصلى على الغال وقاتل نفسه ، فلعله للزجر عن هذا الفعل ، كما امتنع عن الصلاة على المدين ، وأمرهم بالصلاة عليه ، والكافر لايجب له شيء ولاتجوز الصلاة عليه ولابأس بغسله وتكفينه ودفنه ، والسقط قبل تخلقه يوارى بخرقة ويدفن ندباً وإذا تخلق ولم تظهر حياته بعد انفصاله فلا صلاة عليه ويغسل ويكفن ويدفن فإن ظهرت حياته بحركة أو عطاس فهو مثل الكبير[2] وفي الحديث «إذا استهل الصبي ورث وصلي عليه» [رواه النسائي وصححه ابن

(١) أ هـ . انظر : فقه السنة بتصرف ١ / ٥٣١ .

(٢) انظر : الفقه البسيط ص ٥٤ ، وفقه السنة ١ / ٥٣٢ .

حبان والحاكم وقال إنه على شرط الشيخين وقال أحمد وإسحاق كل من نفخ فيه الروح وتمت له أربعة أشهر وعشر صلي عليه[١] .

* * *

(١) انظر : التاج الجامع للأصول ١ / ٣٦١ .

صفة الغسل للميت

وأقل الغسل تعميم بدن الميت بالماء وأكمله ثلاث غسلات أو خمس أو سبع أولاهن بمنظف كسدر أو صابون وفي الأخيرة شيء من كافور ويستر الميت قدر الإمكان[١] . هذا ومنها أن يغسله في مكان خاص لايدخله إلا الغاسل ومن يساعده ، وأن يكون على مرتفع كسرير ونحوه وبماء بارد لأنه يشد البدن إلا إذا دعت الحاجة إلى الماء المسخن لإزالة وسخ ونحوه ، وأن يجلسه الغاسل على المرتفع برفق مائل إلى ورائه ويسند ظهره بركبته اليمني ويمر يساره على بطنه بمبالغة ليخرج ما فيه من الفضلات ، ثم يضجعه لقفاه ويغسل بملفوفة على يساره سوأتيه ثم يلقيهما ثم يأتي بأخرى ينظف بها أسنانه ومنخريه .

ومنها أن يوضأه الغاسل كوضوء الحي ثم يفيض الماء على رأسه بعد غسله بسدر ونحوه من أدوات النظافة كالصابون ويغسل الشق الأيمن ثم الأيسر ثلاثاً لما رواه البخاري عن أم عطية رضي الله عنها قالت : دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور وابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها قالت فضفرنا شعرها ثلاثة أو ثلاث قرنيها وناصيتها وفي رواية وألقيناها خلفها .

هذا ، وقد اتفق الفقهاء على أنه لايسرح شعر الميت إلا الشافعي ، فإنه قال : يسرح تسريحاً خفيفاً[٢] ، فإذا حصل تسريح لحيته ورأسه إن كان عليهما شعر فبمشط واسع الأسنان ، ويكون برفق لئلا ينتف فإن نتف شيء رده بعد غسله إليه ووضعه معه في الكفن إكراماً له لقول تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[٣] هذا

---

(١) انظر : الفقه البسيط للبيحاني .

(٢) انظر : رحمة الأمة ص ٦٠ .

(٣) الإسراء آية ٧٠ .

(٤) انظر : الفقه الميسر ٢٧ .

خرج بعد الغسل شيء وجب إزالته ولا يعاد غسله[٤] وتجب إزالة النجاسة عنه قبل الغسل وبعده وإلى أن يصلى عليه فإن لم تنقطع سد موضعها وعصب عليها ولايدع الماء يدخل جوفه ويكره تقليم أظافره وقص شعره ويحرم ختنه ولكن يغسل ما تحت القلفة وييمم بالتراب في وجهه ويديه[١] .

واتفق الفقهاء على أن الواجب من الغسل ماتحصل به الطهارة ، وأن المسنون الوتر ، ولايعتبر الغسل إلا بعد إزالة النجاسة إن كانت على بدنه .

* * *

(١) انظر : الفقه البسيط ص ٥٥ ورحمة الأمة ص ٨٦ .

صفة تكفين المحرم بالحج والعمرة

والمحرم بحج أو عمرة لايطيب ولايستر رأس الرجل ولا وجه المرأة بالكفن لقوله ﷺ فيمن وقصه بعيره وهو محرم فمات «اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولاتمسوه طيباً ولاتخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً» رواه الخمسة .

هذا ونية الغاسل للميت غير واجبة على الأصح من مذهب الشافعي ، وهو قول أبي حنيفة كما في «رحمة الأمة» .

* * *

من عجز عن غسله ييمم بالتراب

إذا لم يوجد ماء لغسل الميت أو مات رجل بين نساء أو امرأة بين رجال أو تعذر غسله لتسمم أو حريق يمم بالتراب فقط ويكفن بعد ذلك ويدفن ، وكذلك المرأة إذا ماتت وليس عندها إلا رجال فقط فإنها تيمم وتكفن وتدفن ، فالتراب يقوم مقام الماء عند تعذره أو العجز عن استعماله وفي الحديث الشريف «إذا ماتت المرأة مع الرجال ليس معهم امرأة غيرها والرجل مع النساء ليس معهن رجل غيره فإنهما ييممان ويدفنان وهما بمنزلة من لم يجد الماء» [أخرجه أبو داود في مراسيله والبيهقي عن مكحول][١] .

وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ، والأصح من مذهب الشافعي ، وعن أحمد روايتان إحداهما ييممان ، والأخرى يلف الغاسل على يده خرقة ، وهو وجه للشافعي ، هذا ويجوز في مذهب الشافعية أن يغسل الرجل أمه أو ابنته وغيرهما من المحارم ، ونقل ذلك عن المالكية وغيرهم بشرط ألا يباشر العورة بيده ولا ينظر إليها واليغض الطرف ما أمكنه ونقل عن الحنفية والحنابلة عدم جواز لك .

* * *

(١) انظر : «رحمة الأمة ص ٨٤» .

تنشيف جسم الميت

وبعد الفراغ من الغسل ينشف جسم الميت وقد سدت منافذه بنحو قطن ثم يوضع في الكفن وأقل الكفن مايواري بدن الميت كله وأكمله للرجل ثلاث لفائف وللمرأة قميص وإزار وخمار ولفافتان ولابأس بقميص وعمامة للرجل مع لفائفه الثلاث ، ويستحب أن يكون أبيض نظيفاً جديداً كان أو قديماً لقوله ﷺ البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم ، رواه الترمذي وصححه، كما يستحب أن يجمر الكفن بالعود ونحوه لقوله ﷺ إذا أجمرتم الميت فأجمروه ثلاثاً رواه أحمد وصححه الحاكم وقد كفن ﷺ بثلاثة أثواب سحولية جدد ليس فيها قميص ولا عمامة[1] ويحرم تكفين الرجل المسلم بالحرير إذ الحرير محرم لبسه على الرجال فيحرم تكفينهم به ، وأما المرأة فإنه وإن كان ذلك حلالاً لها فإنه يكره لها أن تكفن في ثوب من حرير لما روى أبو داود : « لا تغالوا في الكفن فإنه يسلبه سلباً سريعاً » وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا كفن

---

(١) انظر منهاج المسلم ٢٧٦ ، نص الحديث كما في الصحيحين واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض يمانيه سحوليه ليس فيها قميص ولاعمامه » قوله سحوليه نسبة إلى سحول قرية باليمن وهو بضم المهملتين ويروى بفتح أوله قال النووي والفتح أشهر وهو رواية الأكثرين قال ابن الأعرابي وغيره هي ثياب بيض نقيه لاتكون إلا من القطن أ هـ انظر كتاب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١ / ١٦٢ / ١٦٣ / أ هـ / قلت وهذا يدل على أن وادي السحول الذي يقع شمال عاصمة اللواء الأخضر مدينة إب والمعروف بجودة تربته وخصوبة أرضه قد لعب دوراً بارزا في مجال الزراعة سابقاً وإذا كان الله قد أكرم اليمن واليمنيين بنصرة طائفة منهم نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام في بداية الدعوة الإسلامية وظهورها فقد توج مكارمهم بأن جعل جسم نبيه واكرم الخلق عليه محمد ﷺ يلف بثلاثة أثواب بيض يمانية سحولية عند ختام مسك حياته الشريفه وأخرها » ولمثل هذه الأمور التى لم تأت إلا باختيار رباني ومقدار ، قيمتها الاعتبارية وأهدافها الساميه عند أهل النظر والأعتبار ، ﴿ وربك يخلق مايشاء ويختار ﴾ فما على الأمة التى لها تاريخها وحضارتها وأمجادها في سماء الإسلام إلا أن تعرف قدر نفسها حكاماً ومحكومين فتسعى لتجديد حضارتها وإعادة مجدها وإصلاح أحوالها تحت راية القرآن والله المستعان » .

أحدكم أخاه فليحسن أخاه فليحسن كفنه » [رواه الخمسة إلا البخاري][1] .

وكراهة تكفين المرأة بالحرير هو مذهب أكثر أهل العلم ، وفرقوا بين كونه زينة لها في حياتها وكونه كفناً لها بعد موتها . هذا ، وتكفين الزوجة على زوجها في مذهب جمهور الفقهاء ، وذلك لأن من لزمه كسوتها في الحياة لزمه كفنها بعد الممات ، فإن لم يكن لها زوج فكفنها من وجبت عليه نفقتها أثناء حياتها [1] .

* * *

(١) انظر التاج جـ ١ / ٣٥٦ .

(٢) انظر : المجموع ٥ / ١٤٥ – ١٤٨ .

من الأولى بغسل الميت ؟ كما ينبغي أن يكون أميناً

الأولى أن يتولي غسل الميت أقرباؤه إن أمكن ذلك ، فيقدم الأقرب فالأقرب من عصباته ، واتفق العلماء على أن الرجال يغسلون الرجال ، والنساء يغسلن النساء .

هذا وإذا رأى المغسل وأعوانه من الميت خيراً كتبسم وإشراق وجه وسرعة انقلاب ولين مفاصل تحدثوا به وذكروه وإن رأو عكس ذلك سكتوا عنه وأخفوه سائلين الله له المغفرة والرحمة . هذا ويجوز للرجل أن يغسل امرأته وللمرأة أن تغسل زوجها على هذا جمهور الفقهاء لما روي عنه ﷺ « قوله لعائشة رضي الله عنها لو مت قبلي لغسلتك وكفنتك » رواه ابن ماجه ولأن عليا رضي الله عنه غسل فاطمه رضي الله عنها رواه البيهقي والدار قطني والشافعي وهو حسن(١) كما يجوز للمرأة أن تغسل الصبي ابن ست سنوات فأقل وأما تغسيل الرجل الصبية فقد كرهه أهل العلم وفي الحديث الشريف « من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة ومن كفن ميتاً كساه الله من سندس وإستبرق في الجنة ومن حفر لميت قبراً فأجنه فيه أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة » [رواه البيهقي والحاكم وصححه على شرط مسلم] .

* * *

(١) انظر : منهاج المسلم ص ٢٧٥ ، وفقه السنة ص ٥١٧ ، والأذكار للنووي ص ٨٣٣ ، وكذلك المجموع ٥ / ١٠٩ - ١١٩ .

كيفية حمل الجنازة وما أحدث فيها من بدع

إذا وضع الميت بعد تجهيزه على الجنازة حملوه برفق ويأخذ بمؤخرة السرير شخصان وبمقدمته ثلاثة وأحدهم بين القائمتين ويستحب التناوب حتى لايتعب الحملة ويسرعون في السير بلا ركض ولاخبب وفي الحديث الشريف «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» رواه البخاري . كما يستحب المشي أمامها إذ كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يمشون أمام الجنازة . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما . ولا بأس بالسير خلفها وحواليها ولايخرج معها النساء ولاتتبع بنار لقول أم عطية رضي الله عنها نهينا أن نتبع الجنائز ولم يعزم علينا رواه مسلم . وفي وصية عائشة وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم ألا تتبعوني بنار قال ابن المنذر : يكره ذلك كل من يحفظ عنه من أهل العلم[١] أ هـ فهل يعقل هذا أولئك الذين يطلقون العيارات النارية من أسلحتهم بعد دفن موتاهم كما هو معلوم لدى بعض العسكرين؟ اللهم اهد عبادك إلى مافيه رضاك .

* * *

(١) انظر فقه السنة ٥٣٩ .

رفع أصوات المشيعين بالذكر مع الجنازة غير مشروع

هذا ومن البدع المنكرة رفع أصوات المشيعين بالذكر وتلحينه ودق الطبول ونشر البيارق وما يسمونه اليوم بالتشييع العسكري ، فتضرب الموسيقى بين يدي الجنازة وتشيعه بالأناشيد وقد يجللونها بالحرير المطرز والملون من الثياب والأعلام الدولية كما يكره معها الحديث الدنيوي ولاينبغي أن يذكر الميت إلا بخير ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[1] وقال ابن المنذر : روينا عن قيس بن عبادة أنه قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث : عند الجنائز وعند الذكر وعند القتال . وقال الإمام النووي رحمه الله واعلم أن الصواب والمختار ماكان عليه السلف رضي الله عنهم من السكوت في حال السير مع الجنازة فلا يرفع صوت بقراءة ولاذكر ولا غير ذلك ، لأنه أسكن لخاطره وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة وهو المطلوب في هذا الحال فهذا هو الحق ، ولاتغتر بكثرة من يخالفه فقد قال أبو على الفضيل بن عياض رضي الله عنه مامعناه الزم طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولاتغتر بكثرة الهالكين ، قال وقد روينا في سنن البيهقي مايقتضي ماقلته أ هـ[2] .

وقال الإمام محمد عبده : وأما الذكر جهراً أمام الجناة ففي « الفتح » يكره للماشي أمام الجنازة رفع الصوت بالذكر ، فإن أراد أن يذكر الله فليذكره في نفسه .

* * *

(١) انظر : الفقه البسيط ٥٦ .

(٢) انظر : الأذكار ١٣٨ / وفقه السنة ١ / ٥٣٩ .

الترغيب في تشييع جثمان المسلم

هذا ومن شيع مسلماً حتى يصلى عليه كتب له من الأجر قيراط واحد وإن شيعه حتى يدفن كتب له من الأجر قيراطان والقيراط مثل الجبل العظيم لقوله ﷺ « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين » رواه الخمسة[١] ، وفي رواية أصغرهما مثل أحد ، وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف فلما بلغه حديث أبي هريرة قال: لقد ضيعنا قراريط كثيرة .

* * *

(١) انظر التاج جـ ١ / ٣٦٢ .

تنبيه وتحذير، وهل يصلى على الجنازة في المسجد ؟ وهل يقام لها عند رؤيتها؟

وبناءً على ماورد في فضل تشييع الميت والصلاة عليه فالذين يتأخرن عن صلاة الجنازة وهم معها بغير عذر يفوتهم أجر عظيم وثواب جسيم فليحرص المسلم على التماس الخير وكسبه قال تعالى : ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم تفلحوون** ﴾[١] وما أقبح صنيع الذين يصلون وهم محدثين أو عليهم النجاسة ولايحضرون إلا مجاملة ونفاقاً ، ولاتكره الصلاة على الميت في المسجد عند جمهور الفقهاء ، إذا لم يخش تلويثه لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ماصلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في المسجد . وأما حديث «من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له» فقد ضعفه الإمام أحمد وصحح العلماء هذا الحديث فقالوا : إن الذي في النسخ الصحيحة المشهورة من سنن أبي داود بلفظ لاشيء عليه أي من الوزر[٢] . هذا ، وقد اختلف الفقهاء رحمهم الله في القيام للجنازة على أقوال ، فمنهم من ذهب إلى كراهته ، ومنهم من قال باستحبابه ، ومنهم من رأى التخيير بين الفعل والترك ، ولكل حجته ودليله .

وعن علي رضي الله عنه قال : رأينا رسول الله ﷺ قام فقمنا ، وقعد فقعدنا . [رواه الخمسة إلا البخاري][٣] .

* * *

---

(١) الحج آية ٧٧ .

(٢) انظر : التاج جـ ١ / ٣٦٥ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ١ / ٣٧٠ ، وفقه السنة ١ / ٥٤١ .

موقف الإمام والصلاة على أكثر من واحد

ويستحب أن يقف الإمام عند رأس الرجل ووسط المرأة لحديث أنس رضي الله عنه رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه ، ويصف الناس خلفه ثلاثة صفوف أو أكثر لما رواه مالك بن هبيرة قال قال رسول الله ﷺ « مامن مؤمن يموت فيصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا ثلاثة صفوف إلا غفر له » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه ، هذا ، وإذا اجتمع أكثر من ميت وكانوا ذكوراً أو إناثاً ، صفوا واحداً بعد واحد ، بين الإمام والقبلة ليكونوا جميعاً بين يدي الإمام ، وأفضلهم يوضع مما يليه ، وصلى عليهم جميعاً صلاة واحدة ، وإن كانوا رجالاً ونساءً جاز أن يصلى على كل منهم على حدة ، كما يجوز أن يصلى عليهم جميعاً ، وتصف الرجال أمام الإمام والنساء مما يلي القبلة[1] .

* * *

(١) انظر : فقه السنة ١ / ٥٢٧ بتصرف .

صفة الصلاة على الميت

الصلاة على الميت فرض من فروض الكفاية ، وهي ثابتة بالتواتر من فعل النبي ﷺ وفعل أصحابه ، فيكبرون أربع تكبيرات يقرؤون الفاتحة بعد الأولى التي هي تكبيرة الإحرام ويصلون على النبي ﷺ بعد الثانية ويدعون للميت بعد الثالثة ويسلمون بعد الرابعة والأولى بإمامة الصلاة على الميت الأب وإن علا والابن وإن سفل فباقي العصبة بترتيب الإرث[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لايشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه » . [رواه مسلم وأبو داود] . وعن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « مامن مسلم يشهد له ثلاثة إلا وجبت له الجنة » قيل : واثنان؟ : قال « واثنان » . [رواه الترمذي وصححه الألباني .

* * *

(١) وعند أبي حنيفة ومالك الوالي أحق من الولي ، وفي مذهب الحنابلة الوصي مقدم على الوالي ، والوالي مقدم على الولي ، أما الشافعية فالصحيح عندهم أن الولي مقدم على غيره ، انظر : رحمة الأمة ص ٨٧ ، والفقه البسيط للبيحاني ، والمجموع ٥ / ١٦٧ - ١٧٢ ، والمغني لابن قدامة ٢ / ٤٨٠ .

وأما رفع اليدين ، فمذهب الشافعي أنه يرفع يديه في جميع التكبيرات حذو منكبيه ، وقال أبو حنيفة ومالك : لايرفع يديه إلا في الأولى انظر رحمة الأمة ص ٨٨ .

الأركان الأساسية لصحة الصلاة على الميت والحديث عن النية في سائر الصلوات

وأركان الصلاة على الميت سبعة : الأولى : النية ثم إن كان الميت واحداً نوى الصلاة عليه وإن تعدد الموتى نوى الصلاة علهيم وإن لم يعرف عددهم ، فيستحضر المصلى بقلبه نية صلاته عند مباشرة العمل فالنية قصدك الشيء مقترنا بفعله ، ولا بد في النية عند الفقهاء من التعيين والفرضية فالتعيين ظهراً أو عصراً والفرضية فرضاً قالوا ويجب التعيين أيضاً في النافلة المؤقتة وذات السبب ولاتجب نية الأداء ولا القضاء ولا عدد الركعات ، والمأموم ينوي القدوة أو الجماعة ويسن ذلك للإمام في غير ماتجب فيه الجماعة[1] ومحلها القلب وفي الحديث الصحيح «إنما الأعمال بالنيات» . الثاني : القيام عند القدرة لقوله تعالى : ﴿**وقوموا لله قانتين**﴾ الثالث التكبيرات وهي أربع ولو كبر خمساً لم تبطل صلاته لثبوت ذلك في صحيح مسلم ولأنه ذكر وفي الصحيحين أن النبي ﷺ على النجاشي فكبر أربعاً ، وهذا مذهب جمهور الفقهاء .

قال الإمام الشوكاني : أما التكبير أربع تكبيرات فقد ثبت ثبوتاً متواتراً عن جماعة من الصحابة .

الرابع قراءة الفاتحة وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق قال طلحة بن عبد الله : صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب فقال ليعلموا أنها السنة . [رواه البخاري وغيره] ، ولابن ماجه أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب[2] .

الخامس : الصلاة على النبى ﷺ بعد الثانية لوروده في الصحيح وأقلها اللهم صلّ على محمد وأكملها اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

---

(١) انظر : الفقه البسيط للبيحاني .

(٢) انظر : التاج ٣٥٩ .

آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . كما في حديث بشير ابن سعد رضي الله عنه مرفوعاً رواه مسلم .

السادس : الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة لما رواه الشافعي في مسنده عن أبي أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سراً في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الدعاء في الجنازة في التكبيرات ولايقرأ في شيء ثم يسلم سراً في نفسه قال في الفتح وإسناده صحيح . هذا والواجب في الدعاء مايطلق عليه اسم الدعاء . والمستحب أن يدعو بما شاء من ا المأثور عن النبي ﷺ ومن ذلك مارواه مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فسمعته يقول « اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بماء وثلج وبرد ونقه من الخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وقه فتنة القبر وعذاب النار» رواه مسلم(١) ، وعن أبي هريرة وأبي قتادة وإبراهيم الأشهلي عن أبيه وأبوه صحابي رضي الله عنهم عن النبى ﷺ أنه صلى على جنازة فقال اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان اللهم لاتحرمنا أجره ولاتفتنا بعده رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم ووفقه الذهبي » هذا واختلاف الروايات في الأدعية كما قال بعض أهل العلم دال على أن الأمر متسع في ذلك ليس مقصوراً بشيء معين : انظر حاشة الدهلوي على بلوغ المرام باب الجنائز» . والدعاء ركن باتفاق لقول رسول الله ﷺ : «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء» رواه أبو داود والبيهقي وابن حبان وصححه . وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وإن كان صبياً أو صبية اقتصر على مافي حديث اللهم اغفر لحينا وميتنا إلخ . . وضم إليه اللهم اجعله فرطاً لأبويه وسلفاً وذخراً وعظة

---

(١) انظر : فقه السنة ٥٢٤ . انظر رياض الصالحين بتحقيق الأرناؤط .

واعـتـبـاراً وثقل به مـوازينهـمـا وأفـرغ الصـبـر على قلوبهـمـا ولا تفـتنهـمـا بعـده ولاتحـرمـهـمـا أجـره

السابع : التسليم بعد التكبيرة الرابعة وعن عبد الله بن أبي أوفى أنه ماتت له ابنة فكبر عليها أربعاً ثم قام بعد الرابعة قدر مابين التكبيرتين يدعوا ثم قال كان رسول الله ﷺ يصنع في الجنازة هكذا رواه أحمد ، وقال الشافعي رحمه الله يقول بعدها : اللهم لاتحرمنا أجره ولاتفتنا بعده وقال ابن أبي هريرة كان المتقدمون يقولون بعد الرابعة اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، هذا وأكثر الفقهاء يرى بأن التسليم من صلاة الجنازة مرة واحدة عن يمينه ومنهم الحنابلة، وبعضهم يرى أن التسليم مرتين : تسليمة عن يمينه وأخرى عن يساره ، ومنهم الأحناف والشافعية[١] .

وقال ابن مسعود التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة[٢] .

ويشترط في هذه الصلاة ما يشترط فى غيرها من الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة[٣] . هذا ومن لم يصل على الجنازة صلى على القبر ، وذلك لصلاة رسول الله ﷺ على التي كانت تقم المسجد بعد أن دفنت ، قال زيد بن ثابت راوي الحديث ثم أتى القبر فصفنا خلفه وكبر عليه أربعاً ، رواه أحمد والنسائي والبيهقي والحاكم وابن حبان وصححاه ، قال الترمذي ، والعمل على هذا عند أكثر أهل

---

(١) انظر : مغني ابن قدامة ٤٩١ ، ومجموع النووي ٥/ ٢٠٢ ، وحاشية الدسوقي ١ / ٤١٣ .

(٢) انظر : فقه السنة ١ / ٥٢٦ ، وبداية المجتهد ١ / ٢٣٦ .

(٣) وتختلف عن سائر الصلوات المفروضة في أنه لايشترط فيها الوقت . بل تؤدي في جميع الأوقات متى حضرت ، ولو في أوقات النهي عند الاحناف والشافعية وكره أحمد وابن المبارك وإسحاق الصلاة على الجنازة وقت طلوع الشمس وعند اسوائها والغروب إلا أن خيف عليها التغير انظر فقه السنة ، السنة ١ / ٥٢١ – ٥٢٢ ولعل الصحيح من كراهية النهي عن أداء الصلاة في أوقات النهي محمول على من يتحرى هذه الأوات ويتعمدها لذاتها وذلك لقوله ﷺ : «لاتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولاغروبها» الحديث رواه الشيخان .

العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم . وإلى متى يصلى عليه ؟ اختلف مذهب الشافعي في ذلك . فقيل إلى شهر ، وبه قال أحمد ، وقيل : مالم يبل ، وقيل : يصلي أبداً ، والأصح أن يصلى عليه من كان من أهل فرض الصلاة عليه عند الموت . وقال أبو حنيفة ومالك : لايصلى على القبر إلا أن يكون قد دفن قبل أن يصلي عليه(١) .

* * *

(١) انظر : كتاب رحمة الأمة ص ٨٩ ، ط قطر ، وفقه السنة ١ / ٥٣٣ .

صلاة الجنازة بين القبور

قال ابن القيم رحمه الله وردت هذه السنن المحكمة بالمتشابه من قوله « لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا إليها » وهذا حديث صحيح والذي قاله هو الذي صلى على القبر فهذا قوله وهذا فعله ولا يناقض أحدهما الآخر فإن الصلاة المنهي عنها إلى القبر غير الصلاة التي على القبر فهذه صلاة الجنازة على الميت التي لاتختص بمكان بل فعلها في غير المسجد أفضل من فعلها فيه فالصلاة عليه على قبره من جنس الصلاة عليه على نعشه فإنه المقصود بالصلاة في الموضعين ولافرق بين كونه على النعش وعلى الأرض وبين كونه في بطنها بخلاف سائر الصلوات فإنها لم تشرع في القبور ولا إليها لأنها ذريعة إلى اتخاذها مساجد وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك ، وأما الصلاة على الجنازة وسط القبور فقد كرهها الجمهور لحديث « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام » وفي رواية لأحمد أنه لابأس بها لأن النبي ﷺ صلى على قبر وهو في المقبرة وصلى أبو هريرة على عائشة وسط قبور البقيع وحضر ذلك ابن عمر وفعله عمر بن عبد العزيز[١] .

وقال بعض أهل العلم حكمة النهي عن الصلاة في المقبرة حرمة الموتى وقيل تنجيس أرضها وظاهر النهي تحريم الصلاة فيها ولاتصح وعليه بعض الصحب والتابعين وأبو ثور وإسحاق وأحمد إذا كانت ثلاثة قبور فأكثر عند أحمد فإن كانت أقل فالصلاة صحيحه إلا إذا استقبل القبر فهي مكروهه ، وقال الثوري والأوزاعي والحنفية الصلاة في المقبرة مكروهة إذا كان القبر بين يدي المصلي وإلاَّ فلا كراهه كالصلاة في قبور الأنبياء وقالت الشافعية بصحة الصلاة فيها على مكان طاهر مع الكراهة إلا عند قبور الأنبياء والشهداء فلا كراهة إلا إذا قصد تعظيمهم فإنه يحرم وقالت المالكيه بصحة الصلاة فيها إذا امنت النجاسة ولاكراهة وحجة الذين لم يحرموا الصلاة فيها صلاة النبى ﷺ على خادم المسجد في قبره والأولون بخصصونه بذلك : والله أعلم[٢] .

---

(١) انظر فقه السنة ١ / ٥٣٤ / ٥٣٦ .

(٢) انظر التاج الجامع للأصول ١ / ٢٤٥ .

الصلاة على الغائب وعلى ماوجد من الميت المسلم

تشرع الصلاة على الميت المسلم الغائب وعليه أكثر الفقهاء رحمهم الله وسواء أكان البلد قريباً أو بعيداً لما رواه الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف أصحابه وكبر أربع تكبيرات .

وإن وجد بعض ميت مسلم غسل وصلي عليه عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة ومالك : إن وجد أكثره صلي عليه إلا فلا[1] . وهذا بخلاف مالو قطع عضو من حي كيد سارق ونحوه فلا يصلى عليه[2] .

وقال الشافعي رحمه الله بلغنا أن طائراً ألقى يدا بمكة في وقعة الجمل ، فعرفوها بالخاتم ، فغسلوها وصلوا عليها ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة .

وقال ابن حزم : ويصلى على ماوجد من الميت المسلم ويغسل ويكفن إلا أن يكون من شهيد . قال : وينوي بالصلاة على ماوجد منه والصلاة على جميعه : جسده وروحه[3] .

* * *

(١) انظر : رحمة الأمة ص ٨٩ ، وفقه السنة ١ / ٥١٢ .

(٢) انظر : المجموع ٥/٥١٢ .

(٣) انظر : فقه السنة ١ / ٥١٢ .

المسبوق في صلاة الجنازة

المسبوق الذي فاتته بعض التكبيرات لزمه تدارك مابقي منها بعد سلام الإمام ، وهذا مذهب جمهور الفقهاء ، وقال بعضهم لايقضي ، وفي مذهب الحنابلة : هو مخير إن شاء قضى وإن شاء لم يقض[1] .

هذا ومن أدرك بعض صلاة الإمام يكبر في الحال ، ولاينتظر تكبيرة الإمام المستقبلة ، وهذا قول أكثر الفقهاء ، وقال بعضهم : ينتظره حتى يكبر فيكبر معه ، وهو قول الحنابلة والحنفية[2] .

وينبغي أن ينتظر بالجنازة حتى يتم المسبوقون صلاتهم ، فإن رفعت قبل ذلك لم يضر ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر : المجموع ٥ / ٢٠٢ ومغني ابن قدامة ٢ / ٤٩٤ وفتح القدير ٢ / ١٢٥ .

(٢) انظر المصادر نفسها ، وقوانين الأحكام الشرعية ص ١١١ .

الدفن وأحكام القبور

يجب للميت ستره ومواراته بعد دفنه في حفرة تكتم رائحته وتحرسه من السباع قال تعالى : ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾[1] . ويسن كونها قامة وبسطة إن أمكن ذلك لما روي من وصية عمر رضي الله عنه بذلك ويشق للميت وسط القبر في الأرض الرخوة ويلحد له في جانب القبر من جهة القبلة إذا كانت الأرض قوية صلبة ويوسع القبر قدر الحاجة ويدخل الميت من مؤخر القبر إن أمكن ذلك ويوضع على شقه الأيمن مستقبلاً القبلة وجوباً ويوسد لبنة أو تراباً تحت خده الأيمن بعد كشفه وحل أربطة كفنه ، وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا وضع الميت في القبر قال : بسم الله وعلى ملة رسول الله أو على سنة رسول الله » : رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

وعن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا وضعتم موتاكم في قبورهم فقولوا : بسم الله وعلى سنة رسول الله » . [رواه أحمد وابن حبان والطبراني في الكبير وصححه الألباني] .

* * *

(١) عبس آية ٢١ ، ودفن الميت واجب بإجماع العلماء ، لأن تركه على الأرض هتك لحرمته ، وهو من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين .

الهيئة الشرعية التي ينبغي أن يكون عليها القبر

وأستحب أبو حنيفة ومالك و أحمد أن يمد ثوب على المرأة عند إدخالها في القبر دون الرجل ، واستحب الشافعية ذلك في الرجل والمرأة على السواء .

ثم يتولى ذلك أرفق الناس وأولاهم بصاحب القبر ويدعو له ويترحم عليه ويسد اللحد باللبن ويسقف الشق[1] وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اتخذوا لي لحداً وانصبوا علي اللبن نصباً كما فعل برسول الله ﷺ ثم بعد ذلك يدفن ويسوى عليه التراب ويسطح القبر ويرش عليه بالماء ، ويستحب ألا يزاد في القبر على ترابه الذي خرج منه إن أمكن ويكره تسنيمه[2] ورفعه أكثر من شبر لما أخرجه البيهقي من حديث جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ رش على قبر ابنه إبراهيم ووضع عليه حصى ورفعه شبراً .

ويدفن الميت في أي موضع من أملاكه ، والدفن في المقبرة أفضل وذلك لأن النبي ﷺ كان يدفن الموتى بالبقيع[3] ولايدفن في قبر أكثر من اثنين إلا للضرورة . قال هشام بن عروة رضي الله عنه جاءت الأنصار إلى رسول الله ص يوم أحد فقالوا : أصابنا جهد وقرح فكيف تأمرنا ؟ قال : « احفروا وأعمقوا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر » قيل : فأيهم يقدم ؟ قال : « أكثرهم قرآنا » .

ولايكره دفن ليلا عند جمهور الفقهاء إلا إذا خيف على الميت من التقصير بحق من حقوقه . وإذا دفن ميت لم يجز حفر قبره لدفن آخر إلا أن يمضي على الميت زمان يبلي في مثله ، ولم يبق منه شيء فيجوز حفره بعد ذلك بالإتفاق[4] .

---

(١) انظر : الفقه البسيط للبيحاني ص ٥٧ .

(٢) التسطيح عند الشافعي ، أفضل من التسنيم ، وعند الثلاثة عكس ذلك .

(٣) رواه أصحاب السنن بسند صحيح ١ / ٣٧١ .

(٤) انظر رحمة الأمة ص ٩١ .

الأمور التي نهى عنها الإسلام بالنسبة للقبور

ولايبنى عليه ولايجصص ويحرم ذلك في الأرض المسبلة والموقوفة وظاهر الحديث يشمل الكل لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ، وعن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه رواه الخمسة إلا البخاري ولفظ الترمذي نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ وقال ﷺ « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » . رواه مسلم وروى أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه وحسنه الترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، قال ابن حجر في الزواجر : وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة قال : ويجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره[١] أما وضع علامة على القبر ليعرف بها فجائز لما روي عنه ﷺ أنه حمل صخرة فوضعها عند رأس عثمان بن مظعون وقال « أتعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي » ، [كما في سنن أبي داود][٢] .

ولايكره دخول المقبرة بالنعال عند الأئمة الثلاثة ، وقال أحمد بكراهته[٣] .

* * *

(١) انظر ك فقه السنة ٥٥٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر : رحمة الأمة ص ٩١ .

الأذان للميت على القبر عند دفنه غير مشروع

هذا ومن البدع المحدثة الأذان فوق القبر حيث لم يرد بمشروعية حديث صحيح ولا حسن[١] ، أما التلقين فاختلفت فيه وجهات نظر أهل العلم فمنهم من استحبه رغم ضعف روايات أحاديثه منهم الشافعي رحمه الله كما في فقه السنة وكرهه البعض الآخر كالمالكية وبعض الحنابلة . وقال الإمام الصنعاني رحمه الله ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة ولايغتر بكثرة من يفعله، وصفته كما في بعض الروايات أن يقال للميت عند قبره : يافلان قل لا إله إلا الله أشهد ألا إله إلا الله ثلاث مرات يافلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ [٢] .

* * *

(١) حقيقة الأذان شرع أصلاً للأعلام بدخول وقت الصلاة المفروضة وما سوى ذلك فقد اختلفت فيه وجهات نظر أهل العلم لأختلاف الأدلة نفيا وإثباتا وقوة وضعفا فبعضهم يرى استحباب الأذان لغير الصلاة تبركا واستاناسا وممن توسع في ذلك كما قيل فقهاء الشافعية فزادوا على الأذان للمولود عند ولادته التي ورد بها حديث أبي رافع رضي الله عنه قال رأيت النبي ﷺ أذن بالصلاة في أذن الحسن ابن علي حين ولدته أمه فاطمه رواه أبو داود والترمذي وصححه وهناك أموراً كثيرة منها الأذان عند الضلال في السفر وللمصروع ووقت الحريق وعند ، تفول الغيلان وعند إنزال الميت القبر قياساً على أول خروجه إلى الدنيا وأما الحنابلة فذكروا مسألة الأذان في إذن المولود فقط ونقل عن الحنفيه ما ذكره الشافعية ولم يستبعدوه أما الامام مالك فكره هذه الأمور واعتبرها بدعه ملخصا من الموسوعه الفقهيه الكويتية ٢ / ٣٧٢ وبهذا تعرف أن الراجح من الأقوال ما اثبت به الدليل والبرهان والله أعلم ورحم الله من قال:

أذان الناس حين الطفل يأتي ... وتأخير الصلاة إلى الوفاة
دليل أن عمر المرء فيها ... كما بين الأذان إلى الصلاة

(٢) انظر فقه السنة ١ /٥٤٧ .

ماذا ينبغي أن يفعله المشيعون للجنازة

ويستحب لمن حضر الدفن أن يستغفر للميت وأن يسأل الله له التثبيت في المسألة فعن عثمان رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » . [رواه أبو داود والبزار والحاكم وصححه] .

ويستحب لمن حضر الدفن أن يحثو بيديه ثلاث حثيات على القبر من جهة رأس الميت ، لفعل النبي ﷺ ذلك ، رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح[1] .

وكان بعض السلف يقول : اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير منزول به فاغفر له ووسع مدخله ، [رواه ابن ماجه بسند حسن][2] واستحب ابن عمر قراءة أول سورة البقرة وخاتمتها على القبر بعد الدفن ، [رواه البيهقي بسند حسن][3] .

* * *

(١) انظر : الدراري المضيئة ١ / ٥٤ .

(٢) انظر : منهاج المسلم ٢٨٠ وفقه السنة ٥٤٦ ، والتاج ٣٧٨ .

(٣) انظر : فقه السنة ٥٤٧ .

الإسلام يحرم نبش الميت لغير ضرورة

اتفق العلماء على أن الموضع الذي يدفن المسلم فيه وقف عليه ما بقي شيء منه من لحم أو عظم ، فإن بقي شيء منه فالحرمة باقية لجميعه .

ولا ينبش القبر إلا لغسل الميت إذا لم يتغير ولتوجيهه إلى القبلة وللمال إذا دفن معه وللمرأة التي في بطنها جنين وأمكنت حياته والمدفون في بقعة مغصوبة والمكفن بثوب مغصوب والمسلم في مقبرة الكفار وبالعكس .

ومن دفن من غير أن يصلى عليه ، وقد أهيل عليه التراب ، حرم نبش قبره وإخراجه منه عند الأحناف والشافعية ، ورواية عن أحمد ، وصلي عليه وهو في القبر(١) .

* * *

(١) انظر : الفقه البسيط ٥٧ وفقه السنة ١ / ٥٥٩ .

إذا ماتت المرأة الكتابية وهي حامل من مسلم تدفن وحدها

وروى البيهقي عن واثلة بن الأسقع أنه دفن امرأة نصرانية في بطنها ولد مسلم في مقبرة ليست بمقبرة النصارى ولا المسلمين واختار هذا الإمام أحمد لأنها كافرة لاتدفن في مقبرة المسلمين فيتأذوا بعذابها ولا في مقبرة الكفار لأن ولدها مسلم فيتأذي بعذابهم .

* * *

هل يجوز نقل الميت من بلد إلى آخر

يحرم عند الشافعية نقل الميت من بلد إلى بلد إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس وذلك لشرفها وفضلها ولو أوصى بنقله إلى غير هذه الأماكن الفاضلة لاتنفذ وصيته لما في ذلك من تأخير دفنه وتعرضه للتغيير بينما أجاز المالكية نقل الميت من مكان لآخر قبل الدفن وبعده لمصلحة الميت كأن يخاف عليه أن يغرقه البحر أو يأكله السبع ونحو ذلك أو لمصلحة أهله كزيارة أهله له أو لدفنه بينهم ونحو ذلك فالنقل حينئذ جائز في نظرهم مالم تنتهك حرمة الميت بانفجاره أو تغيره أو كسر عظمه . وقال أحمد ماأعلم بنقل الرجل يموت في بلده إلى بلد آخر بأساً ، وسئل الزهري عن ذلك فقال قد حمل سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد من العقيق إلى المدنية ، أما شهداء المعركة ففي حديث جابر أن النبي ﷺ قال : «ادفنوا القتلى في مصارعهم» . رواه أصحاب السنن وصححه الألباني .

* * *

ينقسم الشهداء إلى ثلاثة أقسام

قال الإمام النووي رحمه الله كما في شرح صحيح مسلم : إعلم أن الشهيد ثلاثة أقسام : أحدهما : المقتول في حرب الكفار بسبب من أسباب القتال ، فهذا له حكم الشهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا ، وهو أنه لا يغسل ولا يصلى عليه ، وهو أعلى الشهداء وأعظمهم .

والثاني : شهيد في السواب دون أحكام الدنيا وهو المبطون والمطعون وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله ، وغيره ممن جاءت الأحاديث الصحيحة بتسميته شهيداً فهذا يغسل ويصلى عليه وله في الآخرة ثواب الشهداء ولايلزم أن يكون مثل ثواب الأول .

والثالث : من غل في الغنيمة وشبهه ممن وردت الآثار بنفي تسمتيه شهيداً إذا قتل في حرب الكفار ، فهذا له حكم الشهداء في الدنيا ، فلا يغسل ولايصلي عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرة . أ هـ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله . رواه مالك والشيخان، وعن جابر ابن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الشهادة سبع ، سوى القتل في سبيل الله المقتول في سبيل الله شهيد ، والمطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع[1] شهيدة . [رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الألباني وأخرج الطبراني في الكبير بسند صححه الألباني] ، أيضاً «من صرع عن دابته فهو شهيد» ويحل محل الدابة وسائل النقل الحديثة . والله أعلم .

(١) بضم الجيم وقد تكسراي تموت وفي بطنها جنينها أو من الولادة .

الميت في البحر ماذا يفعل به ؟

قال في المغني : إذا مات في سفينة في البحر فقال أحمد رحمه الله ينتظر به إن كانوا يرجون أن يجدوا له موضعاً يدفنونه فيه حبسوه يوماً أو يومين ما لم يخافوا عليه الفساد فإن لم يجدوا غسل وكفن وحنط ويصلى عليه ويثقل بشيء ويلقى في الماء وهذا قول عطاء والحسن . قال الحسين يترك في زنبيل ويلقي في البحر . وقال الشافعي يربط بين لوحين ليحمله البحر إلى الساحل فربما وقع إلى قوم يدفنونه وإن ألقوه في البحر لم يأثموا والأول أولى لأنه يحصل به الستر المقصود من دفنه .

هذا وأما دليل دفن أكثر من واحد في القبر للضرورة والحاجة الملحة فلما رواه أحمد والترمذي وصححه أن الأنصار جاؤوا إلى النبي ﷺ يوم أحد فقالوا : يارسول الله أصابنا جرح وجهد فكيف تأمرنا فقال : « أحفروا وأوسعوا وأعمقوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر قالوا فأيهم نقدم قال أكثرهم قرآناً » وروى عبد الرزاق بسند حسن عن واثلة بن الأسقع أنه كان يدفن الرجل والمرأة في القبر الواحد فيقدم الرجل وتجعل المرأة وراءه[1] .

* * *

(١) انظر ك فقه السنة ٥٥٦ .

الغرض من زيارة القبور على الوجه الصحيح

وتندب زيارة القبور للرجال في أي يوم من الأيام للعظة والاعتبار بجلال الموت وأهوال القيامة فيرق القلب وتدمع العين وتتدارك النفس مافات وتزهد في الدنيا وترغب في الآخرة كما أن الموتى ينتفعون بالدعاء والاستغفار لهم والسلام والترحم عليهم من الزائرين والإستئناس بهم وسؤال العافية من عذاب الله لهم ولذلك قال ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » [رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن] ، هذا ولايخفى أن النهي عن الزيارة كان ابتداءً لقرب عهدهم بالجاهلية وفي الوقت الذي لم يكونوا يتورعون فيه عن هجر الكلام وفحشه فلما تمكن الإيمان من قلوبهم واطمأن الرسول ﷺ إلى صحة إسلامهم أذن لهم بزيارتهم وكما تندب زيارتها للرجال فلا بأس بها للنساء للمعاني السابقة وبشرط أمن الفتنة منهن وعدم اشتمال الزيارة على محرم من ندب ونياحة وتبرج واختلاط ورفع أصوات مما هو مظنة الفتنة وفي قول عائشة رضي الله عنها كيف أقول لهم يارسول الله قال « قولي السلام على أهل الديار » الخ وزيارتها قبر أخيها عبد الرحمن فلما اعترضها عبد الله قالت : نهى رسول الله عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها . [رواه أحمد وابن ماجه][1] ، مايدل على الجواز والله أعلم .

* * *

---

(١) انظر : التاج ٣٨٢ .

صفة الزيارة الشرعية والتشديد بما أحدث فيها

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « أتاني جبريل فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون وفي رواية السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية » . [رواهما مسلم] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام عليكم ياأهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر رواه الترمذي بسند حسن[1] ، وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يرجع من ضيعته فيمر بقبور الشهداء فيقول السلام عليكم وإنا بكم لاحقون ثم يقول لأصحابة ألا تسلمون عل الشهداء فيردون عليكم وله عن ابن عمر أنه كان لايمر بليل ولا نهار بقبر إلا سلم عليه وله عن أبي هريرة قال إذا مررت بالقبور كنت تعرفهم فقل السلام عليكم أصحاب القبور وإذا مررت بالقبور الذين لا تعرفهم فقل السلام على المسلمين وله عن الحسن قال من دخل المقابر فقال اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحاً من عندك وسلاماً مني أستغفر الله لكل مؤمن مات منذ خلق الله آدم . وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ : كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن

(١) انظر : المصدر نفسه .

هذا : والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة ، مستقبلاً بوجهه الميت ، وأن يسلم ولا يمسح القبر ، ولا يسمه ، ولايقبله ، . فإن ذلك من عادة النصاري .

قال نافع : كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول : السلام على النبي ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي ، وينصرف .

وقال سليمان بن سحيم : رأيت رسول الله ﷺ في النوم ، فقلت : يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال : « نعم وأرد عليهم » . انظر : إحياء علوم الدين ٤ / ٤٩١ .

تقوم الساعة حسنات[1] . ولابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال : من دخل المقابر واستغفر لأهل القبور وترحم على الأموات فكأنما شهد جنائزهم والصلاة عليهم . وله عن ابن عمر أنه كان إذا شهد جنازة مر على أهله في المقابر فدعا لهم واستغفر . وقال شيخنا البيحاني رحمه الله ومن البدع المنكرة توقيت الزيارة بيوم من السنة وما يفعله العامة وبعض الخاصة من الزيارة من تقبيل القبور والتمسح بها والسجود عليها وإيقاد السرج واختلاط الرجال بالنساء ومايكون في الأعياد المبتدعة ومواسم الزيارة الممقوتة من شرب الخمر ولعب القمار ومناكر أخرى يشترك في فعلها وإقامتها أدعياء العلم ويسكت عليها العلماء[2] ، ورحم الله من قال منددا بمثل هذه الأمور التي تكاد تخر لها الجبال هدا :

ثم اسمعوا يا أمة الإسلام	معنى حديث سيد الأنام
فعن أبي الهياج عن علي	يروى بإسناد عن النبي
في طمس تمثال خبيث ثم في	تسوية لكل قبر مشرف
وغير هذا من طريق آخر	يروى بإسناد قوي باهر
في لعن باني قبة أو مسجد	لأي قبر مطلقاً أو مشهد
وكل من قد أوقد السراجا	على القبور واحذر اللجاجا
وخص معه زائرات القبر	أبعد هذا هل ترى من عذر؟
مجوزاً لهذه الأمور	وفعلها أيضاً على القبور
وجعل أستار على القبور	كالصوف والديباج والحرير
كما ترى الأعلام والرايات	يخفقن في مقابر الأموات
فليت شعري من لهم أباحا	وصير الحظر لهم مباحا
وقد نهى عنه الرسول المصطفى	وقبحه من لعنه قد عرفا

---

(١) انظر : أحكام تمني الموت للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٢) انظر الفقه البسيط للبيحاني ٥٨ .

كم دنسـوا قـبـور أهل الله ... بما حكت عن قـبـحـه المناهي
وزعـمـوا تعظيـمـهم للأوليـاء ... بـه وأهـل الـلـه مـنـهـم أبـريـاء
لأن أهل الله من سـاروا على ... سـبـيل طه المصطفى خـيـر الملأ
بسـيـرة مـحـمـودة مـرضـيـة ... عليـهـم الرضـوان والتـحـيـة
قـد أحـسنوا فى شـرعـة الدين ... الأدب فـحـبـهم لله ديناً قـد وجب
ومن أحـبَّ أوليـاء الـلـه ... أجـلـهـم عـن هـذه المـنـاهـي
ولم يصـدق كـاذباً مـزوراً ... عليـهـم مـاليس مـرضـيـاً يرى
أو كـاسـبـاً رزقـاً من الزيارة ... لأنـهـا في سـوقـه تجـارة
ولا يبـالي بـالأمـور المنكرة ... وفـاعليـهـا عنده في المقـبـرة
ولـو يـرى هـذا الـولـي الـزوارا ... لانفض من فـسـادهم فـرارا
فكم حـوت من فـاسق وفـاجـر ... ومـارد غـاو خـبـيث مـاكـر
وجـمـعـت خـبـائث النسـاء ... يسلبن بين الجـمـع قلب الرائي
وكم وكم فـيـهـا من المناكـر ... كـشـرب خـمـر وقـمـار ظاهر
وضـرب عـود ثم رقص الأمـرد ... وقـبح فـعل حـول ذاك المشـهـد
وفي اخـتـلاط الجـمع عند القـبـر ... يـذوب منـه قـلـب كـل حـر
فنزهوا القـبـور من هذا السـفـه ... ولاتزوروها على هذي الصـفـة
ولا تزوروا قـبـر كل مـسلم ... بفـعـل شيء منكر مـحـرم
وإنما الزيـارة المرضـيـة ... مـابينتـهـا السنة السنيـة
من السـلام ودعـاء الزائر ... للمـؤمنين من ذوي المقـابر
وازداد فـيـهـا الزائر اعـتـبـارا ... بسـاكني الأجـداث حين زارا

وانما مضرة الإسلام ... ممن يغر الناس بالأوهام

كعاكف في مشهد المزور ... يغر أهل الجهل بالتزوير

يزخرف المقال زوراً وافترى ... ومثبتاً ما كان منها يرى

حتى يراه الناس ذا مقام ... قد فاق فضلاً سائر الأنام

فكم أحلوا من حرام ظاهر ... ولم يخافوا هول يوم آخر

كقولهم إن تراب القبر ... فيه الشفا من جميع الضر

فيأكل الزائر من ترابه ... ليشتفي المغرور من مصابه

فضاف أسقاماً إلى أسقامه ... وازداد آلاماً إلى آلامه

وحببوا مسح الوجوه بالخرق ... تبركاً لأجل قول مختلق

ثم الطواف واستلام المشهد ... بالفم تقبيلاً له وباليد

فإن أقاسوه على لثم الحجر ... فليس للقائس دين يعتبر

لأنما تقبيلها عبادة ... مرضية مشروعة مرادة

لكونها في ركن أسمى بيت ... لا حجراً من فوق قبر الميت

ألم تروا ياأمة الشهادة ... لدى الطواف لثمه عبادة

ونسبة البيت الذي منه الحجر ... لله لا لميت من البشر

وحببوا زيارة القبور ... بالشمع والأدهان والبخور

ولو سمعت الزائر المغرورا ... يدعو بصدق النية المقبورا

ياسيدي عجل لنا بغارة ... وجد على من جاء للزيارة

لازددت من دعائه تحسراً ... وذاب قلب المتقي مما يرى

فما لكم ياعلماء الدين ... وخلفاء المصطفي الأمين

لاتـنـكـرون هـذه المـنـاكــــــرا   فــقـــد فــشت ظاهرة بين الورى
فـــبـــينوا الزيارة المشـــروعـــة   وانهـــوا عن الزيارة الممنوعـــة[1]

* * *

(١) انظر هداية المريد للعبادي رحمه الله ص ٤٧ – ٥٤ .

أقسام الزيارة

ثم الزيارة على أقســــام ثلاثة يا أمــــة الإســــلام

فـإن نوى الزائر فـيـمـا أضـمـره في نفـسـه تذكـرة بالآخـرة

ثم الدعـــاء له وللأمــوات بالعـفـو والصـفح من الزلات

ولم يكن شـد الرحـال نحـوها ولم يقل هجراً كـقـول السـفـهـا

فـتلك سنة أتت صـريحـة في السنن المثبـتـة الصـحيـحـة

أو قـصـد الدعـاء والتـوسـلا بـهـم إلى الرحـمـن جل وعـلا

فـبـدعـة مـحـدثة ضـلالة بعـيـدة عن هدي ذي الرسـالة

وإن دعـا المقـبـور نفـسـه فـقـد أشـرك بالله العظيم وجـحـد

لن يقـبـل الله تعـالى منه صـرفـاً ولا عـدلاً فـيـعـفـو عنه

إذ كل ذنب مـوشك الغـفـران إلا اتخـاذ الند للرحـمـن[1]

قال ابن القيم رحمه الله كان النبي ﷺ إذا زار القبور يزورها للدعاء لأهلها والترحم عليهم والاستغفار لهم فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه بعكس هديه ﷺ فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميت وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت ، وهم ثلاثة أقسام إما أن يدعوا للميت أو يدعوا به أو عنده ويرون الدعاء عنده أولى من الدعاء في المساجد ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين[2].

---

(١) انظر سلّم الوصول لحافظ بن أحمد الحكمي ٨ .

(٢) انظر فقه السنة ٥١٦ .

هل يجوز البكاء على الميت ؟

هذا ولابأس بالبكاء على الميت وذكر محاسنه ويحرم النوح واللطم ونفش الشعر وشق الجيب وذكره بما ليس فيه[1] اشتكى سعد بن عبادة شكوى له أي مرض فأتى رسول الله يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية فقال أقد قضى قالوا لايارسول الله فبكي رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاءه بكوا فقال ألا تسمعون إن الله لايعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا ويرحم ، رواه الشيخان ، قوله بهذا أشار إلى لسانه فبه العذاب إن ناح أو صاح مثلاً وبه الرحمة إذا قال حقاً واسترجع بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون[2] . وعن أنس رضي الله عنه قال مر بجنازة فأثنى عليها خيراً فقال النبي ﷺ وجبت وجبت وجبت فقال عمر فدي لك أبي وأمي ماوجبت فقال رسول الله ﷺ من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض . رواه الخمسة ولفظ النسائي الملائكة شهداء الله في السماء وأنتم شهداء الله في الأرض[3] .

* * *

(١) انظر الفقه البسيط ٥٨ .

(٢) انظر التاج ٣٤٦ .

(٣) انظر التاج ٣٦٦ .

التعزية وحكمها

معناها التصبر ، والعزاء الصبر وعزاه صبره بأي كلام كقوله مثلاً أعظم الله أجرك وصبرك الله وأحسن عزاءك وغفر لميتك وأخلفك خيراً منه إن كان له خلف كزوج وولد بخلاف الأب ونحوه وأحسن ما ورد في ألفاظها بعد القرآن الكريم ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه قال أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قبض فأتنا فأرسل يقرىء السلام ويقول إن لله ماأخذ وله ماأعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب ، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع كأنها شن ففاضت عيناه فقال سعد يارسول الله ماهذا فقال هذه رحمة الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، [رواه الخمسة إلا الترمذي] .

وعن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي » . رواه الإمام مالك ، وللشافعي لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله ثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب ، ولأحمد وابن ماجه مامن مسلم ولامسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدم عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدد الله تبارك وتعالى له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب[1] هذا وقد قال تعالى : ﴿ **وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾[2] .

وكتب بعض السلف يعزي أحداً بوفاة ولده قال : من فلان إلى فلان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لاإله إلا هو أما بعد فأعظم الله لك الأجر وألهمك

---

(١) انظر التاج ٣٧٩ ملخص بتصرف.

(٢) البقرة ١٥٥ – ١٥٧ .

الصبر ورزقنا وإياك الشكر فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كبير الصلاة والرحمة والهدي إن احتسبته فاصبر ولا يحبط جزعك فتندم واعلم أن الجزع لايرد ميتاً ولايدفع حزناً(١) .

هذا ويروى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه عزى صديقاً له في ولده فقال :

إني أعـــزيك لا إني على ثقـــة مـن الخلـود ولـكـن سـنـة الـديـن
فـمـا المعــزى ببـاق بعـد مـيـتـه ولا المعــزي ولو عــاش إلى حين(٢)

وقال العلماء فإن عزى مسلماً بمسلم قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ، وإن عزي كافراً بمسلم قال أحسن الله عزاءك وغفر لميتك وإن عزى كافراً بكافر قال أخلف الله عليك ، وأما جواب التعزية فيؤمن المعزى ويقول للمعزي آجرك الله ، وعند أحمد إن شاء صافح المعزي وإن شاء لم يصافح وإذا رأى الرجل شق ثوبه على المصيبة عزاه ولا يترك حقاً لباطل وإن نهاه فحسن(٣) ، هذا وفي الحديث الشريف « مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة » [رواه ابن ماجه والبيهقي بإسناد حسن ويقال إنها لاتستحب إلا مرة واحدة] .

* * *

(١) انظر منهاج المسلم ٢٨٢ .

(٢) انظر التاج ٣٧٩ .

(٣) انظر فقه السنة ٥٦٣ .

متى يكون وقت التعزية[1]

ووقت التعزية من حين الموت إلى ثلاثة أيام إلا أنها بعد الدفن أفضل لأن أهل الميت قبل الدفن يكونون مشغولين بالتجهيز والتكفين ثم إن وحشتهم بعد الدفن أكثر وتكره بعد تلك المدة إلا إذا كان المعزي أو المعزى غائباً فإنها لا تكون حينئذ مكروهة ، وقد كان الناس في زمن الرسول ﷺ وفي زمن أصحابه والسلف الصالح ينصرفون بعد دفن الميت إلى مصالحهم ، ويعزى أهل الميت حين المقابلة في الأيام الثلاثة الأولى ولم يثبت أنهم جلسوا في مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم كما في زماننا هذا قال أهل العلم يستحب صنع الطعام لأهل الميت ويقوم بذلك الأقارب والجيران يوم الوفاة لقوله ﷺ : «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم ما يشغلهم» . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني] ، أما أن يصنع أهل الميت أنفسهم الطعام لغيرهم فهذا مكروه لاينبغي لما فيه من مضاعفة المصيبة عليهم وإن حضر من تجب ضيافته كغريب مثلاً استحب أن يقوم الجيران والأقارب بضيافته بدلاً عن أهل الميت[2] وقال العلامة الإمام ابن حجر رحمه الله : وماعتيد من جعل أهل الميت طعاماً ليدعو الناس إليه بدعة مكروهة كإجابتهم لذلك لما صح عن جرير رضي الله عنه ،كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة رواه أحمد وابن ماجه ورجال اسناده ثقات ، قال ووجه عده من النياحة مافيه من شدة الاهتمام بأمر الحزن ومن ثم كره اجتماع أهل الميت ليقصدوا بالعزاء بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم[3] ، ومن هنا نعلم أن إقامة المآتم وحفلات التأبين والإحداد على الميت غير الزوج أكثر من ثلاثة أيام من البدع المنهي عنها والنفقات الزائدة على مؤن التجهيز كلها على القيم

---

(١) قال في « رحمة الأمة » واتفقوا على استحباب التعزية ، واختلفوا في وقتها فقال أبو حنيفة : هي سنة قبل الدفن لابعده ، وقال الشافعي وأحمد : تسن قبله وبعده ثلاثة أيام .

(٢) انظر منهاج المسلم ص ٢٨٣ ، وصحيح الجامع الصغير ١ / ٢ / ٣٣٩ .

(٣) انظر إعانة الطالبين ١ / ١٤٦ .

والوصي وليسى على اليتيم من ذلك شيء[١] .

وفي حاشية العلامة الجمل على شرح المنهج : ومن البدع المنكرة المكروه فعلها مايفعله الناس من الوحشة والجمع والأربعين بل كل ذلك حرام إن كان من مال محجور أو من ميت عليه دين أو يترتب عليه ضرر أو نحوذلك ، وقال مفتي الشافعية في عصره العلامة أحمد زيني دحلان رحمه الله : ولاشك أن منع الناس من هذه البدعة المنكرة فيه إحياء للسنة وإماتة للبدعة وفتح لكثير من أبواب الخير وغلق لكثير من أبواب الشر ، فإن الناس يتكلفون تكلفاً كثيراً يؤدي إلى أن يكون ذلك الصنع محرماً والله سبحانه وتعالى أعلم . وفي فقه السنة للسيد سابق قال : وما يفعله بعض الناس اليوم من الاجتماع للتعزية وإقامة السرادقات وفرش البسط وصرف الأموال الطائلة من أجل المباهاة والمفاخرة من الأمور المحدثة والبدع المنكرة التي يجب على المسلمين اجتنابها ويحرم عليهم فعلها لا سيما وأنه يقع فيها كثير مما خالف هدي الكتاب ويناقض تعاليم السنة ويسير وفق عادات الجاهلية كالتغني بالقرآن وعدم التزام آداب التلاوة وترك الإنصات والتشاغل عنه بشرب الدخان وغيره ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه عند كثير من ذوي الأهواء فلم يكتفوا بالأيام بل جعلوا يوم الأربعين يوم تجدد لهذه المنكرات وإعادة لهذه البدع وجعلوا ذكرى أولى بمناسبة مرور عام على الوفاة وذكرى ثانية وهكذا مما لا يتفق مع عقل ولا نقل . أ هـ[٢] فنصيحتى لكبار الورثة وللأوصياء أن يخافوا الله فيما تركه الميت من أموال وما خلفه من ثروة بأن يراعوا فيه حق الورثة الصغار ومن لا رشد عنده واليتامى الذين لاحول لهم ولا قوة فلا يبددوا أموالهم في مثل حفلات المآتم الآثمة التي غالباً ماتتجلى فيها المظاهر الخادعة الكاذبة واتباع العادة كما قد يخالطها الرياء والسمعة والمباهاة والافتخار ، وحتى لايكونوا من الذين قال الله فيهم : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾[٣] وقال

---

(١) انظر الفقه البسيط ص ٥٨ .

(٢) انظر فقه السنة ٥٦٤ .

(٣) النساء ١٠ .

وقال رسول الله ﷺ : «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » . رواه البخاري في صحيحه من حديث خولة .

* * *

كراهية الذبح عند القبر وفضل الصدقة عن الميت

نهى الشارع عن الذبح عند القبر تجنباً لما كانت تفعله الجاهلية وبعداً عن التفاخر والمباهاة فقد روي عنه ﷺ فيما أخرجه أبو داود وصححه الألباني كما في صحيح الجامع : «لاعقر في الإسلام» قال الإمام عبد الرزاق : كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ، قال الخطابي رحمه الله : كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد يقولون : نجازيه على فعله لأنه كان يقعرها في حياته فيطعمها الأضياف فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير ، فيكون مطعماً بعد مماته كما كان مطعماً في حياتة .

فالذي يبدو والحالة هذه إن كانت هذه الذبيحة لاتفعل إلا تفادياً من ملامة الناس ، كأن يقال فلان مات ولم يذبح أحد بعده أو لم يتصدق بعده بشيء أو ذبحت من المال الذي لم تشمله وصية من الهالك وفي الورثة قصار فإن الذبيحة في مثل هذه الحالة تكون من المنهي عنه ، أما إذا قصد بها وجه الله وتوفرت فيها شروط صحة النفقة وكانت خالية من كل شبهة فلا حرج فيها بل من المرغب فيها . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ «إن أبي مات ولم يوص أفينفعه أن أتصدق عنه ؟ قال نعم» . [رواه أحمد ومسلم والنسائي] ، وفي الحلية لأبي نعيم عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن هاشم عن سفيان بن عيينة أنه قال : قال طاووس إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وذكر الحافظ ابن رجب في كتاب أهل القبور عن مجاهد قال الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لاتفارقه ، وقد تناول هذه المسألة الإمام السيوطي رحمه الله ونظمها بقوله :

يكرر السؤال للأنام ... فيما رووا في سبعة أيام

كذا رواه أحمد بن حنبل ... في الزهد عن طاووس الحبر العلي

وبعـــده أبو نعـــيم خـــرجـــه ... في حليـة فـيـا لهـا من درجـة

إسناده قـــد صح وهو مـــرسل ... وقـد يرى من جـهـة يتـصل

وحكمـه الرفع كـمـا قـد قـالوا ... إذ ليس للراوي به مـجـال

وفـيـه أن قـد كـانت الصـحـابة ... يرون إطعـامـاً له استـحـبابه

في طول تلك السـبـعـة الأيام ... مـعـونة في ذلك المقـام

ومـثل هذا جـاء عن مـجـاهد ... فـيـا له من عـاضـد وشـاهد(١)

هذا وإذا صحت الصدقة عن الميت كما قد عرفت بعد توفر شروطها فينبغي أن يجعلها ولي الميت في المنفوع لافيما لايسمن ولا يغني من جوع ، فقد تسرب الفساد إلى بعض الصدقات في هذا المجال ، وأصبح الأمر فيها بمقتضى التقليد والعادة لابدافع تحري الاتباع وصحة العبادة ، وبالغ في القضية الجهال والمتعصبون وعجز العلماء المنصفون وأصبحت الحالة هذه وكثير من أحوال المسلمين على حد قول القائل : الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ، فإلى الله المشتكى وإنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

(١) انظر : الإسلام وتقاليد الجاهلية للشيخ عبد الله آدم الألوري ص ٧٢ / ٧٣ ، وكتاب الحاوي للإمام السيوطي جـ ٢ ص ١٧٨ ، ١٨٥ .

القبر في حد ذاته موعظة بليغة فهل من مدكر !!

ماهو القبر ؟

القبر هو تلك الحفرة الضيقة ، لا صديق فيه ولاأنيس ، ولاسمير فيه ولاجليس ، اللهم إلا عمل صالح قدمه الميت قبل وفاته ، فهو أنيسه في قبره ، ومزيل وحشته في رمسه .

القبر هو ذلك المكان الذي يضم بين جوانبه الجثث الهامدة ، التي لا حراك بها ولانبض في عروقها ، والأجسام البالية ، والعظام النخرة ، والأشلاء المبعثرة ، والشعور المتناثرة ، والأوصال المتقطعة ، وهو في حقيقته إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، قال الشاعر :

رب لحد قد صار لحداً مراراً	ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين	في طويل الأزمان والآباد
خفف الوطء ما أظن أديم الأر	ض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد	هوان الآباء والأجداد
سر إن استطعت في الهواء رويداً	لااختيالاً على رفات العباد

القبر معول هدم الرؤوس والأبدان ، وبيت الهوام والديدان ، القبر موطن العظماء والحقراء ، والأغنياء والفقراء ، والحكماء والسفهاء ، والسعداء والأشقياء ، القبر هو محكمة السؤال والاختبار والاضطراب والأهوال ، وفيه يكون التوفيق أو الخذلان

قال بعضهم / إني سألت القبر مافعلت	بعدي وجوه فيك منعفرة
فأجابني / صيرت روائحهم توذيك	بعد روائح عطرة
وأكلت أجساداً منعمة	كان النعيم يهزها نضرة
لم أبق غير جماجم عريت	بيض تلوح وأعظم نخرة

القبر يمثل من حيث توسطه بين الدنيا والآخرة فترة الانتظار لاستكمال جمع الناس فيه إلى قيام الساعة ولذلك فهو يعتبر من واقع اليوم كميناء البواخر أو صالة المطار الكل ينتظر تكامل جميع الركاب ومجيء موعد الرحلة للسفر إلى الدار الآخرة .

ورحمه الله من قال :

رأيت بني الدنيا كوفدين كلما ترحل وفد حل في إثره وفد

كل يحث السير عنها ونحوها فيمضي بذا نعش ويأتي بذا مهدُ

* * *

وقال غيره :

أرى الدنيا كخان في سبيل يمر عليه ابناء السبيل

فهذا نازل فيه مقيم وهذا قد تهيأ للرحيل

﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وله الحكم وإليه ترجعون ﴾

قال سفيان الثوري رحمه الله :

من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وأحسن من قال :

تز ودقر ينامن فعالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

فاءن كنت مشغولاً بشيء فلاتكن بغير الذي يرضى به الله تشغل

فلن يصحب الأنسان من بعد موته إلى قبره إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الأنسان ضيف لأهله يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

قال بعض الفضلاء إجعل قبرك خزانتك إحشوها من كل عمل يمكنك فاءذا وردت على قبرك سرك ماترى فيه .

وصدق الله القائل : **﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾**[١] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

المغالاة في بناء القبور وتشييدها سنة جاهلية

هذا ولقد تورط بعض المسلمين للأسف في البناء على القبور وتشييدها على مر العصور وقلد اللاحق فيها السابق ، وهي عادة وثنية موغلة في القدم ولا أدل على ذلك من قبور فراعنة مصر وكيف شيدوها بالأحجار الضخمة وأنفقوا الكثير من الأموال على بنائها وأحكموا أبوابها وسراديبها إحكاماً متيناً حتى لا يسطو اللصوص على تلك المقابر فيسلبوا كنوزها وما أودع فيها وما أهرامات الجيزة إلا مقابر لبعض ملوك الفراعنة ومدائن لهم كالملك خوفو وخفرع ومنقرع ، فلما جاء الإسلام أمر بتسويتها ونهى عن ارتفاعها ، فعن أبي الهياج رضي الله عنه قال : قال لي على بن أبي طالب ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولاقبراً مشرفاً إلا سويته . [رواه الخمسة إلا البخاري] ، ورحم الله من قال :

وكل قبر مشرف فقد أمر	بأن يسوى هكذا صح الخبر
وحذر الأمة عن إطرائه	فغرهم إبليس باستجرائه
فخالفوه جهرة وارتكبوا	ماقد نهى عنه ولم يجتنبوا
فانظر إليهم قد غلوا وزادوا	ورفعوا بناءها وشادوا
بالجص والأجر والأحجار	لاسيما في هذه الأعصار
فيا شديد الطول والإنعام	نشكو إليك محنة الإسلام

والنهي عن البناء على القبور لا يعني النهي عن تسويرها ، بل تسويرها وحمايتها من وصول أي أذي إلى رفات الموتى الموجودين فيها قد يكون واجباً إذ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب لاسيما في عصرنا هذا : الذي انتهكت فيه حرمة كثير من الموتى في قبورهم باعتداء بعض الناس عليها رغم أنهم إلى الله راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال يحي الغزال الشاعر الأندلسي في مقابر الأغنياء والفقراء لما شاهدها :

أرى أهل اليسار إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور[1]

أبوا إلا مباهاة وفخراً على الفقراء حتى في القبور

فإن يكن التفاضل في ذراها فإن العدل فيها في القعور

لعمر أبيهمو لو أبصروها لما عرفوا الغني من الفقير

ولا عرفوا العبيد من الموالي ولاعرفوا الإناث من الذكور

ولا من كان يلبس ثوب صوف من البدن المباشر للحرير

إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الكبير على الحقير ؟ !

* * *

(١) ومن لطائف ماروي أن بعض الصالحين نظر ذات ليلة إلى المقبرة ، فوجد القبور المرتفعة في بنائها ، فشبهها بالجمال الباركة عليها ، إذ قال :

جمال مناخات بأثقالها ناخت

فسمع هاتفاً يقول :

أنيخت لباقيها متى استكملت قامت

فسبحان الله القائل : ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد﴾ [آل عمران آية ٩] .

ماورد في وضع جريد النخل على القبر

وفي الصحيحين وغيرهما واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين يعذبان فقال : «إنهما ليعذبان ومايعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لايستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة ، فشقها بنصفين ، ثم غرز في كل قبر واحدة ، فقالوا : يارسول الله ! لم صنعت هذا ؟ فقال : لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا»[1] .

قال بعض العلماء رحمهم الله فإن الرطب يستغفر للميت مادام على قبره فينبغي وضع الأخضر على القبر ولاسيما الريحان وكذا الطيب رائحته وكذا الجريد بخوصه لطول مدته رطباً ، وأضاف بعضهم ولا يجوز للغير أخذه من على القبر قبل يبسه وبعض العلماء لم يستحب ذلك وقال لم ينقل عن أحد منهم أنه وضع جريداً ولا أزهاراً على قبر سوي بريدة الأسلمي فإنه أوصى أن يجعل في قبره جريدتان ، رواه البخاري ، قال الحافظ في الفتح : وكأن بريدة حمل الحديث على عمومه ولم يره خاصاً بذينك الرجلين .

هذا ووضع جريد النخل ومنه الريحان أو الزهور مثلاً لايعني غرس الأشجار التي تؤذي الميت بجذورها بل قال بعض العلماء بوجوب قطعها وذلك لأن كل مايؤذي الحي يؤذي الميت إذ للميت حرمة أكيدة لا يستهان بها ، وفي الحديث الشريف «إن كسر عظم الميت مثل كسره حياً» [أخرجه أبو داود وأحمد] ، وعن

---

(١) وجاء في بعض ألفاظ روايات الحديث : « فكان لايستبريء من بوله » ، ومن هنا أخذ بعض أهل العلم بوجوب الاستبراء ، وأن تركه من الكبائر ، وقال بعضهم بندبه ، وحمل الحديث ونحوه على من تيقن عدم انقطاع البول إلا بالتنحنح أو النتر مثلاً ونحوه والاستحباب لمن لم يكن كذلك .

هذا ولاشك أن وسيلة الاستبراء من بقايا البول تختلف من شخص لآخر ، فليحرص المسلم على الوسيلة التي يطمئن إليها قدر الإمكان دونما استسلام لوسوسة الشيطان ، والله المستعان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «أكثر عذاب القبر من البول » رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني .

عائشة[١] وفي رواية : « إن كسر عظم المسلم ميتاً ككسره حياً » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن ماجه وصححه الألباني وروى الطبراني والحاكم عن عمارة بن حزم قال رآني رسول الله ﷺ جالساً على قبر فقال « ياصاحب القبر انزل من على القبر لاتؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك »[٢] وقال ﷺ « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه وتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » [رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة] .

وفي رواية لأحمد من حديث عمرو بن حزم رضي الله عنه قال : راني رسول الله ﷺ وأنا متكيء على قبر ، فقال : « لاتؤذ صاحب القبر » . قال الحافظ في الفتح : إسناده صحيح ١ / ٢٢٤ .

هذا ، وأما وضع أكاليل الزهور على مايسمى بالنصب التذكاري للجندي المجهول لا على قبر المسلم نفسه ، فلا أرى إلا أنها بدعة جاهلية ، ومحاكاة للأمم الأجنبية ، . وفي الحديث الشريف : « من تشبه بقوم فيهو منهم » رواه أبو داود عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن حذيفة وصححه الألباني

بشرى سارة لكل مؤمن ومؤمنة

ولأبي نعيم عن أبي سعيد مرفوعاً « إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا : ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن بقبض عمله وقد قبضته إليك فأذن لنا أن نسكن السماء فقال سمائي مملؤة من ملائكتي يسبحوني ولكن قوما على قبر عبدي فسبحاني وهللاني وكبراني إلى يوم القيامة واكتباه لعبدي » وعن ابن مسعود أنه سئل عن الوطء على القبر فقال كما أكره أذى المؤمن في الحياة فإني أكره أذاه بعد موته ، أخرجه سعيد ولابن أبي شيبة عنه : أذى المؤمن بعد موته كأذاه في حياته

---

(١) صحيح الجامع ١ / ٢ / ٢٢٥ .

(٢) صحيح الجامع ٥ / ٦ / ٢٧٠ .

(فتاوى هامة وكلام العلماء حول التشريح)

أما ماجاء في الحديث ٤٧٦ من حرمة كسر عظم الميت فقد قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : الأصل أن بدن الإنسان محترم لايباح بالإباحة إلا عند تطبيق قاعدة « تعارض المصالح و المفاسد والمنافع والمضار » فإنه يباح لمن وقعت فيه الأقلية أن يقطع العضو المتآكل لسلامة الباقي ويجوز التمثيل في البدن كشق البطن ، للتمكن من علاج المرض .

فما كانت منافعه أكثر من مفاسدة فإن الله لايحرمه وقد نبه الله تعالى على هذا الأصل في عدة مواضع من كتابه ومنه قوله تعالى : **﴿ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾** .

ولهذه الحرمة الإنسانية للأموات أفتى رئيس الفتوى في المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بقوله : لا يجوز نبش القبور ولايجوز مرور الطريق عليها لأن هذا امتهان للأموات ومعلوم أن لهم حرمة . وهم قد سبقوا إلى هذا الموضع وصاروا إليه فالقبور منازلهم فلا يحل نبشهم من قبورهم إلا لغرض صحيح وهو ماكان من مصلحة الميت أو كف الأذى عنه ونحو ذلك أما إذا كان لمصلحة غيره من الأحياء أو الأموات فلا يجوز .

ومن احترام القبور وأهلها كراهة المشي فيها بالنعال لقول ﷺ « الق سبتيتيك » قال ابن القيم إكرام القبور عن وطئها بالنعال من محاسن الشريعة وقد أخبر ﷺ : « أن الجلوس على الجمر خير من الجلوس على القبر » والقبور هي دار الأموات ومنازلهم ومحل تزاورهم وعليها تنزل الرحمة من ربهم فهي منازل المرحومين ومهبط الرحمة . يلقى بعضهم بعضاً على أفنية قبورهم يتجالسون ويتزاورون كما تظافرت به الآثار هـ كلامه .

أما الحديث فهو نص في تحريم كسر عظم الميت لأنه شبهه بعظم الحي في الحرمة والاحترام وعدم التعرض له لأنه معصوم في حياته وبعد مماته فالموت لايهدر كرامة المعصوم أبداً بل كرامته باقية .

ولذا قال في الإقناع وشرحه : ويحرم قطع شيء من أطراف الميت وإتلاف ذاته لحديث : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحي » ولبقاء حرمته ولو أوصى به أى بما ذكر من القطع والإتلاف فلا نتبع وصيته لحق الله تعالى ولوليه أي الميت أن يحامي عنه أن يدفع من أراد قطع طرفه ونحوه بالأسهل فالأسهل .

قال محرره عفا الله عنه : فتوى الشيخ عبد الرحمن السعدي وقرار هيئة كبار العلماء موافق لقواعد الشريعة وأصولها وهو لايخالف ماقاله صاحب شرح الإقناع .

قرار رقم ٤٧ وتاريخ ٢٠ / ٨ / ١٣٩٦ هـ :-

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لانبي بعده محمد وعلى آله وصحبه وبعد : ففي الدورة التاسعة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في مدينة الطائف في شهر شعبان عام ١٣٩٦ هـ . جرى الإطلاع على خطاب معالي وزير العدل رقم ٣٢٣١ / ٢ خـ المبني على خطاب وكيل وزارة الخارجية رقم ٣٤ / ١ / ١٢ / ١٣٤٤٦ / ٣ وتاريخ ٦ / ٨ / ١٣٩٥ المشفوع به صورة مذكرة السفارة الماليزية بجدة المتضمنة استفسارها عن رأي وموقف المملكة السعودية من إجراء عملية جراحية طبية على ميت مسلم وذلك لأغراض مصالح الخدمات الطبية .

كما جرى استعراض البحث المقدم في ذلك من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وظهر أن الموضوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :-

أولا :- التشريح لغرض التحقق عن دعوى جنائية .

الثاني :- التشريح لغرض التحقق عن أمراض وبائية لتتخذ على ضوئه الاحتياطات الكفيلة بالوقاية منها .

الثالث :- التشريح للغرض العلمي تعلماً وتعليماً .

وبعد تداول الرأى والمناقشة ودراسة البحث المقدم من اللجنة المشار إليه أعلاه قرر المجلس مايلي :-

بالنسبة للقسمين الأول والثاني فإن المجلس يرى أن في إجازتهما تحقيقاً لمصالح كثيرة في مجالات الأمن والعدل ووقاية المجتمع من الأمراض الوبائية ومفسدة انتهاك

كرامة الجثة المشرحة مغمورة في جنب المصالح الكثيرة والعامة المتحققة بذلك وأن المجلس لهذا يقرر بالإجماع إجازة التشريح لهذين الغرضين سواء أكانت الجثة المشرحة جثة معصوم أم لا .

وأما بالنسبة للقسم الثالث وهو التشريح للغرض التعليمي فنظراً إلى أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بتحصيل المصالح وتكثيرها ، وبدرء المفاسد وتقليلها وبارتكاب أدنى الضررين لتفويت أشدهما وأنه إذا تعارضت المصالح أخذ بأرجحها وحيث أن تشريح غير الإنسان من الحيوانات لايغني عن تشريح الإنسان وحيث أن في التشريح مصالح كثيرة ظهرت في التقدم العلمي في مجالات الطب المختلفة فإن المجلس يرى جواز تشريح جثة الآدمي في الجملة إلا أنه نظراً إلى عناية الشريعة الإسلامية بكرامة المسلم ميتاً كعنايتها بكرامته حياً وذلك لما روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : كسر عظم الميت ككسره حياً . ونظراً إلى أن التشريح فيه امتهان لكرامته ، وحيث أن الضرورة في ذلك منتفية بتيسر الحصول على جثث أموات غير معصومين فإن المجلس يرى الاكتفاء بتشريح مثل هذه الجثث وعدم التعرض لجثث أموات معصومين والحال ماذكر . والله الموفق وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هيئة كبار العلماء

ثم جاء في قرار المجلس رقم ٩٩ وتاريخ ٦ / ١١ / ١٤٠٢ هـ مايلي وبعد المناقشة وتداول الآراء قرر المجلس بالإجماع جواز نقل عضو أو جزئه من إنسان حي مسلم أو ذمي إلى نفسه إذا دعت الحاجة إليها وأمن الخطر في نزعه وغلب على الظن نجاح زرعه كما قرر بالأكثرية مايلي :

١- جواز نقل عضو أو جزئه من إنسان ميت إلى مسلم إذا اضطر إلى ذلك وأمنت الفتنة في نزعه ممن أخذ منه وغلب على الظن نجاح زرعه فيمن سيزرع فيه .

٢- جواز تبرع الإنسان الحي بنقل عضو منه أو جزئه إلى مسلم مضطر إلى ذلك وبالله التوفيق وصلى الله على محمد وآله وسلم .

هيئة كبار العلماء

وهذا قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

القرار الأول
بشأن موضوع (تشريح جثث الموتى)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :-

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م قد نظر في موضوع (تشريح جثث الموتى) وبعد مناقشته وتداول الرأي فيه أصدر القرار الآتي :-

بناء على الضرورات التي دعت إلى تشريح جثث الموتى والتي يصير بها التشريح مصلحة تربو على مفسدة انتهاك كرامة الإنسان الميت .

قرر مجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي مايأتي :-

أولاً : يجوز تشريح جثث الموتى لأحد الأغراض الآتية :-

أ- التحقيق في دعوى جنائية لمعرفة أسباب الموت أو الجريمة المرتكبة وذلك عندما يشكل على القاضي معرفة أسباب الوفاة ويتبين أن التشريح هو السبيل لمعرفة هذه الأسباب .

ب- التحقق من الأمراض التي تستدعي التشريح ليتخذ على ضوئه الاحتياطات الواقية والعلاجات المناسبة لتلك الأمراض .

جـ- تعليم الطب وتعلمه كما هو الحال في كليات الطب .

ثانياً : في التشريح لغرض التعليم تراعى القيود التالية -

أ- إذا كانت الجثة لشخص معلوم يشترط أن يكون قد أذن هو قبل موته بتشريح جثته أو أن يأذن بذلك ورثته بعد موته ولاينبغي تشريح جثة معصوم الدم إلا عند الضرورة .

ب- يجب أن يقتصر في التشريح على قدر الضرورة كيلا يعبث بجثث الموتى .

جـ- جثث النساء لايجوز أن يتولى تشريحها غير الطبيبات إلا إذا لم يوجدن .

ثالثاً : يجب في جميع الأحوال دفن جميع أجزاء الجثة المشرحة :-

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين[١] .

***

(١) انظر توضيح الأحكام للشيخ البسام .

نموذج من الزاد الروحي النافع للإنسان في قبره ويوم لقاء ربه

عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً وكنا في صفة المدينة فقام علينا فقال : «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه[1] ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشا وفي رواية يلهث عطشاً كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي ، ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها[2] فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار وظللت على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلاً من أمتي ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه[3] فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ،

---

(١) وفي رواية فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم .

(٢) وفي رواية يتقي وهج النار وشروها بيده عن وجهه .

(٣) وفي رواية قد خف ميزانه فجائته أفراطه فثقلوا ميزانه .

ورأيت رجلا من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه[1] رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته على قدميه وأنقذته ، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة ألا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

[رواه الحافظ أبو موسى المديني وبني كتابه عليه ، وأخرجه الطبراني أيضاً ، وهذا الحديث حديث عظيم جليل شريف كان أبو العباس بن تيمية قدس الله روحه يعظم شأنه ويقول : شواهد الصحة عليه][2] .

هذا وقد اشتمل الحديث على سبع عشرة طاعة وهي كما يلي :

١ - بر الوالدين :

ولعظيم حقهما قرن شكره تعالى بشكرهما في قوله سبحانه : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير** ﴾[3] .

٢- ذكر الله تعالى :

ولشرف رتبته وعلو منزلته قال تعالى : ﴿ **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾[4] .

٣- الصلاة :

ولعظيم منزلتها وسمو مكانتها قال تعالى : ﴿ **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا**

---

(١) وفي رواية فجائه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى .

(٢) انظر عقود اللؤلؤ والمرجان ١٤٥ .

(٣) لقمان ١٤ .

(٤) الأحزاب ٣٥ .

الصلاة ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾[3] .

٤- صوم :

شهر رمضان ولما في الصيام من فوائد جمة قال تعالى : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[4] كما ذكر سبحانه الهدف الأسمى من وراء الصيام فقال سبحانه : ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[5] . ولاشك أن التقوى هي التجارة الرابحة والسلاح الأقوى .

٥- الغسل من الجنابة :

ولاشك أنه المقياس الصحيح لمدى ماوصل إليه المسلم من أداء الأمانة والمحافظة عليها فضلاً عما في هذه الفريضة من فوائد صحية وتعبدية واجتماعية ولذلك قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[6] .

٦- الحج والعمرة :

وكم في الحج والعمرة من فوائد حسية ومعنوية ولذلك قال تعالى : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾[7] ، وقال : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾[8] .

---

(١) إبراهيم ٣٧ .

(٢) الروم ٣١ .

(٣) العنكبوت ٤٦ .

(٤) البقرة ١٨٤ .

(٥) البقرة ١٨٣ .

(٦) البقرة ٢٢٢ .

(٧) الحج ٢٨ .

(٨) البقرة ١٩٦ .

٧- الصدقة :

ولما لها من مكانة عند الله قال سبحانه : ﴿**إن الله يجزي المتصدقين**﴾[١] .

٨- صلة الرحم :

ولما في الصلة للأرحام من فوائد غالية ومكاسب ثمينة تنعكس بطبيعتها على الفرد والمجتمع قال تعالى : ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾[٢] وقال تعالى وفى وصف عبادة المؤمنين ﴿**وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر**﴾[٣] .

٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ولاشك أنه بمنزلة الماء والصابون لإزالة الأدران ونظافة الثياب والأبدان فكيف تكون الحالة إذا فقد الناس ذلك ولعظيم أهميته قال تعالى : ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون**﴾[٤] . وقال تعالى في وصف عباده المؤمنين : ﴿**وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾[٥] .

١٠- حسن الخلق :

وحسن الخلق من الإيمان ولعظيم منزلته بل وشدة أهميته في حياة الفرد والمجتمع أمرنا الله ببذله مع البار والفاجر والمؤمن الكافر قال تعالى : ﴿**وقولوا للناس حسناً**﴾[٦] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » [أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني] .

---

(١) يوسف آية ٨٨ .

(٢) محمد آية ٢٢ – ٢٣ .

(٣) سورة العصر الآية ٤ .

(٤) المائدة آية ٧٨ – ٧٩ .

(٥) العصر آية ٤ .

(٦) البقرة آية ٨٣ .

١١ - الخوف من الله :

ولما له عند الله من مكانة سامية ودرجة عالية إذ هو العلامة بين المؤمن والكافر والبار والفاجر قال تعالى : ﴿**وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾[١] وقال تعالى : ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾[٢] .

١٢ - الصبر على موت الأولاد:

لاشك أن الصبر بكامل أقسامه بمنزلة الرأس من الجسد ومن لا صبر له لاإيمان له ولذلك جعل الله جزاء الصابرين عظيماً فقال سبحانه : ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[٣] .

١٣ - الرجاء في الله :

والرجاء علامة بارزة للمؤمن كما أن اليأس من كرم الله والقنوط من رحمة الله سمة واضحة للكافر ولذلك قال تعالى : ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً**﴾[٤] .

١٤ - البكاء من خشية الله :

وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله : ﴿**إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً**﴾[٥] كما وصفهم بقوله : ﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**﴾[٦] وقال ﷺ : «لايلج النار رجل بكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم» [رواه الترمذي وقال

---

(١) آلة عمرن اية ١٧٥ .

(٢) الرحمن آية ٤٦ .

(٣) الزمر آية ١٠ .

(٤) الكهف اية ١١٠ .

(٥) مريم آية ٥٨ .

(٦) المائدة آية ٨٣ .

حديث حسن صحيح] .

١٥ - حسن الظن بالله :

وقد قيل خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وكان جزاء الذين أحسنوا الظن بالله قوله تعالى : ﴿**وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**﴾(١) وفي الآية دليل واضح على أن حسن الظن يستلزم إحسان العمل ، فكما عبر سبحانه عن حسن ظنهم بقوله : ﴿**ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**﴾ ربط الجزاء بإحسان العمل في قوله : ﴿**وذلك جزاء المحسنين**﴾ فمن أحسن الظن فليحسن العمل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

١٦ - الصلاة على رسول الله ﷺ :

وذلك لأنها قربة إلى الله ولعظيم فضلها أوجبها علينا في الصلاة وجوباً ، فمن قام بأداء الصلاة ولكنه لم يصل على النبي محمد ﷺ في التشهد الأخير عامداً متعمداً بطلت صلاته ولذلك قال تعالى : ﴿**يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾(٢) وقال رسول الله ﷺ : « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً » [رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما] .

١٧ - شهادة أن لا إله إلا الله :

وهي في الحقيقة كلمة التوحيد والعروة الوثقى وشهادة الحق قال تعالى : ﴿**إلا من شهد بالحق**﴾(٣) أي بلا إله إلا الله وهو يعلمون أي بقلوبهم معنى مانطقت به

---

(١) المائدة ٨٤ – ٨٥ .

(٢) الأحزاب ٥٦ .

(٣) الزخرف ٨٦ .

ألسنتهم ، إذ هي تشتمل على نفي وإثبات أو سلب وإيجاب فلا إله نفي لجميع الآلهة ، إلا الله إثبات الألوهية الحقة لله وحده .

قال تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لاإله إلا الله** ﴾[1] ومن أجل تحقيقها والقيام بمسؤوليتها خلق الله الخلق وأخذ عليهم الميثاق بمعرفته وأرسل الرسل وأنزل الكتب ، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وفي شأنها تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيها تكون السعادة والشقاوة وعلى حسبها تقسم الأنوار ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

من قالها معتقداً معناها ... وكان عاملاً بمقتضاها

في القول والفعل ومات مؤمنا ... يبعث يوم الحشر ناج آمنا

فإن معناها الذي عليه ... دلت يقينا وهدت إليه

أن ليس بالحق إلهاً يعبد ... إلا الإله الواحد المنفرد

بالخلق والرزق وبالتدبير ... جل عن الشريك والنظير[2]

وليس معناها كما قد زعما ... مجرد النطق بلفظها فما

إذ لو أريد اللفظ قط لسهل ... على قريش قولها وماثقل

حين دعاهم إليه المصطفى ... مع علمهم بالسبق منه والوفا

لكنهم قد علموا الإرادة ... بلفظها الإخلاص في العبادة

فأي خير فيك يامن يزعم ... بأنه موحد ومسلم

ومنه كفار قريش أعلم ... بكلمة الإخلاص حين اعلموا

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها[3]

---

(١) محمد ١٩ .

(٢) انظر سلم الوصول لحافظ بن أحمد الحكمي ص ٧ .

(٣) انظر ديوان ابن مشرف ص ١٦ .

العلم واليـــقين والقـــبـــول والانقـــيـــاد فـــادر مـــا أقـــول
والصـــدق والإخـــلاص والمحـــبـــة وفـــقك الله لما أحـــبـــه[1]

وروي عن النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله جئت أسألك عما يغنيني في الدنيا والآخرة قال له ﷺ « سل عما بدا لك ، قال أريد أن أكون أعلم الناس فقال ﷺ أتق الله تكن أعلم الناس قال : أريد أن أكون أغنى الناس قال له : كن قانعاً تكن أغنى الناس قال أحب أن أكون أعدل الناس فقال : أحب للناس ماتحب لنفسك تكن أعدل الناس قال أحب أن أكون خير الناس قال : كن نافعاً للناس تكن خير الناس قال أحب أن أكون أخص الناس إلى الله قال : أكثر ذكر الله تكن أخص الناس إلى الله قال أحب أن يكمل إيماني قال حسن خلقك يكمل إيمانك ، قال : أحب أن أكون من المحسنين قال ﷺ : اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك تكن من المحسنين قال أحب أن أكون من المطيعين قال ﷺ أد فرائض الله تكن من المطيعين قال أحب أن ألقى الله نقياً من الذنوب
قال ﷺ اغتسل من الجنابة متطهراً تلقي الله نقياً من الذنوب قال أحب أن أحشر يوم القيامة في النور قال ﷺ : لاتظلم نفسك ولاتظلم أحداً تحشر يوم القيامة في النور قال أحب أن يرحمني ربي يوم القيامة قال ﷺ : ارحم نفسك وارحم عباده يرحمك ربك يوم القيامة قال أحب أن تقل ذنوبي قال ﷺ أكثر من الاستغفار تقل ذنوبك ، قال أحب أن أكون أكرم الناس ، قال ﷺ لاتشتك من أمرك شيئاً إلى الخلق تكن أكرم الناس ، قال أحب أن أكون أقوى الناس ، قال توكل على الله تكن أقوى الناس ، قال أحب أن يوسع الله علي في الرزق ، قال ﷺ أدم على الطهارة يوسع الله عليك في الرزق ، قال أحب أن أكون من أحباب الله ورسوله ، قال ﷺ أحبب ما أحبه الله ورسوله تكن من أحبابهما ، قال أحب أن أكون آمنا من سخط الله تعالى يوم القيامة ، قال لاتغضب على أحد من خلق الله تكن آمنا من سخط الله تعالى يوم القيامة ، قال أحب أن تستجاب دعوتي ، قال ﷺ

(١) انظر سلم الوصول للحكمي .

اجتنب أكل الحرام تستجب دعوتك ، قال أحب ألا يفضحنى ربي يوم القيامة قال ﷺ احفظ فرجك من الزنا كي لايفضحك ربك يوم القيامة ، قال أحب أن يسترني ربي يوم القيامة ، قال ﷺ استر عيوب إخوانك يسترك الله يوم القيامة ، قال ما الذي ينجي من الذنوب أو قال من الخطايا ، قال ﷺ الدموع والخضوع والأمراض ، قال أي حسنة أعظم عند الله تعالى ، قال ﷺ حسن الخلق والتواضع والصبر على البلاء ، قال أي سيئة أعظم عند الله تعالى قال ﷺ سوء الخلق والشح المطاع ، قال ما الذي يسكن غضب الربْ في الدنيا والآخرة قال الصدقة الخفية وصلة الرحم ، قال ما الذي يطفيء نار جهنم يوم القيامة قال ﷺ الصبر في الدنيا على البلاء والمصائب» قال الإمام المستغفري مارأيت حديثاً أجمع وأشمل لمحاسن الدين وأنفع من هذا الحديث جمع فأوعى(١) .

هذا وقد اشتمل هذا الحديث على حوالي ست وعشرين خصلة :

١ - العلم :

ويكفي في فضله قوله تعالى : ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾(٢) .

٢- التقوى :

وهي كلمة جامعة لفعل الطاعات وترك المنهيات والله تعالى يقول : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾(٣) .

٣- القناعة :

هي العفة والاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغير ذلك وروي في الحديث : القناعة مال لاينفد . [أخرجه القضاعي والعسكري](٤) فمن رضي بما

(١) أشار صاحب رسالة الحق إلى أنه أخرجه أحمد في مسنده .

(٢) المجادلة آية ١١ .

(٣) الحجرات اية ١٣ .

(٤) انظر مختارات الأحاديث والحكم النبوية لعبد الوهاب عبد اللطيف ص ٢٨٩ .

أعطاه الله ولم يكد فيما منع منه فهو قنوع ، وفي الحديث الشريف « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » [رواه الشيخان] .

٤- حب الخير لغيرك مثلما تحبه لنفسك :

وفي الحديث : « وأحب للناس مثلما تحبه لنفسك تكن مسلماً » [رواه الترمذي وأحمد بإسناد حسن] .

٥- النفع للناس :

وقد قال تعالى : ﴿ **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[١] .

٦- ذكر الله :

ويكفي تنويها بفضله قوله تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾[٢] .

٧- حسن الخلق :

ويكفي في التنويه بفضله قوله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾[٣] .

٨- مراقبة الله في كل حال :

قال تعالى : ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير** ﴾[٤] .

٩- المحافظة على الفرائض الواجبة :

قال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾[٥] .

---

(١) الحج ٧٧ .

(٢) البقرة ١٥٢ .

(٣) الفرقان ٦٣ .

(٤) الملك ١٢ .

(٥) البقرة ٢٣٨ .

١٠- الاغتسال من الجنابة :

قال تعالى : ﴿ وإن كنتم جنباً فاطهروا ﴾[١] .

١١- الابتعاد عن الظلم :

قال تعالى : ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾[٢] .

١٢- التخلق بالرحمة :

والراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة .

١٣- فضل الاستغفار :

وقد قال تعالى : ﴿ **استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم** ﴾[٣] .

١٤- عدم الشكوى إلى الناس :

عدم الشكوى إلى الناس بما ينزل بالعبد على جهة التضجر والتسخط لقدر الله من قوة الإيمان .

١٥- التوكل على الله :

وذلك يكون بتفويض الأمور إليه سبحانه والاعتماد في كل الشؤون عليه قال تعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مومنين** ﴾[٤] .

١٦- الدوام على الطهارة :

وقبل أن نقوم بطهارة الظاهر من النجاسات الحسية نتحرى طهارة الباطن من النجاسات المعنوية وهي كثيرة وقل من يتنبه لها ويبتعد عن جميعها قال تعالى :

---

(١) المائدة ٦ .

(٢) طه ١١١ .

(٣) هود ٥٢ .

(٤) المائدة ٢٣ .

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1] .

١٧ - أن تحب مايحبه الله ورسوله :

وهذا شرط أساسي من شروط الإيمان وفي الحديث الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » [الحديث] .

١٨ - ترك الغضب :

ولايكون إلا بعدم تنفيذ آثاره إذ هو غريزة في النفس ومنه المذموم ومنه المحمود ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه يوم القيامة .

١٩ - اجتناب أكل الحرام :

ضمانة لإجابة الدعاء وقد ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام قال فأني يستجاب له يعني فكيف يستجاب له وهو بهذه الحالة ؟ نسأل الله العافية .

٢٠ - حفظ الفرج :

حفظ الفرج من الزنا ونحوه قال تعالى في وصف المفلحين من عباده : ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾[2] .

٢١ - سترعيب من وقع في هفوة :

لم يعتادها ولم يصبر عليها : تنصحه ولا تفضحه قال ﷺ : « من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة » .

٢٢ - الدموع والخضوع والأمراض :

في حق من يصبر عليها ويحتسبها عند الله : من وسائل مغفرة الذنوب ورفع الدرجات العلى في الآخرة قال تعالى : ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**

---

(١) البقرة ٢٢٢ .

(٢) المؤمنون ٥ .

ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾[2] .

٢٣- أعظم حسنة عند الله :

أعظم حنسة عند الله بعد التوحيد حسن الخلق والتواضع والصبر على البلاء ، وهذه الفقرة شبيهة بما قبلها إلا حسن الخلق وما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة مثل التقوى وحسن الخلق .

٢٤- أعظم سيئة عند الله :

أعظم سيئة عند الله بعد الشرك سوء الخلق والشح المطاع ، ولذلك قال تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[3] .

٢٥- الصدقة الخفية وصلة الرحم :

مما يسكن غضب الله في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾[4] .

٢٦- الصبر في الدنيا :

الصبر بأقسامه الثلاثة صبر على طاعة الله بالاستمرار فيها وصبر عن معصية الله بالكف عنها وصبر على أقدار الله المؤلمه فيما يعز على الإنسان من نفسه وماله وأهله بالرضا والتسليم لله والصبر في الدنيا على البلاء والمصائب يطفيء نار جهنم ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[5] .

هذا ولاشك أن وسائل التقوى وسبل الخير كثيرة جداً وليس فيما اخترته في هذا

---

(١) الأنبياء ٥ .

(٢) الزمر ١٠ .

(٣) الحشر ٩ .

(٤) البقرة ٢٧١ .

(٥) ال عمران ٢٠٠ .

الموضوع إلا كنموذج للتنبيه لا الحصر ، ولذلك رأيت أن أذكر شعب الإيمان وتفسير بعض أهل العلم لهذه الشعب التي أشار إليها الحديث الصحيح « الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة فأعلاها قولا لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » لتقوم الحجة وتتحقق البهجة بهذه المأدبة الحافلة بما لذ وطاب من الوجبات الغذائية للروح والنفس التي قال فيها الشاعر:

ياخادم الجسم كم تعنى بخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لابالجسم إنسان

وكم من أوقات صرفناها في تغذية الإجساد واشتغلنا بسبب الجمع لها من الغذاء المادي عن تغذية أرواحنا بالعلم النافع والعمل الصالح الذي ينفعنا يوم المعاد يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

هذا و معرفة تعداد هذه الشعب والتى تربوا على السبعين محصورة شعبة شعبة ليس شرطاً في الإيمان بل يكفي الإيمان بها جملة عند أهل النظر ، وهي لاتخرج عن نطاق الكتاب والسنة لمن وعى وتدبر فما على المسلم الحق والمؤمن الصادق إلا امتثال أوامرهما واجتناب زواجرهما وتصديق أخبارهما . قال بعض العلماء رحمه الله وقد استكمل شعب الإيمان حصراً وعدداً شعبة شعبة والذي عددوه حق كله من أمور الإيمان ولكن القطع بأنه مراد النبي ﷺ بهذا الحديث يحتاج إلى توقيف .

وقد لخص الحافظ في الفتح ماأورده ابن حبان بقوله إن هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال البدن .

فأعمال القلب المعتقدات والنيات على أربع وعشرين خصلة :

الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واعتقاد حدوث ما دونه والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر ، ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ومحبة الله والحب والبغض فيه ومحبة النبي

ﷺ واعتقاد تعظيمه ، ويدخل فيه الصلاة عليه ﷺ واتباع سنته والإخلاص ، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضاء بالقضاء والتوكل والرحمة والتواضع ، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك التكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب .

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال :

التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو .

وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يتعلق بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة :

التطهر حساً وحكماً ويدخل فيه إطعام وإكرام الضيف والصيام فرضاً ونفلاً والاعتكاف والتماس ليلة القدر والحج والعمرة والطواف كذلك والفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك والوفاء بالنذر والتحري في الأيمان وأداء الكفارات .

ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال .

التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين ويدخل فيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة والرفق بالعبيد .

ومنها ما يتلعق بالعامة هي سبع عشرة خصلة

القيام بالإمارة مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة أولي الأمر والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود والجهاد ومنه المرابطة وأداء الأمانة ، ومنه أداء الخمس والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة ويدخل فيه جمع المال من حله وإنفاقه في حقه ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق . فهذه

تسع وستون خصلة ويمكن عدها سبعاً وسبعين خصلة باعتبار إفراد ماضم بعضه إلى بعض مما ذكر والله أعلم[1] .

* * *

(١) انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المشهورة لحافظ أحمد الحكمي بتصرف ص ٥٩ / ٦٠ / ٦١ .

تذييل الرسالة بما يتضمن خلاصة بعض ماورد فيها

نموذج أحببت أن أذيل به رسالتي هذه من أبيات التثبيت للإمام السيوطي وتأنيس الغريب وبشرى الكئيب بلقاء الحبيب للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله رحمة واسعة :

اعلم هداك الله للرشاد ... موفقاً لطرق السداد

أن الذي عليه أهل السنة ... بحجج أمضى من الأسنة

أن سؤال الملكين الميتا ... حق به الإيمان فرضاً ثبتا[1]

أتى به القرآن والإشارة ... ووافقت آياته الإنارة

تواترت به الأحاديث التي ... قد بلغت سبعين عند العدة

والآية السؤال فيها كامن ... يثبت الله الذين آمنوا

فصل وإثبات عذاب الميت ... لروحه وجسمه فاستثبت

والقبر بعد الموت للإنسان ... هو الطريق للمقر الثاني

فيه يكون الفحص عن إيمانه ... لتعرج الروح إلى جنانه

إن كان معدوداً من الأبرار ... أو هوة إن كان في الفجار

قال تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم** ﴾[2] .

* * *

(١) الذي في الأصل للسيوطي

أن سؤال الملكين من قبر ... احق والإيمان به فرض شهر

(٢) الانفطار ١٣ - ١٤ .

نحو تعليم الكبار صغارهم وتلقينهم حجتهم

كــان يقــول المصطفي تعلمــوا ... حــجــتكم فــإنكم تكلمــوا[1]

وكـانت الأنصـار توصي المحـتـضـر ... ومن يميــز من غــلام ذي بصــر

تقــول إذ مــا ســألوك فــقـل ... ولاتــكــن فــي الحـق ذا تـزلـزل

الـلـه ربـي ديـنـي الإســــلام ... مــحــمــد نـبــيي الإمــام

فــصل وفي حــال ســيــاق الموت ... يلقن الحــاضــر قــبل الفــوت

من في السـيـاق جـملة التـوحـيـد ... كــمــا أتى النص بلا مــزيد

ويســـــأل المطروح والمطلوب ... والحي عن رؤيتــه مــحــجــوب

إذ لو رأيناه مــقــامــاً مــقــعــداً ... لذهب الأصل الذي قــد عــقــدا

من فــــرض إيمان عـلى الأنام ... بالغــيـب عــمــا تم من أحكام

متى يبدأ السؤال وهل ترد الروح إلى البدن كله أو بعضه؟ :

إذا تولى الناس من بعــد الدفن ... ردت إليــه روحــه إلى البــدن

وكله يحـيـا لدى الجـمـهـور ... لا جـــزؤه الظاهر للمــأثور

ماورد في مواصفات الملكين الموكلين بالسؤال :

وجـــاء في المنكر والنكيــر ... وصـفـهـمـا بين الورى شـهـيـر

جـــعـــدان أســـودان أزرقـــان ... شـعـرهـمـا تسـحـبـه الرجـلان

صـوتهـمـا كـمـثل رعـد قـاصف ... والعين تروى مــثل برق خــاطف

أو كـــقـــدور هي من نحــاس ... أو كـاللهـيب مـشـبـه الأنفـاس

قـد حـفـروا الأرض بأنيـاب ترى ... مــثل صـيـاصي بقـرقــد أثرا

---

(١) روي عنه ﷺ فيما أخرجه ابن شاهين في السنة : تعلموا حجتكم فإنكم تسالون .

ومـعـهـمـا مـرزبة لو تجـتـمع أهل منى لرفـعـهـا لم ترتفع

فـينهـرانه ويقـعـدانه وبعـد مـا يقـعـد يسـألانه

عن ربه ودينه سليـبـا وعن نبـيـه لكي يجـيـبـا

وهي أشـد فـتنة يلقـاها العـبـد طوبى للذي يوفـاها

يبـدو له هناك الشـيطان يومي إليـه قـاله سـفـيـان

وليس من غـيـر اعـتـقـاد يسـأل أتى بهـذا خـبـر مـتـصـل

(فصل)

فـإن ثبـتـه رب السـمـاء قـال جـواباً نافـعـاً عندهمـا

وجـاءه القـرآن والصـلاة والصـوم والزكـاة والطاعـات

عنه تجـادلن وفـيـه تشـفـع فـيـصـرف الشـر وعنه يمنع

يقـول ربي الله ثم أحـمـد نبـينا بلغنا مـا يرشـد

قـد جـاءنا بالبـينات والهـدى ثم ينادي حـبـذا ذاك الندى

من قـبل الرب بأن قـد صـدقـا فـأفـرشـوا في قـبـره النمـارقـا

ثم افـسحـوا في القبـر مد البـصر وإفـتـحـوا باباً له للنظر

ينـظـر منـه فـي الجـنـان منـزلـه ياحـبـذا من منزل مـا أعـدله

وألبـسـوه خـيـر مـا ملبـوس ثم ينام نـومـة العـروس

والرجل الصـالح وهو العـمل يأتيـه في مـدفنه ويدخل

يأتيـه بالوجـه الذي للخـيـر يجيء فـيـه الأنس للمـقـبـور

وإن يكن جـوابه في القـبـر يقـول هاه هاه لست أدري

كـان الجـواب عنه لادريتـا ولاتليت إذ قـد افـتـريتـا

وبعـده يضـرب بالمطراق يسـمـعـه من كـان في الآفـاق

حين يصـــيح مـــاخـــلا ابن آدم	والجن تســـتـــثنى من العـــوالـم
ثـم ينـادى قـــــد أتي بالـكـذب	فـــأفـــرشـــوه النار ذات اللهب
ثـم يـقـــــال إنـظر إلى جـنـانـك	في جنة الخلد ومن خـــســـرانك
أبدلت عنه مـــاترى في ســـقـــر	مـعـذبا في القـبـر حـتى المحـشـر
هناك يـأتيـــه قـــبـــيح المنظر	والثـوب والريح قـبـيح الخـبـر
يقـــول إني مـــاعـــملت فـــابشـــر	بشـــر مـــوعـــودٍ له فـــانتظر

وجاء في الحديث الشريف :

« إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع قرع نعالهم حين يولون فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتي من قبل رأسه فتقول الصلاة ماقبلي مدخل ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ماقبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ماقبلي مدخل ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ماقبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له : هذا الرجل ماذا تقول فيه فيقول دعوني أصلي فيقولون له إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك عنه قال عما تسألونني قالوا ماذا تقول في هذا الرجل الذي فيكم وبما تشهد عليه فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله تعالى ثم يفتح له باب من أبواب الجنة ، فيقال انظر إلى مقعدك من الجنة وما أعد الله عز وجل لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له ويعاد الجسد كما بدأ ويجعل نسمة من النسم الطيب وهي طائر تعلق في شجر الجنة » . [أخرجه ابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة والبخاري بمعناه عن عائشة][١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض

(٢) انظر مختارات الأحاديث والحكم النبوية عبد الوهاب عبد اللطيف ص : ١١ .

عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » . [رواه الخمسة إلا أبا داود] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله ما الصور قال : « قرن ينفخ فيه » . رواه الترمذي وأبو داود بسند حسن، وعن أبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ » فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » . رواه الترمذي بسند حسن ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال إلى أن قال : « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاء ورفع ليتاء وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يأيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق » . [رواه مسلم] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . [رواه مسلم وأبو داود][1] .

بعدما انتهى ما اخترته من أبيات التثبيت للسيوطي يبدأ من هنا ما وقع عليه الاختيار من تأنيس الغريب للإمام الصنعاني حيث قال رحمه الله :

قد قال خير الخلق ما معناه ... تحفة من يؤمن في لقياه

للموت ما من راحة سواه ... ريحانه غنيمة يلقاه

وإنما الدنيا له كالسجن ... إن مات لم يبق له من حزن

وإنه خير له من الفتن ... وفي الحياة لا يزال في محن

(١) انظر التاج الجامع للأصول ص : ٣٦٢ / ٣٧٥ .

والموت كـفـارة كل مـسلم ... ياحـبـذا ياحـبـذا من مـغنم

منزله بعـد الممـات أوسع ... وقـبـره خـيـر له وأرفع

وفي السـيـاق بالسلام يلتـقى ... مـن ربـه ومـن أولـئـك المـلا

يلقـون بالبـشـرى وبالأكـفـان ... والروح والريحـان والرضـوان

ثم عليـه الأرض تبكي والسـمـا ... إن كـان يأتي الخير منه فيـهـمـا

يعـرف من يغـسله ويحـمل ... ويلبس الأكـفـان أو من ينزل

له إلى قـبـر له مـرحب ... يضـمـه ضم الحـبيب المعجب

وربما صلوا بـه أحـيـانا ... وفـيـه أيضـا قـرؤوا القـرآنا

وبعضـهم يزور فـيـها بعضـا ... فـحـسنوا أكـفـان من تقـضى

ويعـرفـون من أتاهم زائرا ... ويأنسـون إن أتى المقـابرا

وسلمـوا رداً على المسلم ... في أي وقت قـاله ابن القـيم

واعلم بأن هـذه الصـفـات ... أكـثـرها للروح لا للذات

فـاصـرف عنان القـول نحـو الروح ... شـرحـا له بالحق والصـحـيح

فـالروح جـسم حـادث نوراني ... حي خـفـيف مـسـرع السـريان

ينفـذ في الأعـضـاء نفـوذ النار ... في الفحم أو كـالماء في الأشـجـار

والنفس والروح همـا شـيـئـان ... وقـيل شيء واحـد والثـاني

اخـتـاره العـلامـة ابن القـيم ... لما رآه مـن دلـيـل قـيـم

ومـوتهـا خـروجـهـا من البـدن ... هذا الذي يخـتـاره ذووا الفطن

فـهـذه الأربع في المسـائل ... مـشـرقـة الأنوار والدلائل

ويلحق الميت بعـد الموت ... من أجـر مـاقـدم قـبل الفـوت

عــشــر خــصــال أربع في مــسلم ... وغــيــرها في غــيــره فلتــعلم
هذا عليــه جــملة الأعــيــان ... ومــثله أيضــاً دعــا الإخــوان
واخــتلفــوا في الصــوم والصــلاة ... وغــيــرها من المقــربات
والحــق أن الــكــل مما يــلــحــق ... دلـت لهـــا أدلة تحـــقــق
بأن مــايهــدى من الطاعــات ... لأي مــيت كــان خــيــرآت

* * *

خاتمة

وها هنا قد انتهى المراد ... من جمع مايهدي به العباد

إلى سبيل الخير والرشاد ... والأجر للعامل في المعاد

مصلياً من بعد حمد الواحد ... على النبي وآله الأماجد

تدوم مهما دامت الأرواح ... وإن فنت من دونها الأشباح

والموت فاذكره وما وراءه ... فمنه ما لأحد براءه

وأنه للفيصل الذي به ... ينكشف الحال فلا يشتبه

ويعلم العبد الذي عليه ... يقدم مع ما صائر إليه

يتبعه أهل ومال وعمل ... فيرجع اثنان ويبقى والعمل

يليه الامتحان في القبور ... وبرزخ دام لنفخ الصور

فالقبر روضة من الجنان ... أو حفرة من حفر النيران

إن يك خيراً فالذي من بعده ... أفضل عند ربنا لعبده

وإن يكن شراً فما بعد أشد ... ويل لعبد عن سبيل الله صد

والنفخ في الصور ثلاثاً أولا ... لفزع والنفخ للصعق تلا

وانشقت السماء ثم انكدرت ... نجومها والنيران كورت

وتنسف الجبال والبحار ... تسجر ثم تهمل والعشار

وارتجت الأرضون ثم زلزلت ... بما عليها وبغير بدلت

وعن رضيع مرضع قد ذهلت ... وتسقط الحامل ما قد حملت

وكل مخلوق عليها قدفني ... لم يبق غير الصمد المهيمن

والنفـــخـــة الأولى إلى النشـــور ... لبـــعث الأمـــوات من القـــبـــور
غـــرلاً حـــفـــاة مـــثل خلق أول ... أعـــادهم مـــبـــدؤهم وهو العلي
ثم يســاقـــون لنحـــو المحـــشـــر ... خلفـــهـم النيـــران ذات الشـــرر
فـيـوقـفـون شـاخـصي الأبصار ... منتظري فـصل قـضـا الجـبـار
في مـوقف يلجـمـهـم فـيـه العـرق ... ويعظم الهـول ويشـتـد الفـرق
قـد ضـوعف الكرب على النفـوس ... ودنـت الـشــــمس من الـرؤوس
وانشـقـت السـمـاء بالغـمـام ... لمهـــــبـط الملائـك الـكـرام
ثـم يـحـــــيطون بـأهـل الأرض ... جـمـيـعـهم ذلك يوم العـرض
وجنة للمـــتـــقين أزلفت ... وللغـــوات فـــالجـحـيـم برزت
واسـتـشـفـع الناس بأهل العـزم في ... إراحـــة العـــبـــاد من ذا الموقف
وليس فـــيـهم من رسـول نالهـا ... حـــتى يقـول المصطفى أنا لهـا
ثم تجلى الله للقـــضـــاء ... بين عـــبـــاده بلا امـــتـــراء
واقـــتـص للمظلوم ممن ظلمـــه ... بحكمـه العـدل كـمـا قـد علمـه
وكل عـبـد سـيرى مـا كـسـبـا ... ومن يناقش الحـســاب عـذبا
لكل عـــامل كـــتـــاب ينشـــر ... فـيـه جـمـيع سـعـيـه مـسطر
يـعـطـاه بـاليـــمين ذو الإيمان ... ومن وراء الظهـــر ذو الكفـــران
ويوضع الميـــزان هذا يثـــقـل ... وذا خـــفـــيف الوزن وهو المبطل
وجيء بالرســول والأ شــهـــاد ... وامـــتـــازه أهل الجـرم بالأبعـاد
يوم على الأفـــواه فـــيـــه يخـــتم ... وتشـهـد الأعـضـاء بما قـد كـتمـوا
واتبع الكفـار مـا قـد عـبـدوا ... فـبـئس ورد للجـحـيم وردوا

ثـــم تجـــلـــى لـــذوي الإيمـــان	مـعـبـودهم ذو الفـضـل والأحـسـان
حـــتى إذا رأوه خـــروا سـجـــداً	جـــمـيع من مـــات به مـــوحـــدا
ومن يمت منافــقـــاً لم يســـتطع	إذ للســجـــود قـــد دعى فلم يطع
يـــأذن بـــالـــرفـــع لـــهـــم ثـــم يمـــد	جـسـر على النار من السيف أحـد
ويقـــسم النور بقـــدر العـــمل	يتـــــمــــــه الله لمن له ولـي
وينطفي نـور المنافـــقـــينا	فـــوقـــفـــوا إذ ذاك حـــائرينا
لأنهم بالوحي مـــا اســتــضـــاؤوا	بل كـــذبوا فـــذا لهم جـــزاء
ثـم ينجي الله كل مـــتــــقي	وكب في نار الجـحـيم من شـقي
واســتــفــتح الرســول باب الجنة	للمــــؤمنين الناصـــرين السنة
من بعـد ورد حـوضـه الذي وعـد	يشـرب منه كل عـبـد قـد سـعـد
وذيد كل الأشـــقـــيـــاء عنه	ومـــا لهم قط شـــراب منه
وانقـــسم الخلق إلى قـــســـمين	ومـــالهم مـــأوى ســـوى الدارين
فـــأوليـــاء ربنا بـداره	فـــازوا بدار الخلد في جـــواره
دار بهـــا مـــاليس عين قـــد رأت	كـــلا ولا أذن به قـــد ســمــعت
ولا درى قـــلـــب بـــه ولا خـــطـــر	قط ببـــال أحـــد من البـــشـــر
ليس بهـــا لغـــو ولا تـأثـيم	عليـــهـــمـــوا من ربهم تسليم
فـــيـهـــا خلود غـيـر إخـراج ولا	تفنى ولا يبـغـون عنهـا حـولا
هذا وإن الأشـقـيـاء لفي سـقـر	ألا فـــســـاءت المقـــام والمقـــر
يؤتى بهـــا في مـــوقف القـــيــام	ســبـــعـــون آلاف من الزمـــام
زمت بهـــا كل زمـــام في يد	ســبـــعين ألف ملك مـــويد

إن زفـــرت ثـم رمت بالشـــرر جـثـا لذاك كل من في المحشـر[1]

وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ ماسأل رجل مسلم الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ولااستجار رجل مسلم الله من النار ثلاثا إلا قالت النار اللهم أجره مني » رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الألباني .

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار يا أرحم الراحمين

* * *

(١) انظر النسبل السوية .

بعض الأحاديث الواردة في الموضوع

عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يبعث كل عبد على مامات عليه » . [رواه مسلم] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال : « ياأيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، أقول يارب أصحابي فيقال إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ **وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً قلت يارسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض » . قال ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض . [رواهما الشيخان والترمذي] ، وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم » . [رواه الترمذي بسند صحيح] ، وعن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد » ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمنيه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » : [رواهما الشيخان] ، وعن المقداد ابن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه » . [رواه مسلم والترمذي](٢) .

---

(١) المائدة ١١٧ – ١١٨ .

(٢) انظر : التاج ٣٦٤ / ٣٦٨ .

موعظة لابن آدم من واقع الدنيا ، فهل من مدكر ؟

قال تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ، أفمن وعدناه وعدا حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدينا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** ﴾[1] اعلم ياأخا الإسلام أن هذه الحياة على اتساعها قصيرة الأمد بالنسبة إلى الإنسان فليس له من زمنها إلا وقت قصير وليس له من مباهجها إلا لذائذ محدودة وليس له من خيراتها إلا قدر ضئيل .

أجل ، إنك مهما عمرت فيها فلن تعيش إلا عشرات من السنين ليست بالنسبة إلى الزمن المستمر إلا جزءاً من ملايين الأجزاء ، وأنت مهما استطعت أن تأخذ من لذائدها فلن تنال منها إلا بقدر ما تسعفك به ظروفك وأوضاعك وإمكانياتك مما قدرها لله لك ، وما أقل ذلك بالنسبة لما يفوتك منها وما لاتناله قدرتك هذا ومهما أصبت من مال وجمعت من ثروة فلن تحوز من خيرات الحياة إلا قطرة من بحر ومع ذلك لاتضمن لنفسك تحديد هذا الأمد القصير من عمرك ولا استمرار هذه اللذائد التي تنالها في حياتك ولابقاء تلك الأموال التي تجمعها في صندوقك فقد تفارق الحياة فجأة من غير ميعاد وقد تحرم اللذائذ بموانع لاتملكها من مرض أو عجز كما أنك قد تفقد المال بكارثة خاصة أو عامة : ﴿ **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾[2] هذا وكل الناس يعرفون هذه الحقائق ولكنهم يختلفون في الانتفاع بها فأكثرهم يرى قصر الحياة باعثاً على ضياع العمر باللذائذ كي يغنم منها أكبر قدر مستطاع ويرى إحراز الأموال على اكتنازها ومنع نفسه والناس من الاستفاده منها وهؤلاء هم الذين فقدوا نعمة الحياة ونعمة الثروة فعاشوا كما يعيش المحروم ويملكون مالا يستفيدون ويعيشون بما لا ينتفعون وقليل من الناس من يحمله قصر الحياة على إنفاق المال فيما ينفع الناس وهؤلاء هم الأحياء مهما قصرت أعمارهم والأغنياء مهما تبددت ثرواتهم والسعداء مهما فاتهم من

---

(١) القصص ٦٠ – ٦١ .

(٢) سبا ٣٦ .

لذائذ الشهوة الآثمة ، ومن المحقق أن الذي يسيء تصرفه في حياته لجمع ماله وصرفه في الملذات والشهوات ، والبذخ والتبذير فهو بلا شك أعمى القلب والبصيرة وإن كان صحيح البصر قال تعالى : ﴿ **ومن كان في هذه أعمي فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾[1] وذلك كما قال تعالي : ﴿ **فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[2] ورحم الله من قال :

يقولون لي أعمى وما أنا بالأعمى ... ولكنما الأعمى الذي فقد العلما

فقلبي مضيء والقلوب هي التي ... ترى كل شيء كيفما كانت الظلما

ولاخير في عين ترى الحق باطلاً ... وإن عظمت حسناً وإن كبرت حجما

ونعوذ بالله ممن يصدق فيه قول الشاعر :

شر البلية إنسان إذا ملكت ... يمينه المال في جهل طغى وبغى

لايعبد الله مشغول بثروته ... ولايقصر في الآثام إن فرغا

وإن يكن مال هذا المرء مكتسباً ... من الحرام فكلب في دم ولغا

يزني ويشرب من خمر معتقة ... وعمره يتبع الشيطان مذ بلغا

هذا ولا شك أن الموقف مضحك ومبكي في آن واحد

وشر البلايا ما أظلك همها ... فتحتار لاتدري أتضحك أم تبكي

روي أن سلما الفارسي قال : ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني : مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض . قال وثلاث أحزنتني حتى أبكتني : فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع والوقوف بين يدي الله ، ولاأدري أإلى الجنة يؤمر بي أم إلى النار وفي الحديث الشريف : أتاني جبريل فقال : يامحمد عش ماشئت فإنك ميت

---

(١) الإسراء ٧٢ .

(٢) الحج ٤٦ .

وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس[١] ، هذا ولاشك أن ساعة الموت ساعة رهيبة ماخاف عاقبتها أحد إلا ونجا وما لها عنها أحد إلا اشتدت حسرته وطالت ندامته . إنها ساعة خبئت في لوح القدر واستترت في ظل الأمل ولايدري في غمراتها كيف تكون ولا في أي مكان يدركه المنون وأي أرض تضم رفاته ضمة الأم الغاضبة على ولدها العاق الذي طال عقوقه لها ومخالفته لأوامرها أو ضمة الأم المتلهفة المشتاقة لمقابلة ولدها البار بصدرها الحنون ، ومهما تمنى الإنسان طول عمره في هذه الحياة فإن نهايته الموت : ﴿ **أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ، ماأغنى عنهم ماكانوا يمتعون** ﴾[٢] وعلى حسب الأعمال توزع الأنوار : ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[٣] ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾[٤] فهل أعددنا العدة لهذه الرحلة الطويلة حتى نأمن كل المخاطر المتوقعة فيها وهل حشدنا كل الطاقات الحسية والمعنوية لمواجهتها حتى نسلم من مخاوفها ، وجاء في بعض الآثار أحكم السفينة فإن البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل ، وخفف الظهر فإن العقبة كؤود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير ، [رواه المقدسي عن أبي ذر رضي الله عنه][٥] وصدق الله القائل : ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لايشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ، ولانكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لايظلمون** ﴾[٦] .

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سعد مرفوعاً وحسنه الالباني كما في صحيح الجامع الصغير ١ / ٧٧ .

(٢) الشعراء ٢٠٥ – ٢٠٧ .

(٣) النور ٤٠ .

(٤) الزمر ٤٧ .

(٥) السفينة الماخرة ص ١ .

(٦) المؤمنون ٥٧ – ٦٢ .

مسك الختام هذا النموذج من المقطوعات الأدبية في محاسبة النفس نحو الرجوع إلى الله

مبتدأة بهذه القصيدة التي قيلت كما ذكر شيخنا البيحاني رحمه الله في جواب وسؤال عن الدنيا وأبنائها :

لاتخدعنك دنياك التي خدعت   كسرى وقيصر والخاقان والملكا

ولم تدم في يدي فرعون بل عبثت   بذقن كل عظيم عاش أو هلكا

لله ماضحكت من هاهنا وهنا   فقبح الله منها الشدق إذ ضحكا

غرتهم حين تبدو وهي باسمة   وما عواقبها إلا أسى وبكا

في كل يوم لها ياسيدي شرك   وقطع الله منها ذلك الشركا

ماينفع الليث والأنياب كاشرة   وفي مخالبه الدم الذي سفكا

إذا أتاه قضاء الله يصرعه   حتى تراه بحبل الصائد اشتبكا

بالله ياأيها الدنيا التي مكرت   بالناس هل تتركين المرء إن تركا

أراك والله قد زينت للعلما   طريقة الشر حتى ضل من سلكا

مع القضا ومع الفتيا وقد فتحت   له جهنم لايخشى إذا هلكا

تحت القميص وتحت الجبة اجتمعت   مصائب لو رآها إبليس لارتبكا

وحاكم لايبالي في تصرفه   إذا جثا فوق صدر الحق أو بركا

شهادة الزور يرضاها ويقبلها   وربما كان في التزوير مشتركا

يقضي لهذا على هذا ويظلم في   الأحكام ياويله للدين منتهكا

قد خضب الشيب بالحنا وأغرق   في تقليب مسبحة يبدي بها النسكا

أما الأمير فإن الله سائله   عن الذي قال هذا لي وذاك لكا

في يوم يأتي وقد شدت يداه إلى عنق لواه عن المظلوم حين بكى

والمال يجعل من إنسانه سبعاً وكنت تحسبه قبل الغنى ملكا

وليس يبلغ منحط بثروته من العلا ذنب الدنيا ولا الوركا

والوغد لا يشتري شيئاً يعز به إلا الأرز وإلا اللحم والسمكا

وسيد الناس في خصب وفي محل هو الذي يقرط السعدان والحسكا

والسيف مثل العصا حتى تجربه وإنما هو صمصام إذا فتكا

ومن تبايعه الدنيا ويأمنها فليحتمل عند نقض البيعة الدركا

وصاحب العقل لا ينفك منتظراً ماسوف يأتي به الدهر الذي عركا

وقائد الجيش إن لم يتخذ لغد ماينبغي ضيع الطابور والبلكا

ومن تقاعد في سن الشباب عن المطلوب ما ناله شيخاً وإن وشكا

ولا يقام له وزن ببزته وإن تغسل بالصابون وادلكا

وأطيب العيش مالم يحتكم أحد عليك فيه وإن قضيته ضنكا

هذا الجواب عن الدنيا ومافعلت بالناس والحال فيها فرحة وبكا(١)

* * *

(١) انظر : العطر اليماني من أشعار البيحاني ص ١٤١ .

ليس الغريب غريب الشام واليمن

ليس الغريب غريب الشام واليمن ... إن الغريب غريب اللحد والكفن
إن الغريب له حق لغربته ... على المقيمين في الأوطان والسكن
لاتنهرن غريباً حال غربته ... فالدهر ينهره بالذل والمحن
سفري بعيد وزادي لايبلغني ... وقوتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها ... الله يعلمها في السر والعلن
ماأحلم الله عني حيث أمهلني ... وقد تماديت في ذنبي ويسترني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً ... على المعاصي وعين الله تنظرني
يازلة كتب في غفلة ذهبت ... ياحسرة بقيت في القلب تحرقني
دع عنك عذلي أيا من كان يعذلني ... لو كنت تعلم مابي كنت تعذرني
دعني أنوح على نفسي وأندبها ... وأقطع الدهر بالتفكير والحزن
كأنني بين تلك الأهل منطرحاً ... على الفراش وأيديهم تقلبني
كأنما كان حولي من ينوح ومن ... يبكي علي وينعاني ويندبني
وقد أتوا بطبيب كي يعالجني ... ولم أر من طبيب اليوم ينفعني
واشتد نزعي وصار الموت يجذبها ... من كل عرق بلا رفق ولا وهن
واستخرج الروح مني في تغرغرها ... وصار ريقي مريراً حين غرغرني
وسل روحي وظل الجسم منطرحاً ... بين الأهالي وأيديهم تقلبني
وأغمضوني وشدوا الحلق وانصرفوا ... بعد الإياس وجدوا في شرى كفني
وسار من كان أحب الناس في عجل ... نحو المغسل يأتيني ليغسلني
وأفرغ الماء من فوقي وغسلني ... غسلاً ثلاثاً ونادي القوم بالكفن

وألبسوني ثياباً لاكمام لها ... وصار زادى حنوطاً حين حنطني

وأخرجوني من الدنيا فوا أسفاً ... على رحيل بلا زاد يبلغني

وحملونى على الأكتاف أربعة ... من الرجال وخلفي من يشيعني

وقدموني إلى المحراب وانصرفوا ... خلف الإمام وصلى ثم ودعني

صلوا علي صلاة لاركوع لها ... ولا سجود لعل الله يرحمني

وأنزلوني إلى قبري على مهل ... وقدموا واحداً منهم يلحدني

وكشف الثوب عن وجهي لينظرني ... وأسبل الدمع من عين وقبلني

وقال هيلوا عليه الترب واغتنـ ... ـموا فضل الثواب وكل الناس مرتهن

بكيت لما علان الترب منجدلاً ... صار التراب على ظهري فأثقلني

في ظلمة القبر لا أم هناك ولا ... أب حنون ولا أخ يؤنسني

وهالني ما رأت عيناي إذ نظرت ... من هول مطلع ما كان أغفلني

من منكر ونكير ما أقول لهم ... قد هالني أمرهم جداً فأفزعني

وأقعدوني وجدوا في سؤالهم ... مالي سواك إلهي من يخلصني

فامنن علي بعفو منك ياأملي ... امنن على تارك الأولاد والوطن

تقاسم الأهل مالي بعد ما انصرفوا ... وصار وزري على ظهري يثقلني

واستبدلت زوجتي بعلاً لها بدلاً ... وملكته على مالي وفي سكني

وصيرت ولدي عبداً ليخدمه ... وصار مالي لهم حلاً بلا ثمن

فلا تغرنك الدنيا بزخرفها ... انظر لأفعالها بالأهل والوطن

وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

خذ القناعة من دنياك وارض بها ... لو لم يكن لك إلا راحة البدن

يانفس كفي عن العصيان واكتسبي   فعلاً جميلاً لعل الله يرحمني

يانفس ويحك توبي واعملي حسناً   عسى تجازين بعد الموت بالحسن

* * *

انتبه من كل نوم أغفلك ... واخش رباً بالعطايا جملك

بع له دنيا بأخرى إن من ... باع أخراه بدنياه هلك

تابع المختار واسلك نهجه ... فهو نور من مشى فيه سلك

ثق بمولاك وكن عبداً له ... إن عبد الله في الدنيا ملك

جدد النوح على ما قد مضي ... من زمان بالمعاصي شغلك

حاسب النفس وعلمها الرضى ... بالقضاء واعص هواها ترض لك

خذ من التقوى لباساً طاهراً ... فالتقي خير لباس يمتلك

داوم الذكر لخلاق الورى ... واترك الأمر لمن أجرى الفلك

ذل واخضع واستقم واعبد له ... مخلصاً يفتح باب الخير لك

روح القلب له واعكف على ... بابه فهو الذي قد فضلك

زين الباطن بالتقوى تفز ... حسن الظاهر تعطى أملك

سلم الأمر له تسلم فكم ... من فتى إذ سلم الأمر سلك

شق حجب الكون للمعبود لا ... تلتفت إلا إليه يقبلك

صن عن الدنيا لساناً ويداً ... وفؤاداً مخلصاً في عملك

ضم أحشاك على توحيده ... فهو نور يذهب الداجي الحلك

طب له واقنع به عن غيره ... فهو كاف فضله قد شملك

ظن خيراً تلق ما قد ترتجي ... من جميع الخير حتى يقبلك

عد إليه كلما حل البلاء ... عل تسلم من رجيم سولك

خض بحار العذر في جنح الدجي ... لكريم بالعطايا خولك

اترك التدبير والعلم له ... اسأل المولى يصفي منهلك

قل بذل يا رحيم الرحما ... يامنجي بالعطايا من هلك

كن مـجـيـراً ونصـيـراً وحـمـا لضـعـيـف مـذنب قـد سـألك

لذت بالبـا فـحـاشـا أن أرى تعـبـاً والأمـر والتـدبيـر لك

نجنـا مـن كـل كـــرب وبـلا يوم يلقى العـبـد مكتـوب الملك

هب لنا الخـيـر ولا تفـضـحنا يا إلهي واعف عـمن سـاءلك

لاتؤاخـذني نـهـار الحـشـر إن شـهـدت أعـضـائى بالأثقـال لك

يامـحب العـفـو يسـر أمـرنا واقض عنا مـا لمخلـوق ولـك

وتحنن بـالعـطايا كـرمـاً أنت مـولانا وأولى من ملك

وصـلاة وسـلامـاً للذي جـاءنا نوراً فـنجى من هـلك

أحـمـد المحـمـود مع أصـحـابه مـاسـرى سـار بليل أو دلك

أو حكى شـيخ لعـبـد واعظا انتـبـه من كل نوم أغـفلك

* * *

وأخيراً لايسعني بعد هذا الشرح والإيضاح إلاَّ أن أقول كما قال بعضهم يرحمه الله محسنا ظنه بربه معولاً على فضل الله وكرمه في وصيته عند موته

إذا مـــاصـــار فـــرشي من تـراب ... وبت مـــجـــاور الرب الرحـــيم

فـــهَنونِي أُصـــيـــحـــابي وقـــولوا ... لك البـــشـــرى قـــدِمتَ على كـــريم

وإلى هنا ينتهي الكتاب ، **أسأل الله جلت قدرته بأسمائه وصفاته أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به النفع العميم ، إنه جواد كريم ، ملك ، بر ، رؤوف رحيم .**

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك ، وإني من المسلمين .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *



الفهـــارس

نص الآية

١١	٦٩	النساء	﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم﴾
١٢	٢٨٢	البقرة	﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾
١٢	١٢٢	التوبة	﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾
١٢	٢٢	السجدة	﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها﴾
١٢	٦٣	البقرة	﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون﴾
١٣	٣٦ – ٣٨	النور	﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾
١٣	١٧٥	الأعراف	﴿فاقصص القصص لعلهم يتذكرون﴾
١٤	٨٣	النساء	﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾
١٧	٣٧	فاطر	﴿أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجائكم النذير﴾
١٨	٦١	النحل	﴿فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾
١٩	١٤	الملك	﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾
١٩	١١	فاطر	﴿ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾
٢٠	٢	الملك	﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾
٢٠	١٤	العنكبوت	﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم الف سنة﴾
٢٠	٨	الجمعة	﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾
٢٢	٣٩	الحج	﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾
٢٤	٤٣	العنكبوت	﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون﴾
٢٥	٤٥ – ٤٦	الكهف	﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾
٢٥	٢٠	الحديد	﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٢٧	٥٦ – ٥٨	الذاريات	﴿ وماخلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ﴾
٢٧	٤٩	يونس	﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾
٢٧	١٠٠	المؤمنون	﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾
٣١	٣٤	لقمان	﴿ وماتدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾
٣٢	١٩٧	البقرة	﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾
٣٢	٢٢٣	البقرة	﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾
٣٢	٨٣ – ٩٦	الواقعة	﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾
٣٣	١٨	الحاقة	﴿ يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية ﴾
٣٣	١٧	المؤمن	﴿ لمن الملك اليوم ﴾
٣٥	٦٩ – ٧٠	الزمر	﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾
٣٥	٥٤ – ٦١	الزمر	﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلمو له ﴾
٣٧	٦٢	النمل	﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾
٣٧	٢٨	النساء	﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾
٤٠	٧٣ – ٧٤	الواقعة	﴿ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين ﴾
٤١	٨	الجمعة	﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾
٤٦	٦	الزمر	﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ﴾
٤٦	١٢ – ١٤	المؤمنون	﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾
٤٧	١٤٠	البقرة	﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾
٤٧	٦١	الواقعة	﴿ وننشئكم فيما لاتعلمون ﴾
٤٨	١٣	القيامة	﴿ ينبؤ الإنسان يومئذ بماقدم وأخر ﴾

٤٩	٢٠٠-٢٠٢	البقرة	﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾
٤٩	٧٧	القصص	﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾
٤٩	٥٤	الروم	﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾
٥٠	٥٣	فصلت	﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾
٥٠	٨	النحل	﴿ويخلق مالاتعلمون﴾
٥٠	٩٣	النمل	﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾
٥٤	١٢٣	طه	﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى﴾
٥٤	١٥٥	البقرة	﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾
٥٤	٣٥	الأنبياء	﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾
٥٦	١١	الحج	﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾
٥٦	١٥٦	البقرة	﴿الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله﴾
٥٦	٢٢	الحديد	﴿ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم﴾
٥٦	٥١	التوبة	﴿قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا﴾
٥٦	١٥٧	البقرة	﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾
٥٦	٤٦	الكهف	﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك﴾
٥٧	٦٩ - ٧٠	النساء	﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم﴾
٥٧	٢٠٠	الأعراف	﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان﴾
٥٧	١٥٦	البقرة	﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾
٥٧	١٠	الزمر	﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾

٥٩	١٨	لقمان	﴿إن الله لايحب كل مختال فخور﴾
٥٩	٥٨	يونس	﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾
٥٩	٥٤	النحل	﴿ومابكم من نعمة فمن الله﴾
٦٠	١٦	إبراهيم	﴿من وراءه جهنم﴾
٦١	٦٨	الزمر	﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾
٦١	٤٨	إبراهيم	﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾
٦١	١٧	غافر	﴿اليوم تجزى كل نفس بماكسبت﴾
٦٣	٢١	الحشر	﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾
٦٤	١٩	ق	﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾
٦٤	٥٦	الدخان	﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾
٦٥	٢٨١	البقرة	﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾
٦٦	١٠٠	التوبة	﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾
٦٦	٧	الحجرات	﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾
٧٠	٢٣	ق	﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾
٧٠	٤٢	الزمر	﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾
٧٠	٦٠	الأنعام	﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾
٧٣	٦١ – ٦٢	الأنعام	﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾
٧٤	١١	السجدة	﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾
٧٥	٣٠	فصلت	﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم

٨١	١	النحل	﴿أتى أمر الله﴾
٨١	١٠١	هود	﴿فما أغنت عنهم آلهتم التي يدعون من دون الله﴾
٨١	٧٧	النحل	﴿ومأأمر الساعة إلا كلمح البصر﴾
٨٢	١٣	الجاثية	﴿وسخر لكم مافي السماوات ومافي الأرض﴾
٨٢	١١	الشوري	﴿ليس كمثله شيء﴾
١٣٤	٨٨	النمل	﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾
١٣٦	٢٩	الرحمن	﴿فيومئذ لايسأل عن ذنبه﴾
١٤٠	٥٢	الروم	﴿فإنك لاتسمع الموتى﴾
١٤٠	٢٢	فاطر	﴿إن الله يسمع من يشاء﴾
١٤٠	٥٣	الروم	﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾
١٤٨	٥٣	فصلت	﴿سنريهم آياتنا في الأفاق﴾
١٤٩	٢٢	ق	﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾
١٥١	٥٠ – ٥١	الأنفال	﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾
١٥١	٣٢	النحل	﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾
١٥٣	٢٥ – ٢٦	الفجر	﴿فيومئذ لايعذب عذابه أحد﴾
١٥٤	٤٠	الأعراف	﴿لاتفتح لهم أبواب السماء﴾
١٥٤	٣١	الحج	﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾
١٥٦	٢٧	ابراهيم	﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾
١٥٧	٤٦	غافر	﴿النار يعرضون عليها﴾
١٧٠	٦٢	الزمر	﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾

الصفحة	الآية	السورة	النص
٢٨٠	٢٢ – ٢٣	محمد	﴿ فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض ﴾
٢٨٠	٧٨ – ٧٩	المائدة	﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ﴾
٢٨٠	٨٣	البقرة	﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾
٢٨١	١٧٥	آل عمران	﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾
٢٨١	٤٦	الرحمن	﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾
٢٨١	١٠	الزمر	﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾
٢٨١	١١٠	الكهف	﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴾
٢٨١	٥٨	مريم	﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا ﴾
٢٨١	٨٣	المائدة	﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾
٢٨٣	١٩	محمد	﴿ فاعلم أنه لاإله إلا الله ﴾
٢٨٢	٨٤ –٨٥	المائدة	﴿ ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ﴾
٢٨٢	٥٦	الأحزاب	﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾
٢٨٢	٨٦	الزخرف	﴿ إلا من شهد بالحق ﴾
٢٨٥	١١	المجادلة	﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾
٢٨٥	١٣	الحجرات	﴿ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾
٢٨٦	٧٧	الحج	﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾
٢٨٦	١٥٢	البقرة	﴿ فاذكروني أذكركم ﴾
٢٨٦	٦٣	الفرقان	﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون ﴾
٢٨٦	١٢	الملك	﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾

٢٨٦	٢٣٨	البقرة	﴿ حافظوا على الصلوات ﴾
٢٨٧	٦	المائدة	﴿ وإن كنتم جنباً فاطهروا ﴾
٢٨٧	١١١	طه	﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾
٢٨٧	٥٢	هود	﴿ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾
٢٨٧	٢٣	المائدة	﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾
٢٨٨	٥	المؤمنون	﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾
٢٨٩	٩٠	الانبياء	﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾
٢٨٩	١٠	الزمر	﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم ﴾
٢٨٩	٩	الحشر	﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾
٢٨٩	٢٧١	البقرة	﴿ إن تبدو الصدقات فنعما هي ﴾
٢٨٩	٢٠٠	آل عمران	﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾
٢٩٣	١٣ – ١٤	الإنفطار	﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾
٣٠٥	٦٠ – ٦١	القصص	﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ﴾
٣٠٥	٣٦	سبأ	﴿ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾
٣٠٦	٧٢	الإسراء	﴿ ومن كان في هذه أعمى ﴾
٣٠٦	٤٦	الحج	﴿ فإنها لاتعمى الأبصار ﴾
٣٠٧	٢٠٥–٢٠٧	الشعرآء	﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ﴾
٣٠٧	٤٠	النور	﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً ﴾
٣٠٧	٤٧	الزمر	﴿ وبدا لهم من الله ﴾
٣٠٧	٥٧ – ٦٢	المؤمنون	﴿ إن الذين هم من خشيه ربهم ﴾

لفظ الحديث

* * *

المصادر والمراجع

مسلسل	أسم الكتاب	أسم المؤلف	طبعة	أسم دار النشر
١	القرآن الكريم		٢	
٢	الحياة البرزخية من الموت إلى البعث	محمد عبد الظاهر خليفه		الإعصام
٣	السفينة الماخرة إلى البرزخ والدار الآخرة	للشيخ حامد العبادي	٢	الإعصام
٤	كتاب الروح	للإمام ابن القيم		مكتبة الرياض الحديثة
٥	رياض الصالحين	الإمام محي الدين النووي		دار القلم – بيروت
٦	سكرات الموت وشدته من إحياء علوم الدين	تحقيق عبد اللطيف عاشور مع تعليقه أيضاً	١	مكتبة القرآن الكريم
٧	فقه السنة المجلد الأول	السيد سابق	١	دار الكتاب العربي
٨	مطابقة الإختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية	أحمد الصديق الغماري الحسني		المكتبة الشعبية
٩	دعوة الخلف إلي طريق السلف	عبد الله بن عمر الشاطبي		المكتبة الشعبية
١٠	الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية	الشيخ محمد المدني	٣	الكليات الأزهرية
١١	العطر اليماني من أشعار	محمد بن سالم البيحاني	١	مطابع قطر الوطنية
١٢	البيان لتصحيح الإيمان	إبراهيم محمد عبد الباقي		المكتبة التجارية الكبري
١٣	متن الأربعين النووية	للإمام النووي		
١٤	من مجموع الرسائل	للشيخ عبد الحميد كشك		المكتب المصري الحديث
١٥	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي	للإمام ابن قيم الجوزية		مكتبة الرياض الحديثة

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة	الناشر
١٦	الحاوي للفتاوى	للإمام السيوطي		دار الفكر
١٧	في رحاب التفسير	عبد الحميد كشك		المكتب المصري الحديث
١٨	مختصر ابن كثير	الشيخ محمد علي الصابوني	٧	دار القرآن الكريم بيروت
١٩	صفوة التفاسير	الشيخ محمد علي الصابوني	٤	بيروت
٢٠	أوضح التفاسير	لابن الخطيب		المطبعة المصرية
٢١	تعريف عام يدين الإسلام	الشيخ علي الطنطاوي	٧	دار الرائد
٢٢	توحيد الخالق / أول ثانوي	المجموعة من المؤلفين	٣	قطر
٢٣	جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت	الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني		مطابع الرشيد المدينة المنورة
٢٤	أحاكم تمني الموت	الشيخ محمد عبد الوهاب		مطابع الرياض
٢٥	كفارة الخطايا وموجبات المغفرة	حامد إبراهيم والعقبى		مكتبة المعارف الرياض
٢٦	أسرار وعجب	عبد الرزاق نوفل		منشورات المكتبة
٢٧	دليل تفسير الأحلام	أحمد الصباحي عوض الله		المكتبة العصرية بيروت
٢٨	العقائد الإسلامية	السيد سابق		دار الفكر بيروت
٢٩	التاج الجامع للأصول	منصور علي ناصف	٤	دار الفكر
٣٠	عقيدة المؤمن	أبو بكر جابر الجزائرى	١	مكتبة الكليات الأزهرية
٣١	عذاب القبر ونعيمه	عبد اللطيف عاشور		مكتبة القرآن
٣٢	تفسير سورة الإسراء	عبد الله محمود شحاته		دار الهيئة العامة المصرية للكتب
٣٣	يسألونك في الدين والحياة	الدكتور أحمد الشرباصي		دار الجيل
٣٤	منهاج المسلم	أبو بكر جابر الجزائرى	٥	دار الفكر بيروت

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة	الناشر
٣٥	الفقه البسيط	الشيخ محمد سالم البيحاني	١	دار الحرية
٣٦	فتح المجيد	عبد الرحمن حسن آل الشيخ	٧	دار الكتب العلمية بيروت
٣٧	مجموع رسائل	حافظ أحمد الحكمي		دار محمد علي صبيح وأولاده
٣٨	هداية المريد	للشيخ أحمد محمد عوض العبادى		
٣٩	إعانة الطالبين	السيد البكري	٢	مطبعة مصطفى البابي الحلبي
٤٠	السلوك الاجتماعي	حسن أيوب		دار الندوة الجديدة بيروت
٤١	توضيح الأحكام	للبسام		
٤٢	عقود اللؤلؤ والمرجان	الشيخ إبراهيم بن عبيد		مكتبة التوفيق الرياض
٤٣	مختارات الأحاديث والحكم	عبد الوهاب عبد اللطيف	٢	النهضة الحديثة مكة المكرمة
٤٤	إقامة الحجة والبرهان	للإمام الصنعاني		الأوقاف والإرشاد اليمنية
٤٥	الإسلام وتقاليد الجاهلية	عبد الله آدم الألوري	١	مطبعة المدني
٤٦	رحمة الأمة في اختلاف الأئمة	لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي		
٤٧	المجموع شرح المهذب	للإمام النووي		
٤٨	المغني لابن قدامه	للإمام محمد بن علي الشوكاني		
٤٩	نيل الأوطار	لمحمد بن أحمد المعروف بابن رشد القرطبي		
٥٠	بداية المجتهد ونهاية المقتصد	لمحمد بن الأثير الجزري		

٥١	جامع الأصول	لمحمد بن الأثير الجزري
٥٢	فتح القدير في التفسير	للإمام الشوكاني
٥٣	فتح الباري شرح البخاري	للإمام بن حجر العسقلاني

***

فهرس الموضوعات

* * *